الإمام المهدي عليه السلام

ومفهوم الانتظار

تأليف

الشيخ كاظم جعفر المصباح

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

الإمام المهدي عليه السلام

ومفهوم الانتظار

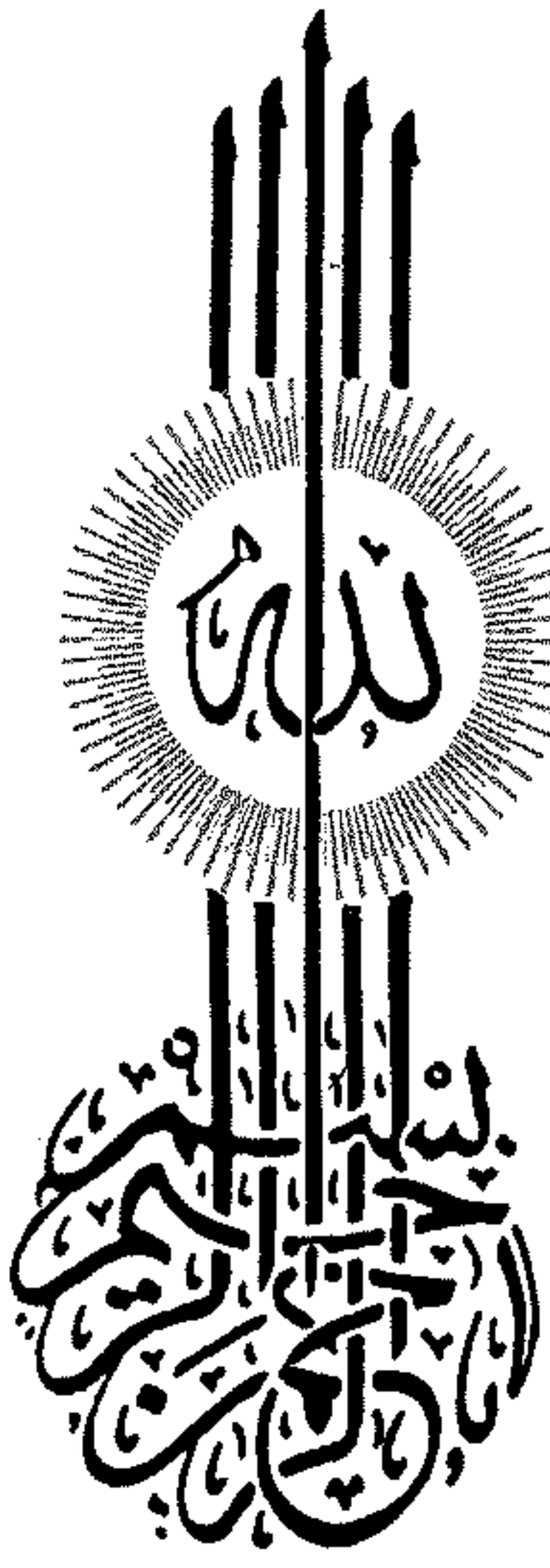

الإمام المهدي عليه السلام

ومفهوم الانتظار

تأليف
الشيخ كاظم جعفر المصباح

مؤسسة التاريخ العربي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

THE ARABIC HISTORY
Publishing & Distributing

مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٥٤٠٠٠٠ - ٥٤٤٤٤٠ فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص . ب ٧٩٥٧/١١

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel: 540000 - 544440 Fax: 850717 P.O.box 7957/11
E-mail: dareta@cyberia.net.lb

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربّ العالمين بارئ الخلائق أجمعين، ثم الصلاة والسلام على خاتم رسله ومبلغ رسالاته أبي القاسم محمد وعلى آله المنتجبين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

يتناول كتابنا هذا موضوعاً حيوياً مهماً تفرع من قضية الإمام المهدي (عج)، وذلك هو موضوع الانتظار للمهدي المنتظر (عج) وكيفيته.

اختلف المؤمنون بالإمام المهدي (عج) ونهضته الحقة التي ستنشر العدل وتمحق الظلم والضلال حول مفهوم الانتظار له في عصر الغيبة الكبرى اختلافاً بيّناً متضاداً، لا يمكن تسويته وإزالة آثاره السيئة إلّا بدراسة النصوص المتعلقة بالموضوع دراسة منطقية موضوعية تنسجم مع مفاهيم الرسالة الإسلامية الجهادية التي تأبى الخنوع والاستسلام لقوى الشر والضلال مهما ازدادت قوةً وشراسة.

وتجلى هذا الاختلاف بشكل صريح في مفهومين للانتظار متضادين،

أحدهما إيجابي، والآخر سلبي.

فالمفهوم الإيجابي يدعو إلى إقامة أحكام الدين، ومقارعة المستكبرين، ونشر الأفكار والمفاهيم الإسلامية في أوساط المسلمين، والسعي لايجاد مجتمع إسلامي ترعاه حكومة إسلامية عادلة تحت اشراف وتوجيهه النائب العام للإمام المهدي (عج) وهو الولي الفقيه، وبذا يتم تمهيد الأرضية الصالحة لحكومة المصلح العالمي المهدي المنتظر (عج).

والمفهوم السلبي يدعو إلى الاستسلام والتراخي والدعة، والعزلة والانزواء والابتعاد عن ساحات الجهاد، ومسالمة الكفر العالمي، والسكوت عما يرتكبه من الظلم والاضطهاد حتى يتفشى الكفر والفساد في كل أرجاء المعمورة ليكون ذلك سبباً موجباً لتعجيل فرج الإمام المهدي (عج)، وبزوغ فجر دولته العادلة، لأن حملة مفهوم الانتظار السلبي يعتقدون بأن مسألة ظهوره المبارك متوقفة على اشتداد الظلم، وانتشار الكفر والفساد.

ويدعو لهذا المفهوم السلبي جماعة من المؤمنين السذج الذين وقعوا تحت تأثير عوامل شتى ساعدت على حملهم له، ويزعم هؤلاء ان المستفاد من النصوص المتعلقة بالانتظار تستلزم تجميد الطاقات الإنسانية، والنشاطات الإسلامية، والشعائر الدينية، وترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوقف عن جهاد أعداء الإسلام، أو مسالمتهم وغض النظر عن جرائمهم البشعة، والرضوح لمشيئتهم حتى تتمهد الأرضية الموجبة لظهوره المبارك..

ومنشأ هذه الفكرة هو سوء الفهم للنصوص المتعلقة بالموضوع، وعدم دراستها بلحاظ ظروفها الموضوعية المحيطة بها، ووجود التعارض الشديد فيها، الذي لم يكن بمقدور حملة المفهوم رفعه وإيجاد الحل الصحيح له، والرأي السليم الذي يمكن الفرد المؤمن من انجاز مهامه الرسالية، وأداء ما افترض عليه

من الفرائض الدينية في زمن الغيبة الكبرى، واعداد نفسه لاستقبال إمامه ونصرة نهضته، والجهاد تحت رايته حتى يتمكن من احقاق الحق، وإزالة آثار الظلم والفساد، وإقامة حكومته العادلة..

فالذي أوقع هؤلاء السذج من المؤمنين في هذا الانحراف الواضح عن خط مذهب أهل البيت (ع) الإسلامي الأصيل ـ الذي لا يهادن ولا يساوم أعداء الدين مهما تعاظمت قوتهم، واشتد خطرهم ـ هو كثرة النصوص الداعية إلى ترك الجهاد في زمن الغيبة الكبرى، وملازمة الأرض، والصبر على البلاء، وعدم تعريض النفس للتهلكة، وممارسة التقية باعتبارها هي الدين الذي يلزم أتباعه في زمن غيبة المعصوم، ثم سوء فهمهم للحديث القائل «كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت...».

وبناءً على ما تقدم نرى ان أصحاب هذه النظرية البائسة التي لا تستند إلى دليل معقول، والمنافية لفطرة الإنسان السليمة، وعقيدته الإسلامية الأصيلة، يستهجنون فكرة قيام دولة إسلامية قبل قيام دولة المهدي (عج) المباركة، بحجة أنها تعيق مجيئه، وتأخر ظهوره، متناسين ان هناك عدد غير قليل من الروايات المتواترة التي تشير إلى خروج الممهدين لدولته قبل ظهوره، وتحث المسلمين على الالتحاق بهم ولو حبواً على الثلج..

يا لها من عقول متحجرة خاوية صاغت نظريتها من سوء فهمها للنصوص المتعلقة بهذا الموضوع، واستندت إلى حديث واحد، ومرتكزات واهية لا تمت للواقع بصلة، وتغاضت عن نصوص قرآنية صريحة، وأحاديث متواترة تدعو إلى الجهاد ومقارعة المستكبرين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومكافحة الكفر والجهل والظلم والفساد.

فاستناد هذه الجماعة الضالة إلى رواية واحدة لم تستوعب عقولهم

الخاوية مضامينها بشكل صحيح، ومخالفتهم الصريحة لنصوص القرآن الكريم، والأحاديث المتواترة لا تقره الشريعة الإسلامية، ولا العقول السليمة بوجه من الوجوه مطلقاً.

فإن عجزهم عن تأويل هذه الرواية بشكل ينسجم مع منطق العقل والشرع والفطرة السليمة قد أوقعهم في هذه المتاهات الحالكة، والمئازق الحرجة التي لا يمكن التخلص منها إلّا بالرجوع إلى الطريق القويم المتجسد بمذهب أهل البيت (ع).

والظاهر ان معنى الحديث المذكور الذي لم تتوصل عقول الجماعة الضالة إلى معرفة مضامينه الحقيقية، هو ان كل راية ترفع قبل قيام القائم يدعي صاحبها أنه المهدي (عج) باطلة وضالة ومضلة لا محال، وان صاحبها طاغوت؛ لأن الإمام المهدي (عج) يتمتع باوصاف خاصة، وشمائل كريمة يمتاز بها عن غيره، وأنه يملك الدليل القاطع للبرهنة على صدق إمامته، وعدالة قضيته، وغيره لا يملك الدليل على صدق دعواه، فهذا طاغوت يريد من خلال رفعه لهذه الراية الاستحواذ على مشاعر الجماهير الموالية للمهدي (عج)، وكسب تأييدها ليتمكن من بسط نفوذه، وتحقيق مأربه في التسلط على رقاب الناس، واستنزاف الأموال في اشباع شهواته وملذاته الحيوانية..

فمراد الراوية المذكورة كما هو واضح هو تنهينا عن متابعة كل من يرفع راية يدعي أنه المهدي (عج)؛ لأن الاندفاع وراءها يؤدي إلى تسويف قضية المهدي (عج)، واضعاف إيمان الجماهير المؤمنة بها بمرور الزمن. وعندئذٍ لا يتبقى أية أهمية لمفهوم الانتظار سواءكان إيجابياً أو سلبياً؛ لأن انتفاء أصل الموضوع يؤدي إلى انتفاء جميع فروعه ومشتقاته..

فلو أردنا التصديق بكل من يدعي أنه المهدي (عج) منذ لحظة غيابه إلى

الآن لكان لنا ألف مهدي ومهدي، لأن الذين ادعوا المهدوية كثيرون لا حصر لهم..

ولأجل أن لا تخدعنا دعاوي الكذابين، أورد الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، والأئمة الأطهار (عليهم السلام) الكثير من الأحاديث التي تكشف لنا بجلاء عن صفات الإمام وحسبه ونسبه، وشمائله ومشخصاته، وتشرح أبعاد قضيته، والظروف والعلامات التي تسبق نهضته، كي لا توهمنا الشبهات فتوقعنا في حبائل المشعوذين والدجالين المتصيدين في المياه العكرة، الذين يستثمرون كل نقاط الضعف المرئية بحسب اعتقادقهم للايقاع بمذهب أهل البيت (ع)، وإثبات ضعفه وهزالته، وتسويف معالمه من خلال نسب القصص الخرافية له التي صاغتها أقلامهم المسعورة..

والذي يتصور ان اشاعة مفهوم الانتظار السلبي جاء عن طريق الصدفة، وبدون مؤثرات خارجية، فهو بسيط ساذج لا يحيط علماً بمكائد الاستكبار العالمي الذي لا ينفك لحظة واحدة عن نسج مؤامراته الخبيثة الهادفة إلى نسف ركائز الإسلام واقتلاع جذوره.

فهذه وسائل الاعلام المعادية التي تتخذ من مفهوم الانتضار السلبي ذريعة لافشاء روح التخاذل والتساوم في صفوف الجماهير المؤمنة، وتحاول تطبيعها على القبول بالأمر الواقع، والرضى بحياة الذل والعبودية التي تشمل العالم الإسلامي بأسره، ثم تصف من يلتزم بنهج الخنوع والاستسلام بالذكاء والحنكة والاعتدال والنضوج السياسي والعقلي، ومن يخالف نهج الاستسلام والتعايش السلمي مع الكفر العالمي والرجعية المحلية تصفه بالارهابي المخل بأمن العالم واستقراره.

ان ارتكاب أبشع المجازر من قبل دول الاستكبار وعملائها لقمع الشعوب

المستضعفة، وقتل مئات الآلاف من أبنائها بهدف اخضاعها لسيطرتها أمر مألوف غير مخالف لقوانين الامم المتحدة، ولا مخل بأمن العالم، لكن قيام أبطال حزب الله في جنوب لبنان لمكافحة الاحتلال الصهيوني، أو قيام المجاهدين الفلسطينيين بعمليات جهادية لتحرير أرضهم المغتصبة أعمال ارهابية منافية لقوانين المجتمع الدولي يجب قمعها ووضع حد لها..

فلو لم يكن مفهوم الانتظار السلبي يخدم مصالح الاستكبار، وينسجم مع استراتيجيتها الاعلامية الهادفة إلى تطبيع الشعوب المستضعفة على حالة الخنوع والاستسلام لما تم التركيز عليه، وترويج أفكاره بواسطة أحدث وسائل الاعلام المعادية بهذه الكثافة الملحوظة..

ومنشأ أهمية هذا الكتاب تكمن في مكافحته لهذا المفهوم الاستسلامي بأدلة ثبوتية مستنبطة من العقل السليم، والاجماع الصحيح، والنصوص القرآنية، والسنّة النبويّة المتواترة.

بعد نقض مفهوم الانتظار السلبي بالأدلة والبراهين القاطعة يتم اثبات المفهوم الايجابي للانتظار اعتماداً على الأدلة السالفة الذكر. واثبات مفهوم الانتظار الصحيح في هذه الأيام يكتسب أهمية خاصة، لأن حالة الغموض والالتباس التي تكتنف مسألة الانتظار أوقعت الكثير من المؤمنين في شراك الشياطين، ومكائد المستكبرين، وجعلتهم يتخلون عن مهامهم الرسالية والتزاماتهم الشرعية التي تلزمهم بنصرة المظلومين، ونجدة الشعوب المسلمة، وانقاذها من مخالب أعداء الإنسانية، وإيقاف أمواج الظلم والضلال التي تكتسح العالم بأسره، وتحرير الأرض الإسلامية المغتصبة من براثن الصهيونية المجرمة لا سيما قبلة المسلمين الأُولى القدس الشريف..

إن الإيمان بفكرة الانتظار السلبي التي روجتها وسائل الاعلام

الاستكبارية، والداعية بشكل صريح إلى الوقوف موقفاً سلبياً من مظاهر الظلم والاستعباد تعد من أهم العوامل المهدة لبسط نفوذ المستكبرين، وفرض هيمنتهم على الشعوب المسلمة المستضعفة، واستنزاف خيراتها بدون حرب وقتال، بل يتم تحقيق الأهداف المرسومة بواسطة تعميم نظرية التعايش السلمي مع الكفر العالمي والأنظمة الرجعية الدائرة في فلكه..

فأصحاب هذه النظرية، والدعاة لها هم ضحايا أساليب المكر والخداع والتضليل الاستكباري؛ لأنهم يعتقدون بأن الإمام المهدي (عج) لا يظهر ما لم يشمل الظلم والفساد العالم بأسره..

ولذا تجدهم يتنصلون من وظائفهم وواجباتهم الدينية والإنسانية في آن واحد، ويغضون النظر عن الواقع المأساوي الذي تعيشه الأمة الإسلامية، أو لعلهم يستأنسون بازدياد المآسي، وانتشار المظالم وشيوع الفساد؛ لأن ذلك يمهد السبيل لظهور المهدي المنتظر (عج) حسب اعتقادهم ويعجّله..

انظر عزيزي القارئ كيف ابتعد هؤلاء المؤمنون عن خط الاستقامة تدريجياً نتيجة خطأ يبدو لأول وهلة انه بسيط لا يلفت النظر، إلّا ان النظر إلى آثاره السلبية، ونتائجه الوخيمة تثبت عدم بساطته، وشدة خطورته على مستقبل البلاد الإسلامية حيث يقف حجر عثرة في طريق حريتها واستقلالها، ويضعف من حدة الصراع المحتدم بين الحق والباطل، ويجعل الأمة أكثر استعداداً للقبول بالحلول الاستسلامية واستقبال الغزو الثقافي برحابة صدر، مما يؤدي إلى توسيع رقعة الاحتلال وتحقيق الاطماع الاستكباري..

ومنشأ هذا الخطأ ـ كما تقدم ـ هو عدم استيعاب النصوص المتعلقة بموضوع الانتظار، وفهم معانيها بصورة صحيحة تنسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية وقوانينها العادلة، وكان لسوء الفهم والسذاجة، وعدم الاحاطة بمبادئ

الإسلام بصورة شمولية أثر فعال في تركيز مفهوم الانتظار السلبي في أذهان السذج من المؤمنين..

ولسنا الآن بصدد دراسة مرتكزات هذا المفهوم، والعوامل المساعدة على تركيزه؛ لأننا أفردنا لها أبواب مهمة تختص بدراستها ومناقشتها، ولكننا نريد أن نقول يجب على الإنسان المؤمن أن لا يتسرع باصدارالحكم وقبول أي مبدأ قبل الاحاطة بجميع مفردات القضية واستيعاب مضامينها، وأن لا يستهين بالخطأ مهما صغر؛ لأن الاستهانة به والاستمرار عليه يؤدي به إلى الابتعاد عن مبادئ دينه وعقيدته بالتدريج حتى يصبح هو والعقيدة على حد نقيض تماماً، كما حصل لهؤلاء الأخوة المؤمنين حيث أدى استمرارهم على حمل المفهوم الخاطئ إلى ابتعادهم الصارخ عن الإسلام المحمدي الأصيل ونضريته الجهادية كبعد السماء عن الأرض، وتحولوا بمرور الزمن إلى دمى هامدة لا تقوى على الحركة والنهوض بوجه الظالمين بسبب اصرارهم على مواصلة الانحراف، وحملهم لمفهوم الانتظار السلبي المنافي لمضامين القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الشريفة، وتحولت نتيجة لذلك اقامتهم للفرائض كالصلاة والصيام والحج إلى حالة روتينية فارغة من مضامينها الرسالية الهادفة، لا تثمر عملاً صالحاً، ولا تعطي عطاءً مثمراً، وتمنع صاحبها من ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الإسلام إذا ما تعرض لخطر جدي من قبل أعدائه..

وهنا تكمن الخطورة لأن انتشار فكرة الانتظار السلبي للمهدي المنتظر، أو قل نظرية التعايش السلمي مع الأنظمة الرجعية والكفر العالمي تؤدي إلى تخدير الجماهير المسلمة وتطبيعها على حالة الخنوع والاستسلام لقوى الشر والفساد، وبالتالي ستؤدي الى تداعي مقومات المجتمع الإسلامي، واضمحلال معالمه، واندثار آثاره ولم يبق منه عدا الاسم والرسم، وهذا ما تصبو له أعداء الإسلام،

ويفلج صدورهم، ويحقق أهدافهم الخبيثة التي طالما عقدوا عليها الآمال، وبذلوا لأجلها الأموال الطائلة طيلة قرون عديدة.

فمن أجل غايات هذا الكتاب هو مكافحة هذا المفهوم السلبي، ولفت أنظار هؤلاء الأخوة الأعزاء إلى خطورة ما تفرزه أفكارهم الاستسلامية من آثار سيئة قد تنعكس على أنفسهم بالذات، ومصير أسود يقودنا إلى أسوأ حالات الاستعباد والاذلال المهين..

ـ منشأ الاختلاف في مفهوم الانتظار.. ـ

المعروف لدى الجميع ان الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، والأئمة الأطهار (ع) قد صرّحوا في جملة من الروايات بأهمية الانتظار، وحثوا المؤمنين بالإمام المهدي (عج) على انتظار فرجه، لأن الانتظار في عصر الغيبة أفضل الأعمال كما قال الرسول (ص): «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، ولكن لم يبيّن كيفية الانتظار الذي يترب عليه الأجر والثواب الجزيل، بحيث يكون أفضل الأعمال المندوبة على الاطلاق..

الروايات التي تختص بهذا الموضوع تبدو وكأنها متعارضة، فبعضها يحث على الجهاد والمثابرة في عصر الغيبة، والسعي لتمهيد الأرضية الصالحة لقيام المصلح العالمي، والبعض الآخر يدعو المؤمنين إلى الاعتزال والانزواء ليكونوا أحلاس بيوتهم لا يحركوا يداً ولا رجل، ويكفوا ألسنتهم حتى يعم الظلم والفساد جميع أرجاء العالم، لأن حصول الفرج مشروط بانتشاره، فكلما اتسعت دائرة الظلم والفساد كلما اقترب فرج المهدي المنتظر (عج)، وقيام نهضته العالمية المباركة، ودولته الإسلامية العادلة.

ـ نماذج من النصوص الداعية إلى الصبر في زمن الغيبة الكبرى واعتزال الناس وعدم الخروج على السلطان حتى قيام القائم

سنذكر هذه النصوص من دون أسانيدها لكي لا يطول الموضوع ويسبب الملل، ومن يريد أن يطلع على الأسانيد فليراجع مصادرها..

ـ عن علي بن الحسين (ع) قال: والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه، فأخذه الصبيان فعبثوا به.[١]

ـ عن سدير قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): يا سدير ألزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك.[٢]

ـ عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال في خطبة له: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه، وحق رسوله (ص)، وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من مصالح عمله، وقامت النية مقام اسلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً.[٣]

---

١) الروضة: ٢٦٤، الوسائل ١١ : ٣٦.
٢) الروضة: ٢٧٣، الوسائل ١١ : ٣٦.
٣) نهج البلاغة، القسم الأول: ٣٩١، الوسائل، ١١ : ٤٠، ينابيع المودة، ٤٣٦ ـ ٤٣٧، الغيبة الكبرى، ٣١٤.

ـ ان هذا التعارض الصريح بين النموذجين من الروايات المختصة بهذا الموضوع أوجد اختلاف كبير في وجهات نظر المنتظرين، فمنهم من آمن بفكرة الانتظار الايجابي تبعاً لمضامين القسم الثاني من الروايات، ومنهم من آمن بالانتظار السلبي لاعتقادهم بصحة القسم الأول منها.

ولم يزل هذا الاختلاف دائر بين الطرفين من المؤمنين منذ ابتداء عصر الغيبة الكبرى ٣٢٩ إلى يومنا هذا دون أن يوجدوا له حل سليم يرفع التعارض، ويحل المشكلة القائمة طيلة قرون، ويوحد كلمة الطرفين المتناحرين، ويجمع صفوفهما على نهج الحق والصواب.

ولذا ارتئينا أن نبحث هذه المسألة الشائكة في كتابنا هذا لعلّنا من خلال دراسة المفهومين السلبي والايجابي وعرضهما على القرآن الكريم، والسنّة المتواترة أن نتوصل إلى معرفة الاسلوب الصحيح للانتظار في زمن الغيبة الموافق لنصوصهما، والمطابق للمبادئ الشريعة الإسلامية، كي نحضى بثواب الانتظار الصحيح المنسجم مع الشرع والعقل معاً.

منهجيتنا في تأليف الكتاب

يشتمل كتابنا هذا المسمى «مفهوم الانتظار للمهدي المنتظر (عج)» على فصلين رئيسيين: الأول يتعلق بدراسة مفهوم الانتظار السلبي ومرتكزاته من قبيل انتشار الظلم والفساد، وشل نشاط المؤمنين بترك الأمر بامعروف والنهي عن المنكر، والوظائف الدينية المنوطة بهم، والاقرار بظلم الحاكم وطاعته رغم فسقه وفجوره بحجة التقية والصبر وغير ذلك من المعاذير الواهية..

ثم نذكر العوامل المساعدة على تركيز هذا المفهوم في أذهان البعض من المؤمنين بمرور الزمن، كالارهاب والتصفيات الدموية الرهيبة، والعداء الصارخ لآل البيت (عليهم السلام)، ولشيعتهم ومواليهم، والجهل والتحريف وغير ذلك من العوامل الهدامة، أو الظروف التي ساعدت على نشوء الانتظار السلبي في أجوائها..

وسنذكر في هذا الفصل دور وعاظ السلاطين في وضع واختلاق المئات من الروايات الهادفة إلى تشويه قضية المهدي (عج) وتغير هويته ونفي وجوده لكي لا يبقى للانتظار موجب يستوجبه.

وبمناقشة مرتكزات المفهوم السلبي للانتظار وعرضها على النصوص القرآنية، والسنّة المتواترة. وبنقض المرتكزات وبيان بطلانها نختم الفصل الأول من هذا الكتاب..

وأما الفصل الثاني فسيهتم بدراسة مفهوم الانتظار الايجابي، وذكر مرتكزاته كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة أحكام الله، وأداء فرائضه، والجهاد في الدفاع عن الوطن والإسلام إذا ما تعرض لخطر العدوان من

قبل أعدائه، ودراسة مفهومي الصبر والتقية وذكر مواردهما، وكيفية العمل بـهما في زمن الغيبة الكبرى مع انجاز كل ما في ذمة المكـلف مـن وظـائف ديـنية، وواجبات إنسانية..

الفصل الأول

الانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج)

مفهوم الانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج)، أو قل نظرية الوفاق والتعايش السلمي مع الأنظمة الرجعية[1]، والكفر العالمي، يعني مجارات الحاكم الظالم المتستر بالإسلام، والاقرار بظلمه مهما كان فاحشاً، وبجرائمه البشعة التي يمارسها ليل نهار لردع خصمه الذي يحاول وضع حد لارهابه واستبداده، وغض النظر عن فسقه وفجوره وأعماله المنكرة، وتأييد قوانينه الجائرة المخالفة لنصوص الشريعة الإسلامية، والداعية إلى خلع الحجاب وإباحة السفور، والزنا والفجور، وبيع الخمور، واختلاط الجنسين في المدارس والكليات والمعاهد الدراسية، والمعامل والمؤسسات والدوائر الحكومية والأهلية، واعطاء حرية المرأة بعدم الزامها بطاعة الرجل، وارغامها على أداء الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، واعطائها حق الطلاق واختيار الأزواج تماماً كالرجل، أو اقامة العلاقات الغير مشروعة مع من ترتئيه من الأصدقاء، ومنع المجتمع عن مضايقتها، والحيلولة دون ممارستها لحريتها المسموح بها في القانون..

---

١) نعني بكلمة الرجعية ـ العلمانية ـ يعني الحكومات التي لا تحكم بما أنزل الله.

وإذا ما أقدم الحاكم الجائر على سلب حرية خصومه بدون حق، أو مصادرة أملاكهم المنقولة وغير المنقولة، وتعريضهم للحبس والتشريد وازهاق نفوسهم البريئة بارتكاب أبشع الجرائم وأفضعها، فلابدلنا وفق هذه النظرية أن نرفع أصواتنا بالتأييد ضمن محافلهم واجتماعاتهم ومسيراتهم التي يدعو لها الحاكم الظالم لتغطية جرائمه ومآثمه، ثم نرقص على أشلاء الضحايا بغبطة وسرور..

ثم إذا منع الحاكم إقامة الشعائر والصلوات الخمسة جماعة، أو منع فريضة الحج أو الصيام بحجة أنهما توجبان ضعف الاقتصاد وخروج العملة الصعبة كما حدث ذلك في زمن أبي أرقيبة في تونس حيث منع الصيام، وزمن حكومة الجور والاستبداد في العراق وأثناء استعار محرقة القادسية التي أشعل فتيلها مجرم الحرب صدام حسين حيث منع الحج بالذريعة المذكورة أعلاه.

وإن شاء الحاكم أن يمنعنا من زيارة العتبات المقدسة، وإقامة المأتم الحسينية فلابدّ لنا أن نمتثل أمره ونمتنع مما يمنعنا عنه؛ لأن عدم الامتثال يتنافى مع نظرية التعايش السلمي والانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج) الذي ألزمنا أنفسنا باتباعه في زمن الغيبة الكبرى في كل الظروف والأوقات..

ثم يجب علينا بموجب هذه النظرية الاستسلامية أن ننخرط في جيش الحاكم الجائر إذا ما استدعانا للخدمة الالزامية لغرض التعدي على بلد مجاور كي نكون أدوات بطشه وعدوانه، ونساهم عن طيب خاطر في سفك دماء اخواننا المسلمين بدون امتعاظ وتردد.

وكذا لو أراد الحاكم الجائر اضفاء الشرعية على احتلال العدو لأجزأ من وطننا الإسلامي، أو إقامة سلام غير عادل مع العدو الصهيوني، وابقاء بيت المقدس والأراضي المغتصبة في قبضته فليس لنا حق الاعتراض والامتناع عن

التأييد والتصفيق له..

وكان حملة هذه النظرية والداعين لها في إيران يصفقون كثيراً لشاه العمالة والاجرام عندما يقوم بتصفية علماء الدين وارتكاب مجازر بشعة كمجزرة الفيضية والجمعة السوداء وغيرها، أو عندما يقيم علاقات دبلوماسية مع الكيان الغاصب لفلسطين، أو يعقد الاتفاقيات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية مع أمريكا كي يجعل إيران مستعمرة لها، كانت تبح أصوات الداعين لنظرية الانتظار السلبي من التأييد والتمجيد به..

فمفهوم الانتظار السلبي بناءً على ما تقدم يعني مسخ إرادة الأمة، وسلب حريتها، وجعلها أداة طيعة في قبضة الحكام الرجعيين يسيرونها كيف ما يشاؤون وفق أغراضهم وأطماعهم الشخصية، وأهوائهم وميولهم الشيطانية، ويرغمونها على القبول بالقوانين الجائرة، والمعاهدات والأحلاف العسكرية العدوانية..

مرتكزات نظرية الانتظار السلبي

اعتمد مفهوم الانتظار السلبي على مرتكزات واهية لا تستند إلى دليل معقول، ولا نص قرآني، ولا سنّة نبويّة متواترة، ولا اجماع..

وجل ارتكازها على مجموعة من المفاهيم وقواعد العمل الإسلامي التي أساؤوا فهمها، ولم يستوعبوا مضامينها الجوهرية بصورة شمولية، وأولوها بما يتفق مع بنود مبدئهم الاستسلامي، أو نظريتهم السلبية المستوحات من حالتهم النفسية المتداعية، والمغمورة بشعور الانهزام والاستسلام المطلق لمشيئة الاستكبار وعملائه، والقبول بالوضع القائم رغم علّاته وسلبياته..

ومن هذه المفاهيم التي أساؤوا فهمها مفهوم التقية التي أرادها الله تعالى

أن تكون وقاءً للنشاط الإسلامي والرسالة المحمدية، وحصناً منيعاً يحفض المؤمنين من كيد أعدائهم، ويمكنهم من مزاولة نشاطهم الإسلامي من دون أن يتركوا لعدوهم فرصة تمكنه من الانتقام منهم، والتنكيل بهم، ووضع حد لنشاطاتهم الإسلامية.

أراد الله أن تكون التقية غطاءً للنشاط الإيماني المحذور، وجعلها المؤمنون بنظرية الانتظار السلبي وسيلة لقتل روح المقاومة والصمود في نفوس البعض من المؤمنين، ومسخ ارادتهم، وتحويلهم إلى جسوم خاوية مسلوبة الإرادة والاختيار..

ومنها: مفهوم الصبر على البلاء والمكاره التي تواجه المجاهدين في سبيل الله، والمؤمنين المواطنين على طاعة الله واجتناب معاصيه، والساعين إلى إقامة أحكامه.

هذا المفهوم الإسلامي القيّم الذي يراد منه بناء الشخصية الرسالية المؤمنة، وتقوية ارادتها، وتصليب مواقفها المبدئية ليكون بمستوى الصراع العنيف الدائر بين المسلمين وأعدائهم في أماكن متعددة من العالم الإسلامي، وإن واجهتهم أصعب الشدائد، وأشد المكاره تراهم كالجبال الراسية لا تؤثر فيها الزعازع والعواصف العاتية.

فهذا المفهوم هو الآخر تحول بفعل التحريف الناشئ عن سوء الفهم إلى وسيلة لزرع روح الخنوع واللاّمبالات في نفوس السذج من المؤمنين بحيث لو سمع أحدهم أو شاهد الأحداث الدامية، والمجازر البشعة التي يرتكبها أعداء الإسلام يمر عليها مرور الكرام، دون أن يحرك ساكن، أو يطلق كلمة استنكار واحتجاج..

هكذا تحولت المفاهيم الإسلامية المقومة للشخصية الرسالية المجاهدة

والمنشطة لحركة الجهاد في صفوف المؤمنين إلى مفاهيم مجردة من مضامينها الرسالية، ومفرغة من معانيها الحركية حيث أصبحت عبارة عن أشياء جامدة لا فائدة ولا عطاء فيها.. هذه بعض المفاهيم التي أساء هؤلاء المؤمنين بنظرية الانتظار السلبي فهمها وأولوها بشكل غير منطقي أفقدها ماهيتها وحيويتها وحولوها إلى مفاهيم غير نافعة..

سندرس هذه المفاهيم التي اتخذت ركائز لمفهوم الانتظار السلبي لنتعرف على مواردها وحدودها، ومدى تعارضها وتناقضها، مع ذكر تأويلات هؤلاء المنحرفون عن خط الاستقامة، وسوء فهمهم لها.

ولكي نعطي فكرة بسيطة للقارئ عن حملة مفهوم الانتظار السلبي والداعين له، لابد لنا من اعطاء تعريف موجز لهم، وهم عدد غير قليل من الفقهاء السطحيين الذين تحجرت عقولهم من جراء الوقوف على ظواهر النصوص وعدم سبر أغوارها، فصاروا يستنبطون فتياهم منها بغض النظر عن الظروف المحيطية بها، والقرائن الحالية والمقالية واللفظية والمعنوية.

فهؤلاء هم أصحاب نظرية الانتظار السلبي للإمام المهدي المنتظر (عج)، أو قل نظرية الوفاق والتعايش السلمي مع الكفر العالمي والأنظمة الرجعية.

والمراد بالأنظمة الرجعية هي الحكومات العلمانية، والحكومات التي دساتيرها وقوانينها إسلامية لكنها لم تعمل بها، ولعلها تعمل بقوانين مضادة لها وفق ما تمليه عليها دول الإستكبار المرتبطة بها.

ولعل بعض تلك الدول تسعى إلى إبادة من يطالبها بتطبيق الإسلام مثل تركيا التي بدّدت المعارضة الإسلامية المتمثلة في حزب الرفاه، وأخرجتها من البرلمان بانقلاب عسكري، ومارست ضد مسيراتها الاحتجاجية أقصى أساليب الارهاب قسوة واجراماً، ومنعت الحجاب في المدارس والكلّيات والمعاهد

الدراسية، وأباحت فيها مسألة اختلاط الجنسين، وسعت إلى توسيع دائرة الفساد الأخلاقي، وعقدت المعاهدات العسكرية مع إسرائيل التي تستهدف أمن واستقرار البلاد الإسلامية، أو لعلّها تمهد السبيل لإسرائيل لتضم أجزاء أخرى من الوطن الإسلامي لكيانها الغاصب..

وخلاصة القول ان الدول الرجعية هي التي لم تعمل بما أنزل الله والتي وصفها القرآن الكريم بالظلم والفسق والكفر، فقال تعالى: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾** [1]، وقال: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون﴾** [2]، وقال: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون﴾** [3].

وقبل الشروع بذكر مرتكزات مفهوم الانتظار السلبي نذكر مجموعة من النصوص المتعلقة بهذا الموضوع، والتي استنبطوا منها ركائز نظريتهم، أو مفهومهم الاستسلامي الداعي إلى الدعة والاعتزال والاسترخاء وترك الدعوة للإسلام والسعي إلى تطبيق أحكامه، وكأن الإنسان المؤمن في زمن الغيبة الكبرى معفواً عن انجاز مهامه وواجباته الرسالية والشرعية والإنسانية.

وهذه بعض النصوص التي استنيطت منها نظرية الانتظار السلبي:

نماذج من الروايات الداعية إلى اعتزال الناس وترك الجهاد، وعدم الخروج على السلطان

١ ـ وعنه، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي رفعة، عن علي بن

---

١) سورة المائدة، آية ٤٤.
٢) سورة المائدة، آية: ٤٥.
٣) سورة المائدة، آيةك ٤٧.

الحسين (عليه السلام) قال: والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوى جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به.[١]

٢ ـ وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن بكر بن محمد، عن سدير قال: قال أبو عبدالله (ع): يا سدير ألزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك.[٢]

٣ ـ محمد بن الحسين الرضي الموسوي في (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال فى خطبة له: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربه، وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام أسلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً.[٣]

٤ ـ وعن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عمن أخبره، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): كفّوا ألسنتكم، والزموا بيوتكم الحديث.[٤]

٥ ـ وعن محمد بن موسى بن المتوكل، عن الحميري، عن محمد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن نجية القواس، عن على بن يقطين قال: قال أبوالحسن (عليه السلام): مر أصحابك أن يكفوا ألسنتهم ويدعوا الخصومة في

---

١) الروضة، ٢٦٤، الوسائل، ١١: ٣٦.
٢) الروضة، ٢٧٣، الوسائل، ١١: ٣٦.
٣) نهج البلاغة، القسم الأول، ٣٩١، الوسائل، ١١: ٤٠، ينابيع المودة، ٤٣٦ ـ ٤٣٧، الغيبة الكبرى، ٣١٤.
٤) الأصول، ٤٢١، الوسائل، ١١: ٤٩٣.

الدين، ويجتهدوا في عبادة الله عزّوجلّ.[١]

٦ ـ محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ما أيسر ما رضى الناس به منكم، كفّوا ألسنتكم عنهم.[٢]

٧ ـ جاء في كتاب المحجة فيما نزل في القائم الحجة نقلاً عن كتاب الاختصاص للشيخ المفيد ـ في حديث له ـ عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يا جابر! ألزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها... .[٣]

٨ ـ وأخرج مسلم عن حذيفة بن اليمان ـ في حديث له ـ مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في ثمان أنس. قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وأن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع.[٤]

٩ ـ أخرج الصحيحان بلفظ واحد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذبه، وذكر كل من الشيخين لها أكثر من سند واحد.[٥]

١٠ ـ عن أبي ذر، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: قلت:

---

١) التوحيد، ٤٧٨، الوسائل، ١١: ٤٥٨. ٢) الروضة، ٣٤١، الوسائل، ١١: ٤٩٨.

٣) المحجة فيما نزل في القائم الحجة، ٢٥، الاختصاص.

٤) صحيح مسلم، ٦: ٢٠، الغيبة الكبرى، ٣٤٥.

٥) البخاري، ٩: ٩٤، مسلم، ٨: ١٦٨، الغيبة الكبرى، ٣٣٦.

يا رسول الله، أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟ قال: شاركت القـوم إذن! ولكن أدخل بيتك. قلت: يا رسول الله، فإن دخل بيتي، قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار... .[١]

١١ ـ عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) يقول، يأتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم يتبع بها شعب الجبال ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن.[٢]

١٢ ـ أخرج الترمذي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يأتي على الناس زمان الصابر على دينه كالقابض على الجمر.[٣]

١٣ ـ وعنه يعني محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله (ع) قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم فأصحابها طاغوت يُعبد من دون الله عزّوجلّ.[٤]

وخلاصة نظرية الانتظار السلبي تتمثل في البنود التالية:

أولاً: أن يقف المسـلمون مـوقف المـتفرج أزاء مسألة إشـاعة الفـحشاء والمنكر، وان يغضوا الطرف عن جميع المفاسد والموبقات، ولا يأمروا بمعروف ولا ينهون عن منكر لغرض ازالة معالم الفساد، ولا يحركوا أيديهم ولا أرجلهم، ويكونوا أحلاس بيتهم؛ لأن انتشار المنكرات وازدياد الفساد، واتساع رقة الظلم والاجـرام يـقرب من ظـهور الإمـام المـهدي (عـج) حسب بـنود نـظريتهم

---

١) الغيبة الكبرى، ٣٣٩، سنن ابن ماجة، ٢: ١٣٠٨.

٢) سنن أبي داود، ٤: ٤١٨، وسنن ابن ماجة، ٢: ١٣١٧، الغيبة الكبرى، ٣٤٣.

٣) سنن الترمذي، ٣: ٣٥٩، الغيبة الكبرى، ٣٤٦.

٤) الروضة، ٣٥٩، الوسائل، ١١: ٣٧.

الاستسلامية.

فالإمام المهدي هو الذي سيملئ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، فما لم تمتلئ الأرض بالظلم والفساد لا يظهر المهدي (عج)؛ لأن ظهوره يتوقف على شيوع المظالم والمفاسد، فإن لم يحصل الشرط المطلوب لم يحصل مشروطه أيضاً.

وهذا البند من نظريتهم مستخلص من الرواية الثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، والسابعة، والتاسعة...

ثانياً: عدم الخروج على الحاكم الظالم الساعي إلى افشاء الفساد والمنكرات، لأنه يسعى بعمله هذا إلى تمهيد الأرضية الصالحة لظهور منقذهم، لذا التزموا بطاعته وتنفيذ أوامره حتى إذا ضرب الأعناق، وسلب الأموال، واغتصب الحقوق، ومسخ إرادة الأمة عن ممارسة حرياتها، وإشاعة المعاصي والفجور...

وإن خشي المؤمن من شعاع سيف الجلاد عليه أن يلقي طرف روائه على وجهه كي يصبر على قطع نحره.

واستندوا في استنباط هذا البند إلى الرواية الأُولى، والثامنة، والثانية عشر، وغيرها مما ورد في أبواب التقية.

ففي رواية عن مولانا أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال: وقد أذنت لكم في تفضيل أعدائنا إن الجأك الخوف إليه، وفي إظهار البراءة إن حملك الوجل عليه، وفي ترك الصلوات المكتوبات إن خشيت على حشاشة نفسك... .[1]

ولا نريد الآن مناقشة مضامين هذه الرواية لأننا خصصنا أبواب لمناقشة جميع النصوص التي أساء فهمها هؤلاء السذج من الفقهاء واستنبطوا منها

---

١) الاحتجاج، ١٢٤، تفسير العسكري (ع)، ٦٩، الوسائل، ١١: ٤٧٨.

نظريتهم المذكورة.

ثالثاً: وان اشتدت الفتن فعلى المؤمن أن يترك المجتمع نهائياً ويفر بدينه إلى شعب الجبال والمغارات بعيداً عن أنظار أعوان السلطة وجواسيسها، وبالتالي يترك ساحة العمل الاجتماعي، والنشاط الإسلامي، والدعوة لمنهج أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل الأصالة والاستقامة.

وبعد هذا الاستطراد في شرح بعض ما يتعلق ببنود نظرية الانتظار السلبي، وذكر النصوص التي استنبطت منها النظرية المذكورة، نبدأ الآن بذكر المرتكزات الأساسية وهي:

أولاً: الصبر وعدم القاء النفس بالتهلكة

اتخذ هؤلاء السذج من مفهوم الصبر وعدم القاء النفس بالتهلكة ذريعة لتبرير نظريتهم الاستسلامية الداعية إلى مسالمة الكفر العالمي والحكومات الظالمة المستبد، ووجوب طاعتها، وعدم الخروج عليها مهما ارتكبت من جرائم بشعة، ومجازر دموية رهيبة بحق المسلمين وغيرهم ممن لم يقروا بظلمها واجرامها.

وليس هذا فحسب بل يجب علينا أن نؤيدها على ارتكاب تلك الجرائم، ونبجل مرتكيبها لأنهم يسعون إلى تمهيد المناخ الملائم لظهور الحجة بن الحسن العسكري (عج) بافشاء القتل ونشر الفساد.

واستندوا في استنباط هذا المرتكز من جملة نصوص، منها قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة...﴾ الآية[1].

---

١) سورة البقرة، آية:

وفسروا هذه الآية بعدد من الروايات منها قول الإمام زين العابدين: والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به.[١]

ففهموا من هذا النص عدم شرعية الخروج في زمن الغيبة وقبل ظهور القائم، لأن ذلك يؤدي إلى هلاك القائمين به، كما هلك الفرخ حين طار قبل استواء جناحاه، وصار لعبة بيد الصبية.

ومنها قول أميرالمؤمنين: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربه، وحق رسوله، وأهل بيته، مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام أسلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وَأجلاً.[٢]

ومنها: عن الإمام أبي عبدالله (عليه السلام): كفوا ألسنتكم، والزموا بيوتكم... .[٣]

واستخلص هؤلاء السذج من هذين الحديثين وما ماثلها شرعية الاقرار بمفاسد الظلم وجرائمه ومنكراته، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ينتشر الظلم، ويعم الفساد الموجبان لظهور القائم (عج).

ومنها: قوله (صلّى الله عليه وآله): يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس،

---

١) الروضة، ٢٦٤، الوسائل، ١١: ٣٦.

٢) نهج البلاغة، القسم الأول، ٣٩١، الوسائل، ١١: ٤٠، ينابيع المودة، ٤٣٦ ـ ٤٣٧، الغيبة الكبرى، ٣١٤.

٣) الأصول، ٤٢١، الوسائل، ١١: ٤٩٣.

قال ـ يعني حذيفة ابن اليمان ـ: قلت: كيف أصنع يا رسول الله (ص) إن أدركت ذلك؟

قال (ص): تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك، وأخذ مـالك، فـاسمع وأطع.[١]

ومنها: قوله (ص) لأبي ذر: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألق طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وأثمك، فيكون من أصحاب النار... .[٢]

ففهموا من هذين النصين وجوب الطاعة للحاكم الظالم حتى إذا أراد قتل المرء نفسه، أو قتل غيره، أو أفرط في ازهاق الأنفس وسفك الدماء، ومـارس سلب الأموال والحقوق بدون حق لابد من طاعته، وعدم الاعتراض عليه. وهذا يعني طاعة غير محدودة بحد، ولا مشروطة بشـرط. فـيحق للـحاكـم الظـالم بموجب هذا أن يفعل ما يشاء دون اعتراض وانتقاد. وهذا ما لا تقره الشـرائـع الوضعية، فكيف يرتضيه الإسلام وهو دين الحق والعدالة الإنسانية، الذي حـرم قتل النفس بدون حق، واعتبر من يقتل نفساً متعمداً كمن قـتل النـاس جـميعاً، وجعل حق الدفاع عن النفس مشروعاً، فيحق للإنسان أن يدافع عن نفس إذا ما هاجمه عدو حتى إذا أدى دفاعه إلى قتل المهاجم..

ومنها: كل راية ترفع قبل قيام القائم فصحابها طاغوت يُعبد من دون الله عزّوجلّ... .[٣]

فاستفادوا من هذه الرواية وما ماثلها بأن الخـارج عـلى سـلطان زمـانه

---

١) صحيح مسلم، ٦: ٢٠، الغيبة الكبرى، ٣٤٥.

٢) سنن ابن ماجة، ٢: ١٣٠٨، الغيبة الكبرى، ٣٣٩.

٣) الروضة، ٣٥٩، الوسائل، ٣٧.

طاغوت ونهضته غير مشروعة. وبناءً على هذا جعلوا نهضة آيـة اللـه العـظمى السيد روح الله الموسوي الخميني مصداقاً لتـلك الرايـة، ولذا تـراهـم حكـموا ببطلا ن نهضته ووقفوا منها موقفاً سلبياً.

وتجاوز البعض منهم هذا الموقف السلبي إلى موقف عدائي حيث سـعى لمحاربة النظام الإسلامي وحاول إسقاطه، بحجة عدم شرعية ولاية الفقيه. والكل يعلم أن ولاية الفقيه هي أساس الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة مـن حـيث أقرها الإمام الصادق (ع) وسـائر الأئـمة الأطـهار (ع)، ودعـوا لهـا. وسـنذكر النصوص الدالة على شرعيتها عند مناقشة مرتكزات مفهوم الانتظار السلبي إن شاء الله.

ثانياً: التقية في زمن الغيبة الكبرى

والركيزة الثانية لنظرية الانتظار السلبي مفهوم التقية التي آمنوا بها بعد أن أساؤوا فهمها كما أساؤوا فهم الكثير من المفاهيم الحركية الإسلامية التي تختلف باختلاف الظرف والمكان.

فهم ـ أي أصحاب نظرية الانتظار السلبي ـ يعتقدون ان مفهوم التقية يمنح الفرد المؤمن في زمن غيبة الإمام فترة استراحة واستجمام، يهادن المؤمنون فيها أعداء الله وأعداء رسوله ويسالمونهم وإن أدى ذلك إلى التخلي عـن وظـائفهم الشرعية، ومهامهم الرسالية في الدفاع عن الإسلام إذا ما تعرض لخطر التحريف والتسويف، والدفاع عن المؤمنين به إذا ما أراد الحاكم الجائر إبادتهم وتصفيتهم بدون حق..

وسوء فهمهم هذا استمدوه من جملة من الروايات التي تختص بموضوع

التقية بعد أن جردوها من ظروفها الموضوعية والقرائن التي تحف بها.

ثم استخلصوا من تلك النصوص قواعد عامة مطلقة يتصورون أنها صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان في عصر الغيبة..

بموجب هذه النظرية يلتزم المؤمنون كافة بمسايرة التيار العام الذي روجته السلطة الجائرة ولا يحق لهم الوقوف بوجهه مهما كلف الثمن. ثم يجب عليهم أن يشاركوا في احتفالات القوم، وفي صلواتهم للجمعة والجماعة، والتظاهر بتأييد التحريف والتشويه الذي يمارسه وعاظ السلاطين للعقائد والمفاهيم الإسلامية بما يتفق مع توجهات الحاكم الظالم، ويبرر جرائمه وفسوقه وفجوره، ويضفي عليها طابع الشرعية.

وهذا يعني اعطاء الحق للحاكم في انفاق كل موارد المسلمين في شهواته وملذاته حتى لو أدى ذلك إلى حرمان مئات الآلاف من المسلمين وأماتتهم جوعاً ومرضاً..

واستنبطوا هذا المفهوم السيئ للتقية من النصوص التالية:

منها: عن الإمام الرضا (ع) أنه قال: لا دين لمن لا ورع له، ولا إيمان لمن لا تقية له... .[1]

ومنها: عن أبي عبدالله الصادق (ع) قال: يا أبا عمران! تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له، الحديث.[2]

ومنها: عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال: التقية من ديني، ودين آبائي، ولا

---

١) أعلام الورى، ٤٠٨، كفاية الأثر، ٣٢٣، فرائد السمطين، آخر الجزء الثاني، الوسائل، ١١: ٤٦٥، الغيبة الكبرى، ٢٨٤.

٢) الأصول، ٤١٧، المحاسن، ٢٥٩، الوسائل، ١١: ٤٦٠، الكافي، ٢: ٢١٧.

إيمان لمن لا تقية له.[١]

استفادوا من هذه النصوص المتعلقة بالتقية أن التقية قانون عام مطلق يجب العمل به في كل الظروف والأحوال طيلة فترة الغيبة الكبرى، غير آخذين بنظر الاعتبار النصوص التي اختصت بتخصيصها وتقييدها، والدالة على أن التقية في كل ضرورة وليست قانوناً عام يجوز العمل به في كل الظروف بغض النظر عن مواردها المختصة بها، والتي سمح بها الشارع المقدس في حالات الاضطرار فقط.

ومنها: عن الإمام أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال في رسالته إلى أصحابه: وعليكم بمجاملة أهل الباطل، تحملوا الضيم منهم، وإياكم ومماظتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم، ونازعتموهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم.[٢]

ومنها: عن أبي عبدالله (ع) عن أبيه الباقر (ع) قال: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليّ من التقية، يا حبيب انّه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، يا حبيب انّ الناس إنّما هم في هدنة فلو قد كان ذلك كان هذا.[٣]

ومنها: عن أبي عبدالله الصادق (ع) أنه قال: إياكم أن تعملوا عملاً يعيّرونا به، فإن ولد السوء يعيّر والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلوا في عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم

---

١) الأصول، ٢: ٢١٩، الوسائل، ١١: ٤٦٠.
٢) الروضة، ٢، الوسائل، ١١: ٤٦٢.
٣) الكافي، ٢: ٢١٧، المحاسن، ٢٥٦، الوسائل، ١١: ٤٦١.

إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم... .[١]

ومنها: قول الإمام علي (ع) على منبر الكوفة: انكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني، ثم ستدّعون إلى البراءة منّي وإني لعلى دين محمد... .[٢]

ان هذه الروايات ونظائرها تشير إلى وجوب التقية في زمن الغيبة، ومجاملة الناس، ومشاركتهم في صلواتهم وأفراحهم وأتراحهم والمبادرة إلى كل عمل صالح، وأن يكون الشيعة سباقون إلى الخير ليكونوا زيناً على الإمام (ع)، ولا يكونوا عليه شيناً.

ان هذه الأخلاق الحسنة التي دعا له الإمام هي عين الأخلاق التي دعا لها الإسلام وهذه غير مختصرة على زمن التقية فقط، وإنما هي سائرة المفعول في كل الأزمان، بلْ هي من السمات التي تطبع سلوك المسلم الخلوق ولا تنفك عنه.

وإنما الشيء الذي يختص بزمن التقية هو حضور صلواتهم جمعة وجماعة، والائتمام بأئمتهم، فإن هذا لا يجوز إلّا تقية، أي عندما يخاف الإنسان المؤمن على نفسه في حالة عدم حضورها، أو ان المراد من تلك الجماعة اظهار وحدة المسلمين، وشكوة الإسلام وهيبته، فهنا يلزم حضور تلك الجماعة بحسب رأي البعض من فقهائنا، كصلاة الشيعة خلف أئمة السنّة في أيام الحج..

فالخطأ الذي وقع فيه أصحاب نظرية الانتظار السلبي ان جعلوا قانون التقية عام في زمن الغيبة الكبرى، والصحيح ان التقية لا تستعمل إلّا في مواردها، ويرتفع الحكم بارتفاع موضوعاته فتأمل.

ومنها: قوله (ع): لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم... .[٣]

---

١) الكافي، ٢: ٢١٩.
٢) الكافي، ٢: ٢١٩.
٣) المجالس، ٢٠٣/٥٤، الوسائل، ١١: ٤٧٢.

أو قوله (ص): طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله عزّوجلّ، ودخل في نهيه، إن الله عزّوجلّ يقول: لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة.[1]

إن ما ورد في كتب إخواننا ابناء العامة اكثر مما ورد في كتبنا حول وجوب طاعة السلطان حتى إذا كان أحمقاً، أو فاسقاً، أو عاصياً لله.

وسبق ان أشرنا لبعض هذه الروايات عند ذكرنا للركيزة الأُولى، وخلاصة ما استنبطوه أصحاب نظرية الانتظار السلبي من هذه النصوص هو وجوب طاعة السلطان رغم كونه فاسقاً، فاجراً، جائراً، عاصياً. وهذا الأمر لا إشكال ولا ريب في بطلانه، لأنه يتنافى مع وجوب طاعة الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله، ويتجلى هذا التنافي في موارد، منها فيما إذا أمرنا الحاكم الجائر بقتل المؤمنين بدون حق، أو أمرنا بترك إقامة الفرائض جماعة في المساجد، أو أراد إكراهنا على شرب الخمر وممارسة الرذيلة، ففي هذه الموارد جميعاً لا تجب طاعة السلطان الجائر حتى لو أدى ذلك إلى القتل.

ثالثاً: الاستدلال بمقاطع من سيرة الأئمة (ع) على صحة نظريتهم

ومن ركائز هذه النظرية هي الاقرار بشرعية الحاكم الظالم، وعدم الاعتراض على ما يرتكبه من مظالم وتعديات حتى إذا شملت أقدس الشخصيات الإسلامية وأجلها، وحتى إذا أكره الناس على بيعته، أو سن البدع والأضاليل لا يجب الاعتراض عليه أو خلع طاعته..

واستند هؤلاء في استنباط هذه الركيزة إلى مقاطع من سيرة الأئمة الأطهار

---

١) عيون الأخبار، ٤٥، الوسائل، ١١: ٤٧٢.

(عليهم السلام) واقرارهم لبعض الأمور مكرهين..

منها: ما جاء في سيرة الإمام علي (ع) أنه لما امتنع عن البيعة لأبي بكر أرغم على البيعة فبايع مكرهاً، وهذا يدل على جواز البيعة بالاكراه وقبولها.

ولما وقع الاعتداء على بضعة المصطفى وزوجة الإمام علي الزهراء في دارها وأمام جمع من الصحابة لم يعترض الإمام على ذلك، ولم يجرد سيفه لرد العدوان، بل انقاد للجماعة المهاجمة وأقر فعلهم.

وعندما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة لم يعترض الإمام علي (ع) ولم يردعه بالرغم من علمه بعدم أحقية هذا القرار وشرعيته، وكانت النتيجة المأساوية التي أفرزتها الحادثة فاجعة مروعة حيث أودت بحياة أبي ذر ومن كان معه جوعاً ومرضاً عدا ابنته ذر التي دلت مالك الأشتر ومن معه على مكان جثمانه الشريف الطاهر حيث قاموا بتجهيزه ودفنه.

وكذا سكت الإمام علي (ع) حين وقع الاعتداء على عمار بن ياسر في مسجد رسول الله وأمام حشد من صحابته من قبل الخليفة عثمان حيث استمر بضربه حتى أحدث فيه فتقاً وأغمي عليه.

ومما جاء في سيرة الإمام الحسن (ع) حين استلم معاوية الخلافة منه بعد الصلح جعل سب الإمام علي على منابر المسلمين في القنوت سنّة لابد من انجازها.

وكان معاوية (عليه اللعنة) أحياناً يمارس السب بنفسه، فينال من علي (ع) والزهراء (ع) والإمام الحسن جالس تحت منبره، أليس هذا الاقرار منه لهذا الأمر تقية؟

واستمرت هذه السنة السيئة طيلة ٨٥ سنة دون أن يعترض عليها الأئمة الأطهار (ع) المعاصرون لتلك الفترة.

وجاء في سيرة علي بن الحسين (ع) لما قدم يزيد إلى المدينة المنوّرة بعد قتله للإمام الحسين وسبي عيالاته أرسل في طلب السجاد (ع) وطلب منه الاقرار بالرقية له، إن شاء باعه، وإن شاء أعتقه أو أبقاه عبداً، فأقر السجاد بالرقية بعد أن علم أنه سيقتله كما قتل القرشي بالأمس إن رفض الاقرار بذلك. فهذا الاقرار من قبل الإمام (ع) بالرقية ليزيد الذي قتل أباه بالأمس وأهل بيته (ع) في أبشع مشهد شهده التاريخ، ألا يدل هذا على جواز الاقرار للحاكم الجائر الفاسق بالرقية تقية بهدف حفظ النفس وحقن الدماء.[1]

وليس هذا فحسب فسكوت السجاد (ع) عن جرائم يزيد فيما بعد عندما استباح حرمة المدينة المنوّرة، وهتك الأعراض، وفض بكارة ألف فتاة، وقتل المئات من الأبرياء، وسحق الأطفال تحت حوافر الخيل، وسلب الأموال وإحراق البيوت، وغير ذلك من الجرائم التي لا تعد ولا تحصى.

ثم استباح حرمة البيت الحرام وضرب الكعبة بالمجانيق وقتل ابن الزبير فيها بعد قتل المئات من أصحابه والمؤازرين له، فالسكوت على مثل هذه الجرائم من قبل الإمام زين العابدين (ع) ألا يدل على جواز الاقرار بمثل هذه الأمور تقية.[2]

وجاء في سيرة الإمام محمد بن علي الباقر (ع): أنه في زمنه نهض أخيه زيد في الكوفة ضد الخليفة هشام بن عبدالملك ليسترجع منه حقه، إلّا أن هشام بدلاً من أن يعطيه الحق جهز جيشاً لقتاله وانتصر عليه وقتله، ثم استخرج جثمانه

---

١) الوسائل، ١١: ٤٩٧، الروضة، ٢٣٤.

٢) أبوالفداء، ١: ١٩٢، الإمامة والسياسة، ٢٠٠، تاريخ الخلفاء، ٩٩، العقد الفريد، ٣: ١٥٧، الشيعة في التاريخ، ١٤٦، تهذيب الكامل، ١: ١٤٩.

الطاهر من قبره بعد الدفن، وصلبه بباب الكناسة عارياً لمدة طويلة حتى عشعشت الطيور في بدنه الشريف، ثم أنزله بعد مضي أربع سنوات على صلبه وأحرقه.[١]

فعدم اعتراض الباقر (ع) على الخليفة لارتكابه مثل هذه الجرائم النكراء، وعدم الخروج لنصرة أخيه، أو دعوة الشيعة لمؤازرته ونصرته لأدل دليل على جواز السكوت على مثل هذه الممارسات الاجرامية تقية.

نكتفي بهذا المقدار من الأمثلة التي اتخذها المسالمون ذريعة لتبرير نظريتهم الاستسلامية وتمريرها على السذج من المؤمنين.

هذه أهم ركائز نظرية الانتظار السلبي التي حملها البعض من الفقهاء السطحيين السذج الذين لم يستوعبوا مضامين المفاهيم الإسلامية بصورة صحيحة، ولم يعوا الرسالة المحمدية الأصيلة بصورة شمولية وإنما اكتفوا بفهم بعض جوانبها وترك الأغلب الأعم منها..

ولو قدر لهذه النظرية النجاح لا سمح الله، فإن النتيجة ستكون اضمحلال المجتمع المسلم وتضائل عدد الصلحاء فيه بالتدريج حتى ينتفي وجودهم بمرور الزمن، أو يبقى العدد الضئيل الذي لا يفي بقيام نهضة القائم المنتظر (عج).

ان العمل بموجب هذه النظرية ليس فقط لا يقرب فرج ظهور الحجة بن ابن الحسن العسكري (عج)، بل لعل فرج ظهوره ينتفي نهائياً لعدم وجود من يناصره على القيام بنهضته العالمية التي ستهدف ازالة معالم الفساد، ومحو آثار الظلم، ونشر العدل في جميع أنحاء العالم.

---

١) خطط المقريزي، ٤: ٣٠٩، الكامل في التاريخ، ٥: ١٠٧، شرح النهج، ١: ٣١٥، الشيعة في التاريخ، ١٤٨.

وقبل أن نناقش بنود هذه النظرية السلبية ومرتكزاتها على ضوء نصوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة الصحيحة، وسيرة أهل البيت (ع)، لابد لنا أن نذكر العوامل المساعدة على تركيز مفاهيمها في أذهان السذج من المؤمنين..

العوامل المساعدة على تركيز الانتظار السلبي

أولاً: العداء الصارخ لآل البيت (ع)

قبل أن نلج في أعماق التاريخ ونستخرج منها عبائر الحقد الأسود، والعداء الدفين التي طفحت على شفاه ألدّ أعداء آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، من ساسة الحكم وولاة الأمر، وتحولت فيما بعد إلى رماح طويلة، وسهام سامة، وشفار حادة حصدت رؤوس العلويين وشيعتهم، ومزقت أشلائهم، على طول التاريخ، وصنعت مجازر دموية وحشية بشعة لم يشهد تاريخ البشرية نظيراً لها.

قبل أن نذكر تلك العبائر المفعمة بالحقد والعداء نود أن نذكر ما تنبأ به سيد الكائنات، وخاتم الرسل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عمّا سينال عترته من ظلم واضطهاد وسجن وتشريد وتقتيل واعتصاب لحقوقها من أشرار أمته، وكان تنبئه هذا دليل آخر على صدق نبوته، وقوة ارتباطه بالله عزّوجلّ، حيث أنبئه بكل ما يجري على عترته من بعده من المصائب والمصاعب، وان الأمة سوف لا تعمل بوصاياه، ولا تلتزم بآية مودة في القربى، بل ستحول المودة إلى حقد أسود، والولاء إلى عداءصارخ لا هوادة فيه، وحرب دائمة الاستعار ستقطع

كل السواعد القوية التي حملت رايات الفتح، وحطمت السدود، واقتحمت القلاع الحصينة، وأرغمت المشركين على الاذعان لسلطة الإسلام وقوانينه العادلة.

فالذي تنبأ به الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان وحياً سماوياً، وليست تنبئات شخصية.

الأمة ستغدر بعلي (عليه السلام) بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

ـ مستدرك الصحيحين: قال: عن حيان الأسدي سمعت علياً (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ان الأمة ستغدر بك بعدي وأنت تعيش على ملتي، وتقتل على سنتي، من أحبك أحبني، ومن أبغضك أبغضني، وإن هذه ستغضب من هذا ـ يعني لحيته من رأسه ـ قال: الحاكم: صحيح.[1]

ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن أبي إدريس الأودي عن علي (عليه السلام) قال: إن مما عهد إليّ النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن الأمة ستغدر بي بعده، قال: هذا حديث صحيح الاسناد، (أقول) ورواه الخطيب أيضاً في تاريخه وقال فيه: إن الأمة ستغدر بك بعدي، وذكره المتقي أيضاً في كنزالعمال، وقال فيه: إن الأمة ستغدرني من بعده، قال: أخرجه ابن أبي شيبة، والحارث والبزاز والحاكم والعقيلي والبيهقي في الدلائل.[2]

ـ وفي مجمع الهيثمي، قال: وعن ثعلبة أنه قال ـ أي علي (عليه السلام) ـ

---

١) مستدرك الصحيحين، ٣: ١٤٢.

٢) مستدرك الصحيحين، ٣: ١٤٠، تاريخ بغداد، ١١: ٢١٦، كنزالعمال، ٦: ٧٣، فضائل الخمسة، ٣: ٦٦.

على المنبر: والله إنه لعهد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) الأمي إليّ: إن الأمة ستغدر بي، قال: رواه البزاز.[١]

ـ وفي كنوز الحقائق: حاول المناوي أن يجمع بين الروايات التي تنهى علي (عليه السلام) عن القتال في حال غدر الأمة به بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والروايات التي تأمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقال: ولفظه: يا علي! ستبلى بعدي فلا تقاتلن، قال: أخرجه أبو علي، (أقول) ومقتضي الجمع بين هذا الحديث وبين ما تقدم من قوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المروي بطرق عديدة إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، أو ما تقدم من أمره (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين كما روى ذلك بطرق عديدة أيضاً وهو النهي عن القتال من بعده بلا فصل، إما لقلة الناصر، أو لمخافة أن يرتد الناس عن دينهم لقرب عهدهم بالجاهلية، أو لغير ذلك من موانع القتال، وأما بعد وجدان الناصر أو بعد ارتفاع الموانع فلابد من القتال.[٢]

ـ تاريخ بغداد: روى بسنده عن عبدالله بن أحمد بن كثير، وأحمد بن زهير بسنديهما، عن أبي عثمان النهدي، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: مررت مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بحديقة فقلت: يا رسول الله ما أحسنها؟ قال: لك في الجنة خير منها حتى مررت بسبع حدائق (قال) وقال أحمد بن زهير: بتسع حدائق كل ذلك أقول له، ويقول: لك في الجنة خير منها (قال): ثم جاءني رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وبكى، فقلت، يا رسول

---

١) مجمع الهيثمي، ٩: ١٣٧، فضائل الخمسة، ٣: ٦٧.

٢) كنوز الدقائق، ١٨٨، فضائل الخمسة، ٣: ٦٧.

الله ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور رجال عليك لن يبدوها لك إلّا من بعدي، فقلت: بسلامة من ديني؟ قال: نعم بسلامة من دينك.

وبنفس المضمون رواه المتقي في كنزالعمال، والهيثمي في معجمه، والمحب الطبري في رياضه، والحاكم في مستدركه.[1]

النبي (ص) يأمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين

ـ مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن عقاب بن ثعلبة، حدثني أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطّاب، قال: أمر رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) علي بن أبي طالب (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.[2]

ورواه أيضاً: بسنده عن الاصبغ بن نباتة، عن أبي أيوب الأنصاري قال: سمعت النبي (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) يقول لعلي بن أبي طالب (عليه السلام): تقاتل الناكثين والقاسطين بالطرقات والنهروانات وبالسعفات، قال أبو أيوب: قلت، يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء الأقوام؟ قال: مع علي بن أبي طالب.[3]

ـ تاريخ بغداد: روى بسنده عن خليد العصري قال: سمعت أميرالمؤمنين علياً (عليه السلام) يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله (صلّى الله عليه (وآله)

---

١) تاريخ بغداد، ١٢: ٣٩٨، كنزالعمال، ٦: ٤٠٨، الرياض النضرة، ٢: ٢١٠، ومستدرك الصحيحين، ٣: ١٣٩، ومجمع الهيثمي، ٩: ١١٨.

٢) المستدرك، ٣: ١٣٩، فضائل الخمسة، ٢: ٣٩٨.

٣) المستدرك، ٣: ١٣٩، فضائل الخمسة، ٢: ٣٩٨.

وسلّم) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين.[1]

ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن علقمة والأسود قالا: أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صفين فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد (ص)، وبمجيء ناقته تفضلاً من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلّا الله.

فقال: يا هذا إن الرائد لا يكذب أهله، وإن رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) أمرنا بقتال ثلاثة مع علي (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

فأما الناكثين فقد قاتلناهم أهل الجمل طلحة والزبير، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ـ يعني معاوية وعمراً ـ وأما المارقون فهم أهل الطرقات، وأهل السعيفات، وأهل النخيلات، وأهل النهروانات، والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله، قال: وسمعت رسول الله (صَ) يقول لعمار: تقتلك الفئة الباغية وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر! إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس وادياً غيره فاسلك مع علي فانّه لن يدليك في ردى، ولن يخرجك من هدى، يا عمار! من تقلد سيفاً أعان به علياً على عدوه قلده الله يوم القيامة وشاحين من در، ومن تقلد سيفاً أعان به عدو علي (ع) قلده الله يوم القيامة وشاحين من نار، قلنا، يا هذا! حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله. ورواه المتقي في كنزالعمال.[2]

ـ في أسد الغابة: روى بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: أمرنا رسول

---

١) تاريخ بغداد، ٨: ٣٤٠، وج ١٣: ١٨٦، كنزالعمال، ٤: ١٥٥، فضائل الخمسة، ٢: ٣٩٨ـ ٣٩٩.

٢) تاريخ بغداد، ٨: ٣٤٠، وج ١٣: ١٨٦، كنزالعمال، ٤: ١٥٥، فضائل الخمسة، ٢: ٣٩٨ـ ٣٩٩.

الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمار ابن ياسر.[1]

ـ وفي كنزالعمال: عن الثوري ومعمر عن أبي إسحاق، عن عاصم بن ضمرة، عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق فقلت له: يا أبا أيوب قد كرمك الله بصحبة نبيه محمد (صلّى الله عليه (وآله) وسلم) وبنزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس تقاتلهم، تستقبل هؤلاء مرة وهؤلاء مرة، فقال، إن رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) عهد إلينا أن نقاتل مع علي (عليه السلام) الناكثين، فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل مع علي (عليه السلام) المارقين فلم أرهم بعد، قال: أخرجه ابن عساكر.[2]

ـ وفيه أيضاً: قال: عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) فأتى منزل أم سلمة فجاء علي (عليه السلام) فقال رسول الله (ص): يا أم سلمة! هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي، قال: أخرجه الحاكم في الأربعين وابن عساكر، (أقول) وذكره المحب الطبري أيضاً في الرياض النضرة.[3]

ـ في مجمع الهيثمي: قال: وعن عبدالله ـ يعني ابن مسعود ـ قال: أمر رسول الله (ص) بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قال: رواه الطبراني، (أقول) وذكره (في ج ٧) أيضاً، وقال: أمر علي (عليه السلام) بقتال الناكثين والقاسطين

---

١) أسد الغابة، ٤: ٣٢، فضائل الخمسة، ٢: ٣٩٩.

٢) كنزالعمال، ٦ـ٨٨، فضائل الخمسة، ٢: ٤٠٠.

٣) كنزالعمال، ٦: ٣١٩، الرياض النضرة، ٢: ٢٤٠، فضائل الخمسة، ٢: ٤٠١.

والمارقين، ثم قال: رواه الطبراني في الأوسط.[١]

ـ وفيه أيضاً: قال: وعن علي (ع) قال: عهد إليّ رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قال: وفي رواية أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قال: رواه البزاز والطبراني في الأوسط.[٢]

ـ وفي كنزالعمال: قال: عن علي (عليه السلام) قال: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، قال: أخرجه ابن عدي في الكامل، وعبدالغني بن سعيد في ايضاح الاشكال، والاصبهاني في الحجة، وابن مندة في غرائب شعبة، وابن عساكر من طرق.[٣]

ـ وفيه أيضاً مع زيادة: ... فأما القاسطون فأهل الشام، وأما الناكثون فذكرهم، وأما المارقون فأهل النهروان ـ يعني الحرورية ـ قال: أخرجه الحاكم في الأربعين وابن عساكر.[٤]

النبي (ص) يخبر بما يجري على فاطمة (ع) وعترته

ـ بالاسناد قال: أخبرنا محمد بن محمد، قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن موسى ابن بابويه، قال: حدثني أبي قال: حدثنا أحمد بن إدريس، قال: حدثنا محمد بن عبدالجبار، قال: حدثنا ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن عكرمة، عن عبدالله بن عباس، قال: لما حضرت رسول الله (ص) الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته، فقيل له: يا رسول الله! ما يبكيك؟

---

١) مجمع الهيثمي، ٩: ٢٣٥، وج ٧، ٢٣٨، فضائل الخمسة، ٢: ٤٠٢.
٢) مجمع الهيثمي، ٧: ٢٣٨، فضائل الخمسة، ٢: ٤٠٢.
٣) كنزالعمال، ٦: ٧٢.
٤) كنزالعمال، ٦: ٧٢، فضائل الخمسة، ٢: ٤٠١.

فقال: أبكي لذريتي وما تصنع بها أشرار أمتي من بعدي، كأنـي بـفاطمة ابنتي وقد ظلمت بعدي، وهي تنادي: يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي...[١].

ـ في البحار، الجزء العاشر عن الأمالي، عن ابن عباس، عـن رسـول الله (ص) أنه قال: وإني لما رأيتها (فاطمة) ذكرت ما يصنع بها بعدي، كأني وقد دخل الذل بيتها وانتهكت حرمتها، وغـصبت حـقها، ومـنعت إرثـها، وكسـر جـنبها، وأسقطت جنينها، وهي تنادي يا محمداه، فلا تـجاب، وتسـتغيث فـلا تـغاث، فلاتزال بعدي محزونة مكروبة باكية، تتذكر انطقاع الوصي عن بيتها مرة، وتتذكر فراقي أخرى...[٢].

ـ في سنن ابن ماجة: عن عبدالله بن مسعود، قال: بينما نحن عند رسول الله (ص) إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم النبي (ص) اغرورقت عـيناه، وتغير لونه، فقلت: مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه؟ قال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وان أهل بيتي سيلقون بلاءً وتشريداً وتطريداً...[٣].

ـ في مستدرك الصحيحين: روى بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: أتينا رسول الله (ص) فخرج إلينا مستبشراً يعرف السرور في وجهه، فما سألناه عـن شيء إلّا أخبرناه، ولا سكتنا إلّا ابتدأنا حتى مرت فتية من بـني هـاشم فـيهم الحسن والحسين (عليهما السلام) فلما رآهم التزمهم وانهملت عيناه، فـقلنا: يـا رسول الله! مانزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال: إنّا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وانه سيلقى أهل بيتي من بعدي تطريداً وتشريداً في البلاد...[٤].

---

١) أمالي الشيخ، ١: ١٩١. ٢) عنه في فاطمة من المهد إلى اللّحد: ١٩٥.

٣) سنن ابن ماجة، ٢، رقم الحديث، ١٣٦٦، فضائل الخمسة، ٣: ٣٥١، ذخـائر العـقبى، ١٧، وفـيهما: باختلاف يسير.

٤) مستدرك الصحيحين، ٤: ٤٦٤، سنن ابن ماجة، ٣٠٩، فضائل الخمسة، ٣: ٣٥٠.

ـ وفيه أيضاً: روى بسنده عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (ص): إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم، قال: هذا حديث صحيح الاسناد. (أقول): ذكره المتقي أيضاً في كنزالعمال، وقال: أخرجه نعيم بن حماد في الفتن.[1].

ـ في أسد الغابة أذكر حديثاً عن عمرو ابن شعواء اليافعي قال: قال رسول الله (ص): سبعة لعنتهم وكل نبي مجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمستحل حرمة الله، والمستحل من عترتي ما حرّم الله، والتارك لسنتي، والمستأثر بالفيء، والمتجبر بسلطانه ليعز من أذل الله، ويذل من أعز الله عزّ وجلّ...[2].

ـ وروى الذهبي في ميزانه نحوه باختلاف يسير فبدل السبعة ستة.[3]

جبرائيل يخبر النبي (ص) بخبر قتل أمته لولده الحسين (ع)

ـ في تهذيب التهذيب لابن حجر: قال: وعن عمر بن ثابت، عن الأعمش، عن شقيق، عن أُم سلمة قالت: كان الحسن والحسين (عليهما السلام) يلعبان بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) في بيتي فنزل جبريل فقال: يا محمّد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، وأومأ بيده إلى الحسين (عليه السلام). فبكى رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) وضمه إلى صدره، ثم قال رسول

---

١) مستدرك الصحيحين، ٤: ٤٨٧، كنزالعمال، ٦: ٤٠، فضائل الخمسة، ٣: ٣٥١.

٢) أسد الغابة، ٤: ١٠٧، كنزالعمال، ٨: ١٩٢.

٣) ميزان الاعتدال، ٢: ١١٩، المستدرك، ١: ٣٦، وج ٤: ٩٠، وج ٢: ٥٢٥.

الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم): وضعت عندك هذه التربة فشمها رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) وقال: ريح كرب وبلاء، وقال: يا أُم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي ان ابني قد قُتل، فجعلتها أُم سلمة في قارورة ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: ان يوماً تحولين دماً ليوم عظيم. قال: وفي الباب عن عائشة وزينب بنت جحش، وأُم الفضل بنت الحارث وأبي أمامة، وأنس بن الحارث وغيرهم. (أقول) وذكره الهيثمي أيضاً في مجمعه، وقال: رواه الطبراني.[1]

ـ في ذخائر العقبى: قال: وعنها ـ يعني أُم سلمة ـ قالت: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) وهو يسمح رأس الحسين (عليه السلام) ويبكي، فقلت: ما بكاؤك؟ فقال: إن جبريل أخبرني ان ابني هذا يقتل بأرض يقال لها: كربلاء، قالت: ثم ناولني كفاً من تراب أحمر، وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دماً فاعلمي انّه قد قُتل، قالت أُم سلمة: فوضعت التراب في قارورة عندي وكنت أقول: إن يوماً يتحول فيه دماً يوم عظيم. قال: أخرجه الملّا في سيرته.[2]

ـ وفي الصواعق المحرقة: قال: بعد نقل قصة أُم سلمة والقارورة (ما لفظه): وفي رواية عنها: فأصبته يوم قتل الحسين (عليه السلام) وقد صار دماً، (ثم قال) وفي أخرى ثم قال: ـ يعني جبريل ـ ألا أريك تربة مقتله؟ فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) في قارورة، قالت أُم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين (عليه السلام) سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً إبشروا بالعذاب والتذليل

---

١) تهذيب التهذيب، ٢: ٣٤٧، مجمع الهيثمي، ٩: ١٨٩.

٢) ذخائر العقبى، ١٤٧، فضائل الخمسة، ٣: ٣٥٤.

قد لعنتم على لسان ابن داود ومـــوسى وحـامل الإنـجيل

قالت: فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً.[١]

إنّ الأخبار التي تعرضت لذكر مظلومية أهل البيت (عليهم السـلام) بـعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كثيرة لا يستوعبه المقام، لذا نكتفي بهذا القدر منها وننتقل إلى ذكر مصاديقها الدموية المأساوية ابتداءاً من يوم السـقيفة والهجوم على بيت الزهراء إلى يومنا هذا...

---

١) الصواعق المحرقة، ١١٥.

حادثة الهجوم على دار الزهراء (ع) وأضرام النار فيها

سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) يروي حادثة الهجوم على دار الزهراء (عليها السلام) حيث قال: فلما ان رأى علي (عليه السلام) خذلان الناس إياه وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر، وتعظيمهم إياه لزم بيته.

فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع، فإنه لم يبق أحد إلّا وقد بايع غيره، وغير هؤلاء الأربعة ـ يعني بهم سلماناً وأبا ذر والمقداد، والزبير أو عمار بن ياسر ـ.

وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غوراً. والآخر أفظهما وأغلظهما وأجفاهما.

فقال له أبو بكر: من نرسل إليه؟

فقال عمر: نرسل إليه قنفذاً فهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بني عدي بن كعب، فأرسله وأرسل معه أعواناً.

فانطلق فاستأذن على علي (عليه السلام) فأبى أن يأذن لهم. فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما.

فقالوا: لم يؤذن لنا؟

فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم وإلّا فادخلوا بغير إذن.

فانطلقوا فاستأذنوا، فقالت فاطمة (عليها السلام): أحرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن، فرجعوا وثبت قنفذ الملعون، فقالوا: إن فاطمة قالت: كذا وكذا فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن.

فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء، ثم أمر أناساً حوله بتحصيل الحطب

وحملوا الحطب، وحمل معهم عمر فجعلوه حول منزل علي (عليه السلام) وفيه علي وفاطمة وابناها (عليهم السلام).

ثم نادى عمر حتى أسمع علياً وفاطمة: والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإلّا أضرمت عليك النهار.

فقامت فاطمة (عليها السلام) فقالت: يا عمر ما لنا ولك؟

فقال: أفتحي الباب وإلّا أحرقنا عليكم بيتكم.

فقالت: يا عمر أما تتقي الله! تدخل على بيتي؟ فأبى أن ينصرف ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب، ثم دفعه فدخل، فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) وصاحت: يا أبتاه! يا رسول الله!

فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها.

فصرخت فاطمة ـ ثانية ـ يا أبتاه.

فرفع السوط ـ عمر ـ فضرب به ذراعها، فنادت: يا رسول الله فبئس ما خلفك أبو بكر وعمر.

فوثب علي (عليه السلام) فأخذ بتلابيه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله (ص) وما أوصاه به[1] فقال:

والذي كرّم محمّد (ص) بالنبوّة يا ابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق، وعهد عهد إليّ رسول الله (ص) لعلمت أنك لا تدخل بيتي.

فأرسل عمر يستغيث. فأقبل الناس حتى دخلوا الدار، وثار علي (عليه السلام) إلى سيفه، فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوّف أن يخرج علي (عليه السلام) بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدّته.

---

١) تفسير فرات، ١٧٦، البحار، ٢٢: ٤٩٦ـ٤٩٧، باب ١.

فقال أبو بكر لقنفذ: ارجع فإن خرج [وإلّا] فاقتحم عليه بيته، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم بالنار!!

فانطلق قنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي (عليه السلام) إلى سيفه فسبقوا إليه وكاثروه، فتناول بعض سيوفهم فكاثروه، فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينهم وبينه فاطمة (عليها السلام) عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها مثل الدملج من ضربته لعنه الله.[1]

هكذا عاملوا الزهراء روحي فداها فجعلوها عرضة لسياطهم وصفعاتهم، البضعة التي أوصى بها رسول الله (ص) وقال: فاطمة بضعة منّي من آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله. يرضى الله لرضاها، ويغضب لغضبها، وإذا بها تهان وتذل وتتلوى ألماً تحت سياطهم وصفعاتهم ولا أحد منهم يرق لحالها.

وماتت الزهراء (ع) وهي ساخطة على الشيخين أبي بكر وعمر، وهذا ما أشارت إليه كتب الجمهور بوضوح.[2]

أرغام علي (ع) على البيعة لأبي بكر

ولما مروا بعلي (عليه السلام) وهو مكبلاً بالحبال، فرآه أبو ذر، والمقداد وسلمان، فكانت ردود فعلهم متفاوتة حسب درجة صبر وتحمل كل واحد منهم

---

١) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق، كنزالعمال، ٦: ٢٢٠، فيض الغدير، ٤: ٤٢١، خصائص النسائي، ٣٥، مسند أحمد، ٤: ٣٢٨، حلية الأولياء، ٢: ٤٠، صحيح الترمذي، ٢: ٣١٩، مستدرك الصحيحين، ٣: ١٥٨ و ١٥٩ و ١٥٣، وكنزالعمال، ٦: ٢١٩، ميزان الاعتدال، ٢: ٧٢.

٢) الإمامة والسياسة، ١٤، مسند أحمد، ١: ٩، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد، والبيهقي في سننه، ٦: ٣٠٠، التتمة في تواريخ الأئمة، ٤٣، ألقاب الرسول وعترته، ٢٤٥.

وإيمانه.

فقال أبو ذر بعد أن ضرب بيده على الأخرى: ليت السيوف قد عادت بأيدينا ثانية.

وقال المقداد: لو شاء لدعا عليه ربّه عزّ وجلّ.

وقال سلمان: مولاي أعلم بما هو فيه.

جاؤوا بعليّ (عليه السلام) وحبل الزريق في رقبته والمسلمون ينظرون إليه ولا يحركون ساكناً، ولا ينبسون ببنت شفة من شدة الخوف والذهول.

ولعل بعضهم تساءل: أهذا علي الذي زرع الخوف والرعب في قلوب أعداء الله فكانوا يذوبون خوفاً وفزعاً من سماع اسمه قبل أن يلمحون لمعان سيفه البتار!!!

أهذا الذي جندل أشجع فرسان العرب في سوح الوغي، وماتزال إلى الآن أحلاف الشرك والكفر والنفاق تبكي ـ على قتلاها ـ الذين بتروا بذي الفقارة دماً...

أهذا الذي قال عنه رسول الله يوم برز لعمر ابن ود العامري في واقعة الأحزاب: لقد برز الإيمان كله للكفر كله...

أهذا الذي قلع باب خيبر ومدها جسراً على خندق الكفر والنفاق... وصرع أشجع شجعان اليهود مرحباً...

أهذا الذي أثنا عليه الله في كتابه المجيد وأبان فضائله في أكثر من ثلاث مائة آية من آيات الذكر الحكيم!!!

أهذا الذي قال عنه رسول الله (ص): علي مع الحق، والحق مع علي لا يفترقان حتى يردا عليَّ الحوض...

أهكذا يقاد مكبلاً ذليلاً أمام مسمع ومرآى ممن يزعم انه من صحابة

رسول الله وقد شاهد فيما مضى بطولات علي، وسمع ما جاء بفضله عن رسول الله (ص)...

ألم يثير هذا المشهد المأساوي في نفوسهم الحمية والغيرة على بطل الإسلام ومركع الطغام، ومحطم الأصنام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وخصوصاً عندما يروا زوجته بضعة المصطفى وهي تجري ورائه مذهولة مروعة بالضرب والسياط، ومن خلفها الحسنان يصرخان ويندبان جدهما رسول الله...

أين الضمير الإنساني؟؟ أين النخوة والغيرة العربية؟؟؟

كيف سمح لجناة القوم ونفايات المجتمع أمثال قنفذ والمغيرة ونظائرهم ان تمتد أياديهم الآثمة لتنال بضعة المصطفى وريحانتيه الحسن والحسين بالضرب والتنكيل، وأن يقودوا نفس رسول الله (ص) مكبلاً بالحبال وبهذه الصورة المروعة.

ليت السماء أطبقت على الأرض ولا نسمع بذكر هذه المشاهد المأساوية.

ودخل علي (ع) مسجد رسول الله (ص) ـ بتلك الحالة ـ وهو يقول: أما والله لو وقع سيفي بيدي لعلمتم أنكم لن تصلوا إلى هذا منّي، وبالله لا ألوم نفسي في جهد، ولو كنت في أربعين رجلاً لفرقت جماعتكم، فلعن الله قوماً بايعوني ثم خذلوني.

قال: فانتره عمر بن الخطاب فقال له: بايع.

فقال: وإن لم أفعل؟

قال: إذاً نقتلك ذلاً وصغاراً.

قال: إذن تقتلون عبدالله وأخا رسول الله (ص).

فقال أبو بكر: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسول الله فلا نقر لك به.

قال علي (ع): أتجحدون أن رسول الله (ص) أخي بين نفسه وبيني، فأعادوا عليه ذلك ثلاث مرات ثم أقبل علي (ع) فقال:

يا معشر المهاجرين والأنصار أنشدكم بالله، أسمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم كذا وكذا[1]، وفي غزوة تبوك كذا وكذا[2]، فلم يدع شيئاً قاله فيه (ع) علانية للعامة إلّا ذكره. فقالوا: اللّهم نعم.

فلما خاف أبو بكر أن ينصروه ويمنعونه، بادرهم فقال: كلّ ما قلته قد سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا، ولكن سمعت رسول الله (ص) يقول بعد هذا: إنّا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا، وان الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوّة والخلافة.

فقال علي (ع): أما أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك؟

فقال عمر: صدق خليفة رسول الله (ص)، قد سمعنا هذا منه كما قال!!

وقال أبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، صدق، قد سمعنا ذلك من رسول الله (ص).

فقال علي (ع): لقد وفيتم بصحيفتكم الملعونة التي [قد] تعاقدتم عليها في الكعبة[2]: إن قتل الله محمد أو أماته أن تزووا[3] هذا الأمر عنّا أهل البيت.

فقال أبو بكر: وما علمك بذلك؟ أطلعناك عليها؟

---

١ و ٢) في «ج» و «د»: أسمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلي مولاه اللّهم وال من والاه، وعاد من عاداه، في غزوة تبوك: يا علي أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا النبوة؟ قال: ولم يدع شيئاً...

٢) مسند سلمان، ٧٧ ـ ٧٨، خطي لم يطبع لحد الآن.

٣) يقال: زوي الشيء زوياً، فانزوي: نحاه فتنحى، وزويت الشيء: جمعته وقبضته. لسان العرب، ١٤: ٣٦٣.

قال علي (ع): يا زبير ويا سلمان وأنت يا مقداد أذكركم بالله وبالإسلام، أسمعتم رسول الله (ص) يقول ذلك لي: إن فلاناً وفلاناً ـ حتى عدّ هؤلاء الخمسة ـ قد كتبوا بينهم كتاباً، وتعاهدوا على ما صنعوا؟

قالوا: اللّهم نعم، قد سمعناه يقول ذلك لك، فقلت له: بأبي أنت وأُمي يا نبي الله، فما تأمرني أن أفعل إذا كان ذلك؟ فقال لك: إن وجدت عليهم أعواناً فجاهدهم ونابذهم، وإن لم تجد أعواناً فبايعهم [واصبر] واحقن دمك.

فقال علي (ع): أما والله لو أن اولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتكم في الله والله [حق جهاده]، أما والله لا ينالها أحد من عقبكم إلى يوم القيامة.[1]

وعن كيفية بيعة الإمام علي (ع) لأبي بكر قال صاحب (كتاب التتمة في تواريخ الأئمة): وخرجوا بعليّ يقودونه إلى مجلس أبي بكر إلى أن وصلوا به إليه، ثم عرضوا عليه البيعة له فامتنع، فوضعوا يده قهراً في يد أبي بكر، فضم أصابعه، فأرادوا فتحها فلم يمكنهم. فمسح عليها أبو بكر وهي مضمومة، وقالوا: إنه قد بايع...[2].

اتهام علي (ع) بقتل عثمان ومطالبته بدمه

كان الغضب الجماهيري على عثمان قد بلغ ذروته من جراء سوء المعاملة، وابتزاز الأموال، وممارسة العنف، وانعدام العدل، وسوء الإدارة من قبل ولاة أمره الذين سلطهم على رقاب المسلمين، وجعلهم حكام وقضاة، وولاة، وقادة جيش لا لكفائتهم وعلمهم وحسن أخلاقهم، بل لأنهم أقربائه وأبناء جلدته ليس إلّا.

---

١) الاحتجاج، ١: ٢١٣ ـ ٢١٥.

٢) التتمة، ٥٢، سليم بن قيس، ٣٦.

وعندما كان المسلمون والصحابة الأجلاء يعترضون على تصرفاته وانحيازه التام بجانب ولاته، وسكوته على قبائحهم المخزية من قبيل شرب الخمور وممارسة الفجور، كان عثمان يعرّض المعترضين لأقسى العقوبات.

فنفى أبا ذر إلى الربذة ومنع الناس من توديعه ومساعدته والعطف عليه. فذهب أبو ذر إلى الربذة ليواجه الجوع والمرض والموت البطيء. وبعد فترة قضى نحبه شهيداً في صحراء الربذة مع أفراد أسرته عدا ذر التي عاشت من بعده، وهي التي دلت مالك الأشتر وأصحابه على جثمانه فقاموا بتجهيزه والصلاة عليه ودفنه.

ولما قدّم له عمار بن ياسر عريضة المعترضين على اجراءات مروان ونظرائه التعسفية، فنزل عثمان من على منبر رسول الله (ص) وأخذ يضرب عمار ويشبعه ركلاً بقدميه حتى أحدث فيه فتقاً فأغمي عليه وحمل إلى بيت أُم سلمة.

ان هذه الممارسات الغير إنسانية التي بدرت من عثمان هي التي أججت سخط الجماهير المسلمة وأحدثت الثورة عليه.

وكان لأُم المؤمنين عائشة دوراً بارزاً في تأليب الجماهير عليه، وتأجيج نار الثورة، حيث كانت تنادي بشعارها المعروف (اقتلوا نعثلاً فقد كفر).

وحين طوّقت الجماهير الثائرة بيت عثمان كان الحسنان يقومان بحراسته ومنع الناس من دخول بيته.

وطالما استنجد عثمان بمعاوية في أثناء فترة الحصار ولكن دون جدوى، لأن معاوية كما يبدو من سياق الأحداث كان راغباً من قتله كي يزيح عن طريق وصوله إلى الخلافة حجراً كبيراً، وإلّا لأنجده وفك الحصار عنه.

وبعد مقتل عثمان ومبايعة علي (ع) بالخلافة رفع الطرفان عائشة ومعاوية شعار الثأر لعثمان ومطالبة علي (ع) بدمه.

فقامت عائشة تحت هذا الشعار بأحداث حرب الجمل ضد علي (ع)، وقام معاوية بأحداث صفين. ويا لهما من حربين قاسيتين التهمتا عشرات الألوف من المسلمين وفي طليعتهم صحابة الرسول الأكرم (ص)، وخلفت مئات الألوف من اليتامى والأرامل عاشوا المآسي والآلام..

فبماذا نفسر هذه الأعمال العدوانية بغير الحقد الدفين، والعداء المقيت لعلي وأبنائه الميامين (ع).

وصدق رسول الله (ص) حين قال: ... وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية، وبنو المغيرة، وبنو مخزوم...[1]، فلقد كشفت هذه الأحداث المؤلمة عن تحالف هذه الفصائل الثلاث ضد علي وأهل البيت (ع)، وأظهرت شدة حقدها وبغضها لها بأجلا المصاديق وأكثرها وضوحاً..

معاوية يمارس سياسة الخداع والتضليل ونقض العهود والمواثيق

مارس معاوية ابن أبي سفيان سياسة المكر والخداع والتضليل ابتداءاً من عملية رفع المصاحف على الرماح في صفين حين أيقن بهزيمته أمام جيش الإمام علي (ع).

وكان لمكيدته هذه أثر بالغ في شق جيش الإمام (ع) وخروج أكثر من ثمانية عشر ألف مقاتل عليه يطالبونه بالتحكيم، مما أدى إلى خروج معاوية من الأزمة بسلام، وإضعاف جيش الإمام علي (ع) بانشقاقه على نفسه ونشوء فرقة الخوارج الذين خاضوا الحرب معه في النهروان وخططوا لاغتياله فيما بعد.

وسن معاوية سنة سيئة وذلك بسب الإمام علي (ع) في القنوت والبرائة

---

١) مستدرك الصحيحين، ٤: ٤٨٧، كنزالعمال، ٦: ٤٠، فضائل الخمسة، ٣: ٣٥١.

منه، ومنع الروات من ذكر فضائله، بل جنّد الكثير من وعاظ السلاطين لتلفيق التهم ضده وتشويه سمعته حتى أنهم نسبوا له تهمة ترك الصلاة. فلما صرع الإمام علي (ع) في محرابه بمسجد الكوفة استغرب المسلمون وتساءلوا: كيف يقتل في المحراب من لم يكن مصلياً..

واستمرت عملية سب الإمام علي (ع) على منابر المسلمين أكثر من ثمانين سنة حتى جاء عمر بن عبدالعزيز إلى الخلافة فرفعها وأبطل مفعولها.

وبفضل سياسة المكر والخداع استطاع معاوية أن يفتت جيش الإمام الحسن (ع) ويفرض عليه صلحاً غير عادل، ثم ينقض بنود ذلك الصلح الذي افترضه عليه حين مجيئه إلى الكوفة وصعوده منبرها حيث قال: أما العهود والمواثيق التي أعطيتها للحسن بن علي فها هي تحت قدميَّ هاتين. ثمّ أمر الناس أن يصعدوا المنبر ويلعنوا علياً. ثمّ مارس سب الإمام علي (ع) ولعنه بنفسه من على منبر الكوفة في أثناء خطبته والحسن (ع) جالساً تحت منبره.

ولما أراد قتل الحسن (ع) وتمهيد السبيل لخلافة ولده يزيد خدع جعدة بنت الأشعث ومنّاها بزوجها من يزيد إن هي قتلت الإمام الحسن (ع) وأعطاها مبلغاً من المال، ولكن حينما قتلت الإمام بالسم الذي أرسله إليها لم يفي بعهده في زواجها من يزيد واكتفى باعطائها المال فحسب.

هذه بعض الأمثلة القليلة التي تثبت سياسته اللّاأخلاقية في ممارسة الخداع والتضليل ونقض العهود والتي لا تمت للإسلام بصلة، وقد كشفت هذه السياسة الماكرة النقاب عن مدى الحقد الأموي الدفين لعليّ (ع) وآل البيت (ع)، وساهمت بشكل فعال في إضعاف خطهم وتفريق الشيعة وتشتيتهم.

استشهاد الإمام الحسن (ع) ورمي جنازته بالسهام

استشهد الإمام الحسن (ع) بالسم الذي أرسله معاوية لجعدة بنت الأشعث، وحُمل نعش الإمام وأراد الهاشميون أن يزوره قبر جده ويجددوا به عهداً، غير ان عائشة ومروان ووالي المدينة من قبل معاوية ـ سعيد بن العاص ـ قد منعوا دخول النعش إلى مشهد الرسول الأعظم (ص) ظناً منهم بأن الحسين يريد دفن أخيه بجوار قبر جده رسول الله (ص).

قالت عائشة ـ ويومئذ كانت تمتطي بغلاً ـ: لا تدخلوا بيتي من لا أحب. وقال مروان: أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند قبر جده، لا والله لا يكون ذلك... ورمى من معه نعش الإمام الحسن (ع) بسبعين سهماً، وحاول الهاشميون تجريد سيوفهم للرد عليهم، وكادت الفتنة أن تقع لولا تدخّل الحسين ومنع وقوعها...[1].

هكذا كانت سهام حقد الأمويين تلاحق العلويين أحياءً وأموات...

خروج الحسين (ع) واستشهاده في كربلاء

لما هلك معاوية ابن أبي سفيان واستلم الخلافة ابنه يزيد، أرسل والي المدينة في طلب الحسين بن علي ليأخذ منه البيعة ليزيد بناءً على طلبه وأمره، لكن الإمام الحسين (ع) طلب منه أن يمهله إلى الغد وقال ما معناه: إن مثلي لا يبايع سراً...

---

١) كشف الغمة، ١: ٥٨٥، الخرائج والجرائح، ١: ٢٤٣، مناقب ابن شهرآشوب، ٤: ٤٥، مقاتل الطالبيين، ٣١، التتمة في تاريخ الأئمة، ٧٠ـ ٧١.

وكان مروان حاضراً فقال للوليد: خذ البيعة منه الآن، فإن فاتك الثعلب فلا ترى إلّا غباره.

وقال أيضاً للوليد لما استشاره في أمر الحسين وطلب البيعة منه: مع أني أعلم ان الحسين بن علي لا يجيبك إلى بيعة يزيد، ولا يرى له عليه طاعة، ووالله لو كنت موضعك لم اراجع الحسين بكلمة واحدة حتى أضرب رقبته، كائناً في ذلك ما كان.

وعظم ذلك على الوليد وهو أحنك بني أمية وأملكهم لعقله ورشده فقال لمروان: ياليت الوليد لم يولد ولم يك شيئاً مذكوراً.

فسخر منه مروان وراح يندد به قائلاً: لا تجزع مما قلت لك، فإن آل أبي تراب هم الأعداء من قديم الدهر ولم يزالوا، وهم الذين قتلوا الخليفة عثمان بن عفّان، ثم ساروا إلى أميرالمؤمنين ـ يعني معاوية ـ فحاربوه...

ونهره الوليد بن عتبة فقال له: ويحك يا مروان، اعرض عن كلامك هـذا، وأحسن القول في ابن فاطمة فإنه من بقية النبوّة.[1]

ولما علم مروان برفض الحسين للبيعة، قال للوليد: لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، أحبسه فـإن بايع وإلّا ضربت عنقه.

ووثب أبي الظيم إلى الوزغ ابن الوزغ فقال له: يا ابن الزرقاء أأنت تقتلني أم هو؟ كذبت والله ولؤمت. وأقبل على الوليد، فأخبره عن عزمه وتصميمه على رفض البيعة ليزيد قائلاً: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومحل الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق، شارب خمر،

---

١) الفتوح، ٥: ١٢ ـ ١٣، وأنظر كتاب (حياة الحسين)، ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر، وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة.[١]

والغرض من هذا الاستطراد الموجز لمقدمة الثورة الحسينية هو اظهار حقد مروان والبيت الأموي لآل البيت (ع) على حقيقته، ولا غرابة في ذلك لأن مروان والأمويون يثأرون لقتلاهم في بدر وأُحد، تلك الرؤوس العفنة التي حصدها سيف الإمام علي (ع) بجدارة واقتدار.

وان ما يزيد في حقد مروان على الحسين (ع) والبيت النبوي هو نفيالرسول الأكرم (ص) لأباه عن المدينة المنوّرة ولعنه ولعن من تناسل منه.

وبعد هذا الاستطراد نعود إلى صلب الموضوع ثانية لنتابع حركة الحسين بعد رفضه البيعة ليزيد.

خرج الحسين (ع) في الليلة الثانية باخوته واهل بيته من المدينة المنوّرة قاصد مكّة المكرّمة، وحال وصوله إليها علم بأن الأمويين عازمون على قتله حتى إذا كان معلقاً بأستار الكعبة. لذا بادر إلى الخروج منها قبل أن يكمل حجه وتوجه إلى العراق لئلّا يكون السبب في هتك حرمة الكعبة المكرّمة بسفك دمه فيها.

وفي أثناء مسيره إلى كربلاء سمع بخبر استشهاد ابن عمه مسلم بن عقيل الذي سبق أن أرسله الحسين (ع) لأخذ البيعة له من أهل الكوفة.

ولسنا الآن بصدد دراسة أسباب فشل حركة مسلم وما ترتب عليها من نتائج، وإنما نريد أن نسلط الأضواء على الحقد الأموي الذي جسّد أبشع الجرائم وأكثرها وحشية. فحالما ظفر عبيدالله بن زياد بمسلم بن عقيل، أمر بكر بن

---

١) تاريخ ابن الأثير، ٣: ٢٦٥، الفتوح، ٥: ١٨، حياة الحسن، ٢: ٢٥٥.

حمران بأن يصعد به إلى أعلى القصر ليضرب عنقه ويرمي بـجثمانه الشـريف، ويأتي برأسه...[١].

ورمي الجثمان من أعلى القصر وربط الحاقدون الحبال برجليه وسحبوه في الأسواق والطرقات لغرض زرع الخوف والرعب في نفوس الموالين له. فكان أول شهيد مثل بجسمه هذا التمثيل البشع الذي لم يسبق له نظير.

ان سماع الحسين (ع) بخبر استشهاد مسلم بتلك الصورة المأساوية وان آثار الحزن والأسى في نفسه إلّا أنه لم يعيق حركة سيره نحو الهدف، بل أجدّ السير ليل نهار حتى وصل كربلاء في الثاني من المحرم عام ٦١ للهجرة.

وفي اليوم العاشر من المحرم وقعت المعركة الدامية بين الإسلام الأصيل المتجسد بسيد شباب أهل الجنة وأخوته وأصحابه الأبرار وبين النفاق المتبرقع بالإسلام، أو بين الرسول الأكرم (ص) وصحبه الأخيار المتمثل بذريته وأهل بيته وعلى رأسهم الحسين بن علي (ع)، وبين أبي سفيان وأبي لهب المتمثل بـيزيد وصحبه الأشرار، وعادت المواجهة الشرسة بين الإسلام وأعدائه تتجلى بأبشع صورها على صعيد كربلاء لتعيد إلى الذاكرة صور الصـراع الدامـي الذي ذهب ضحيته عشرات الآلاف من كلا الطرفين.

وقبل شروع المعركة وقف الحسين (ع) أمام جيش الشرك والنفاق ليعلمهم بأنهم عازمون على قتل سبط الرسول الأكرم (ص) والذرية الطهارة مـن أهـل البيت التي طالما أوصى بها في محافلهم واجتماعاتهم السالفة وقال: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعتري أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي... ثم ذكّرهم بآية المودة في القربى وأثبت لهم بأدلة مادية بأنه هو ابن رسول الله

---

١) تاريخ الطبري، ٦: ٢١٣، مروج الذهب، ٣: ٩، والفتوح، ٥: ١٠٣، مقاتل الطالبيين: ٧٠ـ ٧٢.

وسبطه وريحانته ووارثه حيث كان يمتطي فرسه، ويرتدي جبته وعمامته، ويتقلد سيفه. فأقروا له بذلك وصدّقوا جميع أقواله.. فقال لهم: إذن لماذا عزمتم على قتلي وقتل آل بيتي وأصحابي الأبرار؟ أتطلبوني بدم سفكته أم بسنة غيرتها، أم لبدعة أحدثتها...

فقالوا له: نقتلك بغضاً لأبيك، وبذا كشفوا حقيقة نواياهم الخبيثة، ومقاصدهم السيئة، ونزعاتهم الجاهلية، وتعصبهم القبلي، وأثبتوا بصورة عملية بأن الإسلام لم يحدث فيهم أي تغير، فلازالت رواسب الجاهلية وعاداتها المقية راسية فى أعماق نفوسهم، وأنهم سيقتلون الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) عن عمد وسبق إصرار..

ودارت المعركة الحاسمة بين الحق والباطل وماهي إلّا ساعات قلائل حتى صرّع جميع أخوة الحسين وأبنائه وأبناء عمومته وصحبه الكرام، فسقطوا جميعاً مجزرين على صعيد كربلاء يسبحون بفيض من الدماء الزاكية.

ولا يفوتنا أن نشير إلى ان العدو قد منع وصول الماء إلى خيام الحسين (ع) منذ ثلاثة أيام، وان عيال الحسين (ع) وأطفاله وأخوته وأبناءه وصحبه باتوا ليلة العاشر من المحرم عطاشى، فلما بقي الحسين وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين جاؤوا له بطفل يكاد الظمأ أن يؤدي بحياته، فجاء به إلى القوم ليستسقي له ماءاً، فقال لهم: إن كان ذنب للكبار فما ذنب الصغار، واستسقى له ماءاً فأبوا أن يسقوه ماءاً، فقال: خذوه واسقوه ماءاً إن خشيتم أن أشرب منه شيئاً... فكان جوابهم أن رموا طفله بسهم محدد ذبحه من الوريد إلى الوريد. يا لها من قلوب قاسية تذكرنا بقساوة هند وأحفادها..

أنظر كيف زرع الأمويون الحقد في نفوس أتباعهم لأهل البيت (عليهم السلام) بحيث لم يعد في نظرهم يمتاز الصغير عن الكبير، والمذنب عن غيره

بشيء. بل الكل محكوم عليه بالموت والفناء.

ففي تلك اللحظات الحرجة والحرّ الشديد برز الحسين (عليه السلام) لقتال القوم وقلبه يستعر ناراً من شدة الظمأ، فقاتلهم قتالاً شديداً ثم سقط شهيداً. وقبل أن يلفظ أنفاسه استسقاهم الماء فأبوا أن يسقوه وهو مشرف على الموت فمات ظمآناً..

وحز القوم رأسه، وسلبوا ملابسه وتركوه وأصحابه عراة مضمخين بدماءهم فوق الرمال الملتهبة من شدة حرارة الشمس.. ثم داست الخيل أجسادهم الطاهرة وطحنت أضلاعهم بحوافرها..

وبفعلهم هذا لم يذبحوا الحسين وصحبه، بل ذبحوا رسول الله (ص) والإسلام على مذبح المصالح والأطماع الشخصية بسيوف جاهلية مفعمة بالحقد والتعصب القبلي المقيت..

ولم يكتفوا بذلك، بل راح مناديهم ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين ولا تبقوا لأهل هذا البيت من باقية، فهجم القوم على خيام الحسين (ع) وعيالاته، فأحرقوا خيامه، وسلبوا نساءه، وسحقوا أطفاله بحوافر خيولهم، وفعلوا ما لم تفعله اليهود بأعدائها..

ودفن القوم قتلاهم وتركوا الحسين وأصحابه بلا دفن وتكفين.

ولم ينتهي الحقد الأموي عند هذا الحد، ولم تشفي دماء الضحايا غليلهم، بل راحت سياطهم المسعورة تلهب ظهور اليتاما والأرامل ناراً.

وذهب موكب السبايا المؤلف من النساء والأطفال وهم مربطون بالحبال، والإمام زين العابدين وسيد الساجدين قد وضعوا الجامعة في عنقه وربطوه إلى بطن الناقة بالأغلال لأنه كان عليلاً لا يقوى على الجلوس.

وطافوا بعقائل بيت النبوّة ويتام الإمام الحسين في شوارع الكوفة وهم

بأرث حال وفي أجواء مشحونة بالحقد والكراهية لأهل البيت (ع).

ودخلوا مجلس الطاغية عبيدالله بن زياد على تلك الحال ولا أحد يـرق لحالهم، وأخذ الطاغية يتبجح بنصره أمام مجموعة من الثكالى واليتاما ويشـتم الحسين وأباه ويعرب عن شماتته بعقيلة الهاشميين ويحاول اذلالها وأهانتها فى مجلسه أمام حثالات البشر، ولما وبخته وردّت أقواله المشينة تناول سوطاً وأراد أن يضربها به لولا منعه من قبل أحد جلسائه حيث قال له: أنها امرأة ولا تؤاخذ على شيء من أقوالها.

يا للجبن والخسة والدناءة، حقاً أنهم أشباه رجال وليسوا برجال، لأنـهم افتقدوا كل معاني الرجولة وسماتها، كالعفة والغيرة والشهامة، واستهانوا بـالمرأة ـ التي كرمها الإسلام ورفع شأنها ـ إلى هذا الحد بحيث لا تؤاخذ على شيء من أقوالها حتى إذا كانت عقيلة الطالبيين وابـنة خـير المسـلمين بـعد رسـول الله، أميرالمؤمنين وخليفة المسلمين، وأُمها سيدة نساء العـالمين. إذا كـان الأوغـاد وأبناء البغايا هكذا يعاملون النساء والأسرى مـن آل الرسـول والذريـة الطـيبة فكيف كانوا يعاملون الأخريات من غير آل البيت..

ان القوم أبناء القوم، ونظرة الاحتقار والاستخفاف بالمرأة هذه امتداد لنظرة الآباء لها، الذين كانوا يأدونها ويعتبرونها جزءًا من ممتلكاتهم كالأنعام والبهائم..

أنسينا كيف عامل أبو لهب وأبو جهل وأبو سفيان سميّة أُم عمار بن ياسر حيث أشرفوا على تعذيبها تحت وهج الشمس المحرقة وعلى رمال الصـحراء المستعرة حتى الموت؟

أنسينا معاملة معاوية ابن أبي سفيان القاسية مع جملة من النساء الخيّرات منهن زوجة عمر بن الحمق الخزاعي. وكان يزيد خير من جسد سياسة أبيه مع عقائل آل الرسول (ص) في مجلسه بالشام حيث أكال لهن الشـتم والسـباب،

وأوغل في أذلالهن وأمتهانهن، وأجج نار الحزن والأسى في قلوبهن عندما تناول سوطه وأخذ يضرب به ثنايا أبي عبدالله (ع) أمامهن. وبعد انتهاء مجلسه أنزلهن في خرابة مكشوفة حيث تلفح وجوههن حرارة الشمس ورياح الصيف العاتية..

هل هناك عداء وكراهية وقسوة أشد من هذه؟؟؟

ولو سئلنا يزيد نفسه عن سبب عدائه وحقده وكراهيته لأهل البيت فيجيبنا مترنماً بأبيات الشعر التالية:

ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
ليست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[1]

لقد أبان بصراحة سبب حقده وكراهيته لأهل البيت (ع): وهو الانتقام والثأر لقتلاه في بدر، هذه هي الحقيقة التي لم يجرء غير يزيد التصريح بها، ثم

---

١) مصادر البحث: أنساب الأشراف، ق ١، ج ١، التأريخ السياسى للدول العربية، ٢ : ٧٥، مقتل الحسين للمقرم، ٣٤٧، تاريخ المظفري، ٢٣٠، شرح شافية أبي فراس، سير أعلام النبلاء، ٣: ٢٠٤، الصراط السوي في مناقب آل النبي، ٩٠، اللهوف، ٧٤، تاريخ الطبري، ٦ : ١٦١، مناقب ابن شهرآشوب، ٤ : ١١١، تاريخ ابن كثير، ٨: ١٨٩، مقتل الخوارزمي، ٢ : ٣٩، تاريخ دول الإسلام، ١ : ٥٧، وجاء فيه: أن الجيش حمل جثة الإمام العظيم إلى ابن سعد فأمر الخبيث أن تدوس الخيل صدر الإمام وظهره. أمالي الطوسي، ١ : ١٦١، مخطوط، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ٩٧، تاريخ الطبري، ٦ : ٢٦٣، المنتظم، ٥ : ٩٨، عيون الأخبار لابن قتيبة، ٢ : ١٩٧، وفيات الأعيان، ٥ : ٣٩٥، تاريخ ابن الأثير، ٣ : ٢٩٨، تاريخ اليعقوبي، ٢ : ٢٢٢، تاريخ الإسلام للذهبي، ٢ : ٣٥١، تاريخ القضاعي، ٧٠، المعجم الكبير للطبراني، ١ : ١٤٠، صبح الأعشى، ٤ : ٩٧، تهذيب التهذيب، ١ : ١٥٧، تذكرة الخواص، ٤٩، الفصول المهمة، ١٨٢، الإرشاد، ٢٧٦، أعلام النساء، ١ : ٥٠٤، البداية والنهاية، ٨: ١٩٢ وكثير غيرهم.

كشف النقاب عن كفره وعدم إيمانه بالإسلام بصراحة متناهية حيث قال:

لعـبت هـاشم بـالملك فـلا خـبر جـاء ولا وحـي نـزل

ألا تعساً لاولئك الذين يؤمنون بخلافة هذا الوغـد الكـافر الحـاقد الفـاسق الفاجر...

ونطوي بذا صفحة العداء الأموي لأهل البيت (ع)، لننتقل إلى بيان عـداء العباسيّين لهم عبر تاريخ طويل اتسم بالعدوان والقساوة المنقطعة النظير..

العداء العباسي لأهل البيت (ع)

وسقط الحكم الأموي في سنة ١٣٢ عـلى يـد أبـي مسـلم الخـراسـاني وأبو العباس السفاح[١]، وبدأ دور الخلافة العباسيّة.

وظن الناس أن انفراجاً سـياسياً سـيحصل بـمجيء دولة بـني العـباس، وستخف وطئة الحقد والبغض لأهل البيت (ع)، لا سيما ان العباسيين استطاعوا أن يسقطوا الدولة الأموية بشعار الرضا من آل مـحمد (ع)، وبشـعار يـالثارات الحسين (ع)..

ولكن خاب ظن الناس، فازداد الحقد لأهل البيت (ع) واشتدت الهـجمة الوحشية الشرسة عليهم أكثر من ذي قبل، وثبت للـجميع ان تـلك الشـعارات رفعت لغرض تضليل الجماهير الموالية لآل محمد (ص) واكتساب ودهـا كـي يتمكنوا بذلك الدعم الجماهيري القوي من اسقاط الدولة الأموية..

---

١) لقب بالسفاح لكثرة القتل وسفح الدماء، واسمه عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس. أنظر مروج الذهب، ٣: ٢٥١، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٨٩، إعلام الورى، ٢٧٢، التتمة في تاريخ الأئمة.

فبدلاً من أن يعطف العباسيون على أبناء عمومتهم العلويين، ويزيحوا عن جباههم آثار النوائب والمآسي الماضية، ويخففوا من شدة أحزانهم وآلامهم، نراهم راحوا يكيدون المكائد لهم، ويعزموا على إتمام الدور الأموي باستئصال شأفتهم، واقتلاع جذورهم من سطح الأرض. فأكثروا في صفوفهم القتل ووضعوا الكثير منهم في أسس الأبنية والاسطوانات الضخمة التي أشادوا عليها قصورهم ومساجدهم ودوائر قضائهم الجائرة وملئوا منهم السجون المظلمة، والدهاليز الداكنة الكئيبة التي لا يمتاز فيها الليل من النهار، وشردوهم شر تشريد حتى ان البعض من العلوليين وصلوا إلى أقصى نقاط العالم فراراً من الارهاب والبطش العباسي.

ولنذكر الآن لك عزيزي القارئ لمحات من شرر الحقد العباسي البغيض لآل محمد (ص). فبعد وفاة أبي العباس السفاح استلم زمام الخلافة أبو جعفر المنصور الملقّب بالدوانيقي وهو أخوه، وحصل ذلك في سنة ست وثلاثين ومائة.[1]

وكان المنصور شديد البغض والعداوة للصادق (ع)، وروي أنه استدعاه مرات متعددة يريد قتله.[2]

منها: ما رواه ابن طاووس في مهج الدعوات عن الربيع، قال: حججت مع أبي جعفر المنصور، فلما صرت في بعض الطريق قال لي المنصور: يا ربيع إذا نزلت المدينة فاذكرني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (عليهم السلام) فوالله العظيم لا يقتله أحد غيري، إحذر أن تدع أن تذكّرني به، قال: فلما صرنا إلى المدينة أنساني الله عزّ وجلّ ذكره، فلما صرنا إلى مكة قال لي: يا ربيع

---

١ و ٢) مروج الذهب، ٣: ٢٥١، تاريخ اليعقوبي، ٢: ٨٩، إعلام الورى، ٢٧٢، التتمة في تواريخ الأئمة، ١٠٠.

ألم آمرك أن تذكرني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة، قال: فقلت: نسيت يا مولاي يا أميرالمؤمنين، فقال لي: فإذا رجعنا إلى المدينة فذكرني به فلابدّ من قتله، فإن لم تفعل لأضربنّ عنقك. قال: فقلت له: نعم يا أميرالمؤمنين، ثم قلت لأصحابي وغلماني: ذكّروني بجعفر بن محمد إذا دخلنا المدينة إن شاء الله، قال: فلم يزل أصحابي وغلماني يذكّروني به في كل منزل ندخله وننزل فيه حتى قدمنا المدينة، فلما نزلنا المدينة دخلت إلى المنصور فوقفت بين يديه وقلت: يا أميرالمؤمنين! جعفر بن محمد، قال: فضحك وقال لي: نعم، إذهب يا ربيع فأتني به، ولا تأتني به إلّا مسحوباً، قال: فقلت له: يا مولاي حباً وكرامة، وأنا أفعل ذلك طاعة لأمرك.

قال: ثم نهضت وأنا في حال عظيم من ارتكابي ذلك، قال: فأتيت الإمام الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام) وهو جالس في وسط داره، ثم نهض وهو معي يمشي، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله (ص) إنه أمرني ألّا آتيه بك إلّا مسحوباً. قال: فقال الصادق (ع): امتثل يا ربيع ما آمرك به. قال الربيع: فأخذت بطرف كمّه أسوقه، فلما أدخلته عليه وهو جالس على سريره وفي يده عمود من حديد يريد أن يقتله به، ونظرت إلى جعفر بن محمد يحرك شفتيه فلم أشك أنه قاتله.. ويبدو من سياق القصة إن الإمام نجى من كيد المنصور بفضل دعائه...[1].

ومنها: وقد استدعاه بها المنصور إلى بغداد قبل قتل محمد وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن[2]، روى ذلك الشريف رضي‌الدين بسنده عن محمد بن الربيع الحاجب، قال: قعد المنصور يوماً في قصره بالقبة الخضراء، وكانت قبل قتل

---

١) الإمام الصادق، ١: ٩٧ـ٩٨.

٢) كان قتلهما عام ١٤٥، وانتقال المنصور إلى بغداد عام ١٤٦، فلا وجه لأن يكون استدعاءه إلى بغداد قبل قتلهما، فإما أن يكون إلى الكوفة والغلط من النساخ، أو الراوي، أو الاستدعاء بعد قتلهما، الإمام الصادق، ١: ١٠٣.

محمد وإبراهيم تدعى الحمراء، وكان له يوم يقعد فيه ويسمّى ذلك اليوم يوم الذبح، وقد كان أشخص جعفر بن محمد من المدينة، فلم يزل في الحمراء نهاره كله حتى جاء الليل ومضى أكثره قال: ثم دعا الربيع فقال له: يا ربيع إنك تعرف موضعك منّي وأنه يكون بي الخير ولا تظهر عليه أمهات الأولاد وتكون أتت المعالج له، قال: قلت: يا أميرالمؤمنين ذلك فضل الله عليّ وفضل أميرالمؤمنين وما فوقي في النصح غاية، قال: كذلك أنت سر الساعة إلى جعفر بن محمد بن فاطمة فأتني به على الحال التي تجده فيها لا تغيّر شيئاً ممّا عليه، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هذا والله هو العطب، إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله وذهبت الآخرة، وإن لم أذهب في أمره قتلني وقتل نسل، وأخذ أموالي فميزت بين الدنيا والآخرة فمالت نفسي إلى الدنيا، قال محمد بن الربيع: فدعاني أبي وكنت أفظّ ولده وأغلظهم قلباً، فقال لي: إمض إلى جعفر بن محمد فتسلّق عليه حائطه ولا تستفتح عليه بابه فيغيّر بعض ما هو عليه ولكن انزل عليه نزلاً، فأت به على الحال التي هو فيها، قال: فأتيته وقد ذهب الليل إلّا أقله، فأمرت بنصب السلالم وتسلّقت عليه الحائط ونزلت داره فوجدته قائماً يصلّي وعليه قميص.. ـ إلى أن قال ـ: ثم أدخلته فوقف بين يديه، فلما نظر إليه قال: وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك وفسادك على أهل هذا البيت من بني العباس وما يزيك الله بذلك إلّا شدّة حسد ونكد، ما تبلغ به ما تقدره ـ وكان الإمام (ع) حافياً حاسراً حين وقف بين يديه وهو شيخ كبير السن قد تجاوز عمره السبعين عاماً ـ فقال له: والله يا أميرالمؤمنين ما فعلت شيئاً من ذلك، هذا ولقد كنت فى ولاية بني أُمية وأنت تعلم أنهم أعدى الخلق لنا ولكم، وأنهم لا حق لهم في هذا الأمر، فوالله ما بغيت عليهم، ولا بلغهم عنّي مع جفائهم الذي كان لي، وكيف يا أميرالمؤمنين أصنع الآن هذا وأنت ابن عمّي وأمس الخلق بي رحماً، وأكثرهم عطاءً وبراً،

فكيف أفعل هذا، فأطرق المنصور ساعة، وكان على لبد[١] وعن يساره مرفقة خز معانيّة[٢]، وتحت لبده سيف ذو فقار كان لا يفارقه إذا قعد في القبة، فقال: أبطلت وأثمت، ثم رفع ثنيّ الوسادة فأخرج منها إضبارة كتب فرمى بها إليه، وقال: هذه كتبك إلى أهل خراسان تدعوهم إلى نقض بيعتي وأن يبايعوك دوني، فقال: والله يا أميرالمؤمنين ما فعلت، ولا أستحق ذلك، ولا هو من مذهبي، وإني ممن يعتقد طاعتك في كل حال، وقد بلغت من السن ما قد أضعفني عن ذلك لو أردته، فصيّرني في بعض حبوسك حتى يأتيني الموت فهو منّي قريب، فقال: لا ولا كرامة، ثم أطرق وضرب يده على السيف فسلّ منه مقدار شبر وأخذ بقبضة، فقلت: إنّا لله ذهب والله الرجل، ثم ردّ السيف وقال: يا جعفر أما تستحي مع هذه الشيبة، ومع هذا النسب أن تنطق بالباطل، وتشق عصى المسلمين، تريد أن تريق الدماء، وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء، فقال: لا والله يا أميرالمؤمنين ما فعلت ولا هذه كتبي ولا خطي ولا خاتمي، فانتضى من السيف ذراعاً، فقلت: إنّا لله مضى الرجل إلى آخره. ثم سلم الإمام منه في هذه المرة أيضاً حيث قال له بعد العتاب: أظنك صادقاً.[٣]

ومنها: ذكر الشريف أبوالقاسم في المرة السابعة رواية عن محمد بن عبدالله الأسكندري، وانه كان من ندماء المنصور وخواصّه، يقول محمد: دخلت عليه يوماً فرأيته مغتماً وهو ينفس نفساً بارداً، فقلت: ما هذه الفكرة يا أميرالمؤمنين، فقال لي: يا محمد هلك من أولاد فاطمة مقدار مائة أو يزيدون، وقد بقي سيّدهم وإمامهم، فقلت له: من ذلك؟ قال: جعفر بن محمد الصادق (ع).

---

١) لعله بساط من صوف.
٢) ظاهر في النسبة إلى معان.
٣) الإمام الصادق، ١: ١٠٣ ـ ١٠٨.

فقلت: يا أميرالمؤمنين إنه رجل أنحلته العبادة، واشتغل بـالله عـن طـلب الملك والخلافة، فقال: يا محمد لقد علمت أنك تقول به وبإمامته ولكن المـلك عقيم، وقد آليت على نفسي ألّا أمسي عشيّتي هذه أو أفرع منه...[1].

وفي هذه المرة سلم الصادق أيضاً بفضل دعاءه وأعجازه، ولكن المنصور لم يهدء له بال حتى اغتال الإمام الصادق في سنة ١٤٨ للهجرة بالسمّ على يد عامله بالمدينة بعد أن قـتل المـئات مـن العـلويين، ومـضى الإمـام مسـموماً مظلوماً...[2].

والذين قتلهم المنصور في عهده غير الإمام الصادق (ع) هم: عبدالله بـن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب (ع) وقتل في محبسه بالهاشمية وهو ابن خمس وسبعين، سنة خمس وأربعين ومائة، وتوفي الحسن بن الحسن بـن الحسن في محبسه بالهاشمية في ذي القعدة سنة ١٤٥ هـ وهو ابن ثمان وستين سنة، وتوفي إبراهيم بن الحسن بن الحسن في الحبس بالهاشمية في ربيع الأول ١٤٥ هـ، وهو أول من توفي منهم في الحبس وهو ابن سبع وستين سنة، وعلي بن الحسن بن الحسن وحبس معه في حبس الهاشمية سبعة من بني عمومته معه ثم قطعوا الماء والغذاء عنهم، فلما فتحوا الباب وجدوهم موتى ماعدا واحد كان فيه رمق فسقوه الماء فعاش، وفي خبر ان أبا جعفر المنصور حبسهم في محبس ستين ليلة ما يدرون بالليل ولا بالنهار ولا يعرفون وقت الصلاة إلّا تسبيح علي

---

١ و ٣) أحسب أن هذه القصة كانت بعد قتل محمد وإبراهيم لأن الحرب بالمدينة وبباخمرى، والسجون في الهاشمية أهلكت العدد الكثير من العلويّين هذا سوى من قتله صبراً، ولعل إرساله عليه كان إلى بغداد أيضاً، الإمام الصادق، ١: ١١١.

٢) الإمام الصادق، ٢: ١٠٢، نقلاً عن إسعاف الراغبين، ونور الأبصار، وتـذكرة الخـواص، والصـواعـق المحرقة، والمصباح، مهج الدعوات: ١٩٨ ـ ٢٠٢، الخرائج والجرائح، ٢: ٥٦/٦٤٧.

بن الحسن وتوفي علي بن الحسن وهو ابن خمس وأربعين سنة لسبع بقين من المحرم ١٤٦ هـ، وعبدالله بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، توفي ١٤٥ هـ، وهو ابن ٤٦ سنة، والعباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وتوفي سنة ١٤٥ هـ في الحبس وهو ابن ٣٥، لسبع بقين من شهر رمضان، وإسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن أبي طالب (ع)، ومحمد بن إبراهيم بن الحسن قال له المنصور: أنت ديباج الأصفر؟ قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك. ثم أمر باسطوانة مبنية ففرقت، ثم أدخل فيها فبنيت عليه، وهو حي، وعلي بن محمد بن عبدالله بن الحسن ابن الحسن بن علي (ع)، وأتي أبو جعفر بعلي فحبسه مع أهله فمات معهم، وقد قيل: إنه بقيْ في الحبس فمات في أيام المهدي، والصحيح انه توفي في أيام أبي جعفر، ومحمد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وعبدالله بن الحسن بن الحسن وأهله وحبسهم بسبب محمد بن عبدالله ومقتل من قتل منهم، وذكر محمد بن علي بن حمزة أنه سمع من يذكر أن يعقوب وإسحاق ومحمد أو إبراهيم بني الحسن قتلوا في الحبس بضروب من القتل وان إبراهيم بن الحسن دفن حياً، ومحمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزكية، وانه المقتول بأحجار الزيت، وكان من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في زمانه في علمه بكتاب الله، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته وجوده وبأسه.[1]

وممن قتل غير محمد بن عبدالله مع من خرج معه في زمن المهدي العباسي: الحسن بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقد آتاه نعي أخيه

---

١) مقاتل الطالبيين، ١٢١ ـ ١٦٠.

يزيد بن معاوية حيث قتله المنصور، وفي خبر أنه خرج مع محمد بن عبدالله، واستعمل الحسن بن معاوية على مكة، فلما قتل محمد بن عبدالله أخذه أبو جعفر فضربه بالسوط وحبسه، فلم يزل في الحبس حتى مات أبو جعفر، فاطلقه المهدي.[١]

وعبدالله بن الأشتر بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان عبدالله بن محمد بن مسعدة المعلم أخرجه بعد قتل أبيه إلى بلد الهند فقتل بها، ووجه برأسه إلى أبي جعفر المنصور.[٢]

وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وبعد أن فشلت حركته وقتل، قُتل معه بشير الرجال، ومحمد بن عبدالله وهو أخيه.[٣]

وشهد مع إبراهيم بن عبدالله من أصحاب زيد بن علي ثلاث نفر: سلام بن أبي واصل الحذاء، وحمزة بن عطاء البرقي، وخليفة بن حسان الكيال، وكان أفرس الناس. وخرج معه عبدالله بن جعفر المدائني، وولي إبراهيم بن عبدالله هارون بن سعد واسطاً وضم إليه جيشاً كثيفاً من الزيدية فأخذها وتبعه الخلق ولم يتخلف أحد من الفهقاء، وكان ممن تبعه عواد بن العوام، وزيد بن هارون، وهشيم، وكان موقف هشيم في حروبه مشهوراً، وقتل ابنه معاوية وأخبره الحجاج بن بشير في بعض الوقائع.[٤]

وحمزة بن إسحاق بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وجد عليه أبو عفر فأقامه للناس، وحبسه فمات في حبسه (رحمه الله).[٥]

---

١) مقاتل الطالبيين، ٢٠١.
٢) مقاتل الطالبيين، ٢٠٦.
٣) مقاتل الطالبيين، ٢١٠ ـ ٢٣٤.
٤) مقاتل الطالبيين، ٢٣٧ ـ ٢٣٩.
٥) مقاتل الطالبيين، ٢٦٦.

وعلي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وكان قدم بغداد ودعا إلى نفسه (سراً) فاستجاب له جماعة من الزيدية وبلغ المـهدي خبره فأخذه، فلم يزل في حبسه حتى قدم الحسين بن علي صاحب فخ فكلمه فيه واستوهبه منه فوهبه له.

فلما أراد اخراجه من حبسه، دس إليه شربة سم فعملت فـيه، فـلم يـزل ينتقض عليه في الأيام حتى المدينة فتفسخ لحمه وتباينت أعضاؤه فمات بـعد دخوله المدينة بثلاثة أيام.[1]

ذكر من قتل مع الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) منهم سليمان بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) ضربت عنقه صبراً بعد وقعة فخ، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) وهو الذي يقال له الجدي قتل في الواقعة.[2]

قاتل الحسين صاحب فخ بجيشه جيش موسى الهادي حـتى قـتل مـع أصحابه، ثم صودر ما له وجعل من الصـوافـي. وحـملت الرؤوس إلى مـوسى والعباس، وعندهم جماعة من ولد الحسين والحسين، فـلم يـتكلّم أحـد مـنهم بشيء إلّا موسيى بن جعفر فَقَال له: هذا رأس الحسين، قال: نعم إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صواماً قوامـاً آمـراً بـالمعروف، نـاهياً عـن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله.

وحملت الأسرى إلى موسى الهادي، وفيهم العذافر الصيرفي، وعـلي بـن سابق القلانسي، ورجل من ولد الصاحب بن زارة، فأمر بهم فـضربت أعـناقهم

---

١) مقاتل الطالبيين، ٢٦٧.

٢) مقاتل الطالبيين، ٢٨٥ ـ ٢٨٩.

صبراً.[١]

ونذكر فيما يلي من خرج مع الحسين صاحب فخ وقتله الرشيد منهم يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) قتل في حبسه مسموماً، قتله هارون الرشيد بعد أن منحه الأمان. وقال إدريس بن محمد بن يحيى بن عبدالله: قتل جدي بالجوع والعطش في الحبس.[٢]

وممن خرج مع يحيى إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع). قتله بالسم سليمان بن جرير حيث أهدى إليه سمكة مشوية مسمومة، وعبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه وغسل رأسه وجعله في منديل، وأهداه إلى الرشيد، ومحمد بن يحيى بن عبدالله بن الحسن مات في حبس الرشيد، والحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ع) قتله والي الرشيد على المدينة بضرب السوط، والعباس بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن أبي طالب (ع) قتله الرشيد بعمود من حديد.[٣]

وتوّج الرشيد جرائمه الوحشية بقتل سيد العلويين وإمام المسلمين موسى بن جعفر، لما حج هارون الرشيد فبدأ بقبر النبي (ص) فقال: يا رسول الله إني أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتت بين أمتك وسفك دمائها.

أنظر إلى هذا الغبي الذي أعمى الحقد بصيرته فلم يعي ما يقول، يريد من رسول الله (ص) أن يعذره على حبس ابنه وتعذيبه وقتله بالسم في نهاية المطاف

---

١) مقاتل الطالبيين، ٣٠٠ـ٣٠٢.
٢) مقاتل الطالبيين، ٣٠٨ـ٣٢١.
٣) مقاتل الطالبيين، ٣٢٤ـ٣٣١.

كما قتل المئات من ذريته بدون ذنب اقترفوه عدا أنهم يدعون إلى نهج الحق والعدل بالتي هي أحسن، فلم يسلبوا مالاً، ولم يقتلوا أحداً، ولم يحدثوا بدعة، ولم يحرضوا أحداً على السلطان، فكيف يريد هذا الحاقد الغبي أن يعذره الرسول (ص) على اقتراف جرائمه واستئصال ذريته.

ثم اعتقل الإمام وأرسله إلى عيسى بن جعفر بن المنصور، وكان على البصرة حينئذٍ، فمضى به، فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد أن: خذه منّي وسلمه إلى من شئت، وإلّا خليت سبيله فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فلما أقدر على ذلك، حتى إني لأسمع عليه إذا دعا لعله يدعو عليَّ أو عليك فما أسمعه يدعو إلّا لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجه من تسلمه منه، وحبسه عند الفضل بن الربيع ببغداد، فبقى عنده مدة طويلة، وأراده الرشيد على شيء من أمره، فأبى ـ يعني أراد منه أن يقتله ـ فكتب إليه يسلمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلمه منه. وأراد ذلك منه فلم يعفله، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة ودعة، وهو حينئذٍ بالرقة، فأنفذ مسروراً الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه أوصل كتاباً منه إلى العباس بن محمد وأمره بامتثاله، وأوصل كتاباً منه إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد.

فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحد ما يريد. ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي بن شاهك، فأوصال الكتابين إليهما. فلم يلبث الناس ان خرج الرسول يركض ركضاً إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دهشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بالسياط وعقابين، فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرد ثم ضربه مائة سوط. وخرج متغير اللون بخلاف ما دخل، فذهبت

قوته فجعل يسلم على الناس يميناً وشمالاً.

وحبس الإمام بعد ذلك في حبس السندي بن شاهك، حيث الدهاليز المظلمة، والأغلال الثقيلة التي رضرضت عظام الإمام، وانحلت جسمه، وتركت آثارها البليغة على ساقيه ومعصميه حتى لم يعد الإمام يستطيع السير على قدميه من شدة الألم. فكان حبس السندي من أشد الحبوس عليه قسوة وعذاباً، وما كان الإمام فيه يميز النهار عن الليل لشدة ظلمته حيث كان يستخبر الحراس من أوقات صلاة الفرائض.

يا لها من محنة قاسية أوقعت الإمام موسى بن جعفر في أيدي أرجاس البشرية ونفاياتها حيث أذاقوه أمر أنواع العذاب وأقساه، وروعه بسياطهم وأغلالهم، وأودعوه سجونهم المظلمة الكئيبة.

إن حب الدنيا أفقد هؤلاء صوابهم، وسلب لبهم، وغيّر طبيعتهم الإنسانية، وحولهم إلى ذئاب ضارية تفترس كلّ من تظن أنه ينافسهم على حطام الدنيا الزائل حتى إذا كان رسول الله (ص). ولذا ترى أنهم يقومون على ممارسة أبشع الجرائم في تصفية الأئمة الأطهار (ع) وإبادة ذرية النبي الأكرم (ص) دون أن يترك ذلك أثراً في نفوسهم، أو يحسوا بوخزة ضمير تعتريهم، بل أصبحت تلك الممارسات زادهم اليوم الذي تتوقف عليه حياتهم وديمومة حكمهم الجائر. ولعل بعضهم يستأنس بمشاهدة الدماء المسفوكة ويود أن يشربها ليطفئ بها غليل حقده المستعر كالحجاج الثقفي ونظائره.

وهذا الرشيد نموذجاً حياً لتلك الذئاب الضارية، فلم يهاب الإمام موسى بن جعفر ولم يرعى حرمته وقربه من رسول الله (ص)، ولم يراعي مشاعر الجماهير المؤمنة بإمامته، فأمر السندي بن شاهك بقتله بالسم النقيع الذي جعل ابن رسول الله (ص) وفلذة كبده يتلوى من شدة الألم لمدة ثلاثة أيام حيث قضى

مسموماً مظلوماً.

وقبل رحيله بيوم جمع السندي ابن شاهك ثمانين رجلاً من الوجوه المنسوبين إلى الخير فأدخلهم على الإمام موسى بن جعفر وقال لهم: يا هؤلاء انظروا إلى هذا الرجل هل حدث به حدث؟

فإن الناس يزعمون أنه قد فعل به ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفراشه موسع عليه غير مضيّق، ولم يرد به أميرالمؤمنين سوءاً، وإنما ينتظر به أن يقوم فيناظر أميرالمؤمنين...

فقال الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): أما ما ذكره من الوسعة وما أشبهها فهو على ما ذكره ـ يعني في تلك اللحظة التي هو فيها ـ غير أني أخبركم ـ أيها النفر ـ أني قد سقيت السّم في سبع تمرات وأنا غداً أحتضر، وبعد غدٍ أموت.

ولما استشهد الإمام وضعوه على خشبة جرداء يحملها أربعة حمالين ولازالت القيود والأغلال بيديه ورجليه، ثم وضعوه على الجسر ونادى مناديهم هذا إما[1] افضة زيادة بالأذلال والتوهين.

و[1] الذين قتلوا في عهد الرشيد الذهبي كما يصفه بعض الكتّاب الطائفيين المأجورين: إسحاق بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، حبسه هارون فمات في حبسه.

ذكر أيام محمد الأمين ومن قتل فيه، منهم: محمد بن محمد بن زيد بن

---

١) مقاتل الطالبيين، ٣٣٢ ـ ٣٣٦، كشف الغمة، ٢ : ٢٣٣، الكافي، ١ : ٢٠٢، غيبة الطوسي، ٢٤، أمالي الصدوق، ١٢٨، الإرشاد، ٣٠٢، روضة الواعظين، ١ : ٢٢٠ ـ ٢٢١، أعلام الورى، ٣١١، الفصول المهمة، ٢٤٠، مناقب ابن شهرآشوب، ٤ : ٣١٨، مروج الذهب، ٣ : ٣٥٥، دلائل الإمامة، ١٤٨، وفيات الأعيان، ٥ : ٣١٠، عمدة الطالب، ١٩٦، نور الأبصار، ١٦٧ وغيرها.

علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وهو القتيل يوم قنطرة الكوفة في الحرب التي كانت بين هرثمة وأبي السرايا، والحسن بن إسحاق بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، قتل في واقعة السوس مع أبي السرايا لما خرج عن الكوفة، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع)، قتل في اليمن في أيام أبي السرايا، وعلي بن عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ع)، قتل باليمن في أيام أبي السرايا[1]. هذا غير من قتل مع أبي السرايا في نهضته.

المكر والخداع والنفاق السياسي اتخذ غطاء لجرائم المأمون

كان المأمون أكثر الخلفاء العباسيين مكراً ودهاءاً، واتخذ من مكره ودهائه وسيلة وغطاءاً للغدر والخيانة والاجرام. ففي عهده كثرت الثورات والانتفاضات الشيعية في أطراف الخلافة الإسلامية، فأراد المأمون أن يقضي عليها بوسيلة المكر والنفاق السياسي الذي يغنيه عن استخدام القوة إلّا عند الضرورة، لذا تراه أرسل الجلودي في طلب الإمام الرضا (عليه السلام) وجماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه، ثم أرغم الإمام الرضا على القبول بولاية العهد بعد التهديد بالقتل، فاستطاع بمخططه الماكر هذا أن يكسب ود الشيعة، ويقضي على الثورات الشيعية، ويعزل الإمام عن قواعده الشعبية الموالية له ومن ثم يدس له السم فقتله.

وكادت مسألة ارغام الرضا (ع) على القبول بولاية العهد ان تحدث للمأمون أزمة سياسية وخلافاً حاداً بين العباسيين أنفسهم لولا اختلاقه مسألة

---

١) الطبري، ١: ٢٨٨، والكامل، ٦: ١١٢، والطبري، ١: ١٣٦، والطبري ١: ٢٣١ و ٢٣٢، ومقاتل الطالبيين، ٣٤٣.

العهد الذي عاهد الله عليه، فقال: إني عاهدت الله أن أخرجها ـ يعني الخلافة ـ إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالمخلوع ـ ويعني أخيه الأمين ـ وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل ـ ويعني الرضا (ع) ـ فاجتمعا معه على ما أراد ـ ويعني بهما الفضل بن سهل وأخيه الحسن وزراء المأمون ـ فأرسلهما إلى علي بن موسى، فعرضا عليه ذلك فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى، ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولاً شبيهاً بالتهديد، ثم قال له: ان عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك ـ يعني به الإمام علي (ع) ـ وقال: من خالف فاضربوا عنقه، وهذا تهديد ضمني بالقتل ان رفض القبول، ولمّا علم بنيته الشريرة تلك فأجابه علي بن موسى الرضا (ع) إلى ما التمس.

وهذه الأمور تشير بصراحة إلى ان أقرب المقربين للمأمون لم يدركوا نواياه الخبيثة ومقاصده الشيطانية من وراء تعين الإمام بولاية العهد.

ولما حقق المأمون غرضه من وراء هذه اللعبة السياسية الماكرة صار يكيد لقتل الإمام والتخلص منه، فذكر محمد بن علي بن حمزة أن منصور بن بشير ذكر عن أخيه عبدالله بن بشير، ان المأمون أمره أن يطول أظفاره ففعل، ثم أخرج إليه شيئاً يشبه التمر الهندي، وقال له: افركه وأعجنه بيديك جميعاً، ففعل.

ثم دخل على الرضا (ع) فقال له: ما خبرك؟ قال: أرجو أن أكون صالحاً.

فقال له: هل جاءك أحد من المترفقين اليوم؟ قال: لا، فغضب وصاح على غلمانه، وقال له: فخذ ماء الرمان اليوم فإنه مما لا يستغنى عنه، ثم دعا برمان فأعطاه عبدالله بن بشير وقال له: اعصر ماءه بيدك، ففعل وسقاه المأمون الرضا بيده فشربه، فكانذلك سبب وفاته، ولم يلبث إلّا يومين حتى مات.

ولما توفي الرضا (ع) لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوماً وليلة، ثم وجه إلى محمد بن جعفر بن محمد، وجماعة من آل أبي طالب. فلما

أحضـرهم وأراهم إياه صحيح الجسد لا أثـر بـه، ثـم بكـى ـ وسـالت دمـوع التماسـيح مـن عينيه ـ وقال: عـز عليَّ يا أخـي أن آراك فـي هـذه الحـالة، وقـد كنت أؤمل أن أقدم قبلك، فأبى الله إلّا ما أراد، وأظهر جزعاً شديداً، وحزناً كثيراً.

وخرج مع جنازته يحملها حتى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن وهـو حاسر الرأس حافي القدمين حزيناً باكياً.[1]

فهل هناك أشدّ مكراً وخداعاً من المأمون العباسي الذي قتل الإمام الرضا (ع) وخرج في تشييع جنازته بتلك الصورة الماكرة، حيث ذكر بعض المؤرخون أنه شق جيبه، ولطم رأسه، وهو يقول: يا سيداه فجعت بك. وقتل المأمون غـير الرضا من العلويين خلق كثير.[2]

فمنهم: محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) وهو ابن الأفطس، قتله المأمون بالسم.[3]

المتوكل العباسي يكرب قبر الحسين ويعفي أثره

يتجلى حقد المتوكل لأهل البيت (ع) في كراهيته وبغضه لعليّ (ع) وأبنائه الميامين (ع) وشيعته الموالين له، المؤمنين بولايته، والمعتقدين بإمامته وإمـامة أبنائه الأحد عشر.

---

١) مقاتل الطالبيين، ٣٧٤ ـ ٣٧٨، الإرشاد: ٣٠٩، روضة الواعظين، ١: ٢٢٤، أعلام الورى، ٣٣٣، كشف الغمة، ٢: ٢٧٥، الفصول المهمة، ٢٥٥.

٢) عيون أخبار الرضا (ع)، ٢: ٢٤٢، أمالي الصدوق، ٥٢٦، أعلام الورى، ٣٤١، والتتمة فـي تـواريـخ الأئمة (ع)، ١٢٤ ـ ١٢٩.

٣) مقاتل الطالبيين، ٣٨١.

وتجسد حقده الدفين في مصاديق جلية، منها ما ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ان المتوكل قتل يعقوب بن السكيت الإمام في العربية في سنة أربع وأربعين ومائتين، فإنه ندبه إلى تعليم أولاده، فنظر المتوكل يوماً إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من احب إليك هما او الحسن والحسين؟ فقال: قنبر ـ يعني مولى علي ـ خير منهما.

فأمر الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل: أمر بسل لسانه فمات وأرسل إلى ابنه بديته. ومع حقده الشديد هذا لآل البيت (ع) وشيعتهم نرى السيوطي يصفه بالترفض فيقول: وكان المتوكل رافضياً، وهذا من غرائبه وعجائبه.[1]

ومنها ما ذكرته التواريخ بقيام المتوكل بكرب قبر الحسين (ع) وأعفاء أثره عدة مرات وملاحقة زواره والتنكيل بهم.

فقال أبو الفرج الأصفهاني: كان المتوكل شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظاً على جماعتهم، مهتماً بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم، وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق له أن عبيدالله بن يحيى بن خاقان وزيره يسيء الرأي فيهم، فحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ فيهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله. وكان من ذلك أن كرب قبر الحسين وعفى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون أحداً زاره إلّا أتوه به فقتله أو أنهكه عقوبة.

وكان الشخص الذي كلفه المتوكل بكرب قبر الحسين هو اليهودي الذي أسلم وأسمه الديزج.[2]

وقال السيد محمد الصدر مؤلف كتاب (الغيبة الصغرى) استناداً إلى جملة من كتب التاريخ: ما كان المتوكل يستشعره من الكراهية تجاه علي (ع)

---

١) تاريخ الخلفاء، ٣٤٨.

٢) مقاتل الطالبيين، ٣٩٥.

والعلويين، وكان آل أبي طالب ـ على ما ينص التاريخ ـ في أيامه في محنة عظيمة، قد منعوا من زيارة قبر الحسين (ع) والغري من أرض الكوفة. وكذلك منع غيرهم من شيعتهم حضور هذه المشاهد، وأمر بهدم قبر الحسين (ع) ومحو ارضه، وإزالة اثره وان يعاقب من وجد به، وحدث به وزرع به، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله، بأخذ المال والدم.[١]

ومنها: استعمالل المتوكل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجي، فمنع آل أبي طالب من التعرض لمسألة الناس. ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحداً أبرأ أحداً منهم بشيء وإن قل إلّا أنهكه عقوبة، وأثقله غرماً، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، يرفعنه ويجلسن على مغازلهن عواري حواسر.[٢]

وقال السيد العلّامة تاج‌الدين بن علي بن أحمد الحسيني العاملي في التتمة: وكان ـ يعني المتوكل ـ شديد العداوة والبغض لآل محمد (ص)، ولم يكن أحد في زمانه من الشيعة يذكر عليّاً وأولاده أو زيارتهم علانية خوفاً منه، وكان من بغضه أدار الفرات على مكان قبر الحسين (ع) ليعدم أثره.[٣]

وليس هذا فحسب بل أظهر المتوكل شديد حقده وبغضه لأبيه علي (ع)، فكان من جملة ندمائه عبادة المخنث. كان يشد على بطنه مخدة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص ويقول: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين ـ يعني علياً ـ والمتوكل يشرب ويضحك.

---

١) مروج الذهب، ٤: ٥١، الكامل لابن الأثير، ٥: ٢٨٧، مقاتل الطالبيين، ٤٥٠، الغيبة الصغرى، ٧٦.

٢) مقاتل الطالبيين، ٣٩٦.

٣) بحارالأنوار، ٤٥: ٤٠٣، عوالم الإمام الحسين (ع)، ٦/٧٢٨.

وبمثل هذه الأفعال المنكرة كان الطاغية يظهر ما في قلبه من الحقد والبغضاء لآل البيت (ع).

معاناة الإمام الهادي (ع) من سوء معاملة المتوكل له

كان المتوكل العباسي يجهد نفسه ليل نهار في نسج المكائد الخبيثة لغرض استباحة حرمة الإمام الهادي (ع)، وانتهاك قدسيته، وتلويث سمعته، والتقليل من أهميته المعنوية باعتباره إماماً لشيعة آل محمد (ص) والموالين لهم.

ولعل أول وأوضح ما يندرج في هذا الصدد، ما ذكره جماعة من المؤرخين العامة والخاصة، من أنه سعى به (ع) إلى المتوكل، وقيل ان في منزله سلاحاً وكتباً، وغيرها من شيعته وأوهموه انه يطلب الأمر لنفسه، فوجه إليه عدة من الأتراك ليلاً، فهجموا على منزله على [حين] غفلة، فوجدوه وحده في بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر، وعلى رأسه ملحفة من صوف، وهو مستقبل القبلة يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، ليس بينه وبين الأرض بساط إلّا الرمل والحصى، فأخذ على الصورة التي وجد عليها، وحمل إلى المتوكل في جوف الليل.

فمثل بين يديه والمتوكل يستعمل الشراب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جانبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل عنه، ولا حجة يتعلل بها.

فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال: يا أميرالمؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً أستحسنه. فقال: إني لقليل الرواية للشعر، قال: لابدّ أن تنشدني شيئاً، فأنشده:

باتو على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل[1]

---

١) ابن خلكان، ٥: ٤٣٤، وأبوالفداء، ١: ٤٧، وابن الوردي، ١: ٢٣٢، والمسعودي في مروج الذهب، ٤: ١١، والغيبة الصغرى، ١٢٤ـ ١٢٥.

وحاول المتوكل العباسي هتك حرمة الإمام ثانية عن طريق أخيه موسى المعروف بفسقه ومجونه، فأحضره المتوكل إلى سامراء كي يشركه في مجالس لهوه ومجونه لعلّه بهذا يلوث سمعة أخيه الإمام علي الهادي (ع).[١]

وأثر السعايات والوشايات التي كانت ترتفع إلى المتوكل ضد الإمام بين آونة وأخرى، كان المتوكل يرسل بعض جلاوزته لكبس بيت الإمام ليتعرّف على صدق الوشاية أو كذبها..[٢].

ومن ذلك كبسه لدار الإمام نتيجة لسعاية البطحائي به إلى المتوكل وزعمه: ان عنده أموالاً وسلاحاً.

فأمر المتوكل سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما عنده من الأموال والسلاح ويحمله إليه.[٣]

فأخذ سعيد معه سلماً وذهب إلى دار الإمام وصعد عليها من الشارع إلى السطح ونزل خلال الظلام فلم يدر كيف يصل إلى الدار. قال سعيد: فناداني أبوالحسن (ع) من الدار: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة...[٤].

وفي حادثة أخرى: يصل إلى المتوكل خبر مال يصل من قم، وهي إحدى مراكز الولاء للإمام (ع).. إليه.

فيأمر وزيره الفتح بن خاقان أن يراقب الوضع ويأتي بالخبر. فيرسل الوزير بعض مأموريه يدعى أبو موسى إلى الإمام، فيجلس في مجلسه ساكتاً، ثم تنتهي هذه المحاولة بالفشل كسابقاتها...[٥].

---

١) الإرشاد، ٣١٢، الغيبة الصغرى، ١٣٨. ٢) الغيبة الصغرى، ١٤٨.
٣) الغيبة الصغرى، ١٥٠، الإرشاد، ٣١١، الفصول المهمة، ٢٩٨.
٤) الإرشاد، ٣١١، الفصول المهمة لابن الصباغ، ٢٩٨، الغيبة الصغرى، ١٥٠.
٥) المناقب، ٥١٥، الغيبة الصغرى، ١٥١.

ولما ضاق المتوكل ذرعاً بحقده على الإمام أبا الحسن فألقى القبض عليه وأودعه في غياهب السجن وأمر علي بن كركر ليراقبه فيه.[١]

وفي خبر آخر ان المتوكل دفع الإمام أبا الحسن الهـادي (ع) إلى سـعيد الحاجب ليقتله. فوضعه سعيد في السجن حتى يتم قتله، لكن المتوكل قتل قبل أن يتم قتل الإمام (ع).[٢]

وقُتل الإمام فيما بعد بالسم على يدي المعتمد العـباسي[٣] وقـيل المـعتز، وعلى كل حال قُتل الإمام كما قُتل آبائه من قبل على أيدي الخلفاء العباسيين.

وكذا قتل المعتمد العباسي أو المعتز الإمام الحسن بـن عـلي العسكـري بالسم أيضاً.[٤] وقد قتل في زمن المتوكل والمعتمدوالمعتز الكثير من العلويين غير الإمامين الهادي وابنه الحسن (ع)، ومات الكثير منهم في حبوسهم.

هذه نماذج من الحقد العباسي الدفين لآل محمد (ص) قد تجسدت فـي مئات المصاديق الدموية عبر تاريخ الخلفاء العباسيين، فهم قـتلوا خـمسة مـن الأئمة الأطهار (ع) وهم: الإمام الكاظم، وعلي بن موسى، والجواد وعلي الهادي والحسن العسكري، وآلاف من العلويين، غير الذين شردوهم في أقاصي بـقاع الأرض، والذين اختفوا عن أنظار أعوان السلطة العباسية وماتوا في غربتهم دون أن يعرف أحد حسبهم ونسبهم...

في هذه الأجواء المشحونة حقداً أو عداءاً لآل محمد (ص) تمت وتركزت

---

١) أعلام الورى، ٣٤٦.

٢) الكامل في التاريخ، ٥: ٣٠٣، الخرائج والجرائح، ٥٩، الغيبة الصغرى، ١٥٤.

٣) مصباح الكفعمي، ٥٢٣، تاريخ اليعقوبي، ٣: ٢٢٥، مروج الذهب، ٤: ٣، اثبات الوصية، ٢٠٥، الكامل في التاريخ، ٧: ٩٥، البداية والنهاية، ١٠: ٣٦٤، الجوهر الثمين، ١: ١٤٤، التتمة في تواريخ الأئمة، ١٣٩.

٤) مصباح الكفعمي، ٥٢٣، التتمة في تواريخ الأئمة، ١٤٤.

في أذهان الشيعة الموالين لهم فكرة الانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج)، لأنهم اطلعوا من خلال المواجهة العنيفة بين الخلفاء في كل الأدوار وبين آل محمد (ص) والأئمة الأطهار على الكثير من المشاهد المأساوية التي استبيحت فيها حرمة أهل البيت (ع)، وهدرت كرامتهم، واغتيلت شخصيتهم المعنوية، واستخف بهم إلى درجة جعلتهم أقل قدراً من سائر الناس العاديين. ثم ان سياسة التصفيات الجسدية التي مارسها الأمويون والعباسيون ضد العلويين زرعت الخوف والفزع في نفوس الموالين لهم، وثبطت عزائمهم بحيث لم يعد أحد منهم يفكر بالمواجهة حتى في عالم الرؤيا لشدة الارهاب، وقساوة قلوب الخلفاء التي مكنتهم من استئصال آل البيت (ع)، ومحو آثارهم ولو لفترة قصيرة من الزمن.

كيف يفكر بالخروج على الحاكم الجائر ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من كان يخشى زيارة قبر سيده وإمامه الحسين (ع) ـ التي تعدل زيارته الف حجة ـ تحاشياً لسيوف العباسيين المنذرة بالموت والفناء كلّ من يجرأ على ذلك، ثم تصادر أمواله المنقولة وغير المنقولة علاناً أمام مشهد ومسمع من المسلمين في كل مكان دون احتجاج واعتراض منهم.

فلا تلم من لم يفكر بالخروج ويميل إلى الدعة، ويدعو إلى فكرة الانتظار السلبي للإمام المنتظر (عج) التي ترفع شعار المهادنة والمسالمة مع أعداء أهل البيت (ع)، الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ويمارسون كل أنواع الرذائل حتى بالمحارم وأزواج الآباء بملك اليمن.[1]

ان شيعة أهل البيت ومواليهم لما شاهدوا الحكام الجائرين مستبدين في اجراء أحكامهم المنافية لنصوص القرآن والسنة المتواترة، وأنهم لا يعيرون أية

---

١) تاريخ الخلفاء، ٢٩١.

أهمية لعترة رسول الله (ص) من فاطمة الزهراء، بل يهجمون على دار البضعة التي طالما أوصى بها رسول الله (ص) فيشعلون النار في باب دارها، ويدخلوه بدون إذنها، ويعصرونها بين الباب والحائط، فيكسرون ضلعها ويسقطون جنينها، ويثبتون المسمار في ثديها، ثم يقتادون بطل الإسلام، وفاتح الحصون، ومشتت الأحزاب، ومحطّم الأصنام، خليفة رسول الله بالحق، أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بحمائل سيفه إلى مسجد رسول الله ليرغموه على البيعة كرهاً أمام جل صحابة الرسول الأكرم (ص).

فلولا تلك الممارسات الاجرامية المنافية لأحكام الإسلام، ولأبسط حقوق الإنسان لما استطاع الأمويون من قتل الحسن (ع) بالسم، وذبح الحسين في كربلاء مع أبنائه وأخوته وأصحابه ثم الهجوم على خيامه وحرقها بالنار وسحق أطفاله وسلب نسائه، وطحن ضلوعه بحوافر الخيل، وحمل رأسه ورؤوس من قتل معه على الرماح، وسبي عقائل الهاشميين وهتك حرماتهن في دواوين الطغات.

ان الذين تجاسروا على الزهراء وأشعلوا النار في باب دارها، واقتادوا زوجها وأرغموه على البيعة هم الذين مهدوا السبيل لقتل سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي رسول الله (ص) من قبل الأمويين، وقتل الأئمة الأطهار (ع)، واجتثاث جذور العلويين فيما بعد بواسطة الخلفاء العباسيين...

لمّا شاهد شيعة أهل البيت (ع) تلك الجرائم البشعة التي مورست في حق العترة الطاهرة انهارت معنوياتهم، وخارت عزائمهم، ورسى الخوف والرعب في أعماق نفوسهم فلم يجرأ أحدهم أن يعلن ولائه للأئمة الأطهار، لا أن يخرج على الظالم الجبار؛ لأنهم أيقنوا ان معاقبة الخلفاء الجائرين لهم ستكون أشد قسوة وأكثر اجراماً مما عاقبوا به العلويين.

فكان لعامل العداء لآل البيت (ع)، والتصفيات الدموية لهم أثراً بالغاً في اشاعة مفهوم الانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج) وترسيخه في أذهان البعض من الشيعة الموالين الذين أفزعتهم تلك الممارسات الارهابية، وأثارت الفزع والقلق في أعماق نفوسهم، وجعلتهم يتظاهرون بالعداء لأهل البيت (ع).

ثانياً: التصفيات الدموية لشيعة آل محمد (ص)

مارست الحكومات الأموية والعباسية سياسة الارهاب والتصفيات الدموية مع المسلمين بصورة عامة والشيعة بصورة خاصة؛ لأنهم كانوا يشكلون الدعامة الأساسية لحركة المقاومة للاستبداد والظلم والفساد الأموي والعباسي، ولذا ترى ان القصط الأوفى من التضحيات كان من نصيبهم.

فلو تصفحت عزيزي القارئ تاريخ الثورات والانتفاضات الموجهة ضد ملوك بني أمية وبني العباس تجد أن معظمها شيعية وقادتها من العلويين الأبرار. وهذا يشير بصراحة إلى أن الشيعة هم أكثر المسلمين مقاومة للظلم والفساد الأخلاقي الذي مارسه الخلفاء في كل الأدوار، لأنهم لا يقرون بشرعيتهم كخلفاء لهم، بل يعتبرونهم جبابرة طغات اغتصبوا الخلافة من أهلها الشرعيين الذين نصبهم الله ورسوله خلفاء وأئمة وقادة للمسلمين وهم الأئمة الأطهار (ع) ابتداءاً من علي وانتهاءاً بالحجة بن الحسن العسكري (عليهم السلام).

هذه نظرة الشيعة المبدئية لخلفاء الجور والفساد، بينما كان المسلمون بصورة عامة يقرون بشرعيتهم، ويؤمنون بوجوب طاعتهم وموالاتهم، والدفاع عنهم إذا ما خرج عليهم من الشيعة والعلويين، فكان الجيش الذي واجه الحسين (ع) في كربلاء بقيادة عمر بن سعد، ومارس تلك الجرائم البشعة التي ذكرتها كتب

التاريخ مسلماً يقول بالشهادتين ويلتزم بأداء الفرائض، وكذا الجيش الذي واجه علياً (ع) في الجمل وصفين مسلماً.

فكان المسلمون عامة من أتباع خلفاء الجور والذابون عنهم، لأنهم وقعوا تحت تأثير وسائل اعلامهم المضللة التي يروج له عدد غير قليل من وعاظ السلاطين، وفقهاء السوء الذين باعوا دينهم بدنيا غيرهم. فكان هؤلاء يفتعلون الأحاديث المادحة لخلفاء الجور والذامة للأئمة الأطهار (ع)، وكانوا يحثون المسلمين على طاعة ولاتهم حتى إذا كانوا حمقاً يمارسون الفسق والفجور، بل يعتبرون الخلفاء مكرهين على الممارسات اللّاأخلاقية وفق النظرية الجبرية التي تعتبر أفعال الإنسان هي أفعال الله، ولعل الله يثيبهم على ما اقترفوا من جرائم بشعة، ومآثم مخزية يندى لها جبين الإنسانية حياءاً وخجلاً...

وأدان هؤلاء جميع الثورات الإسلامية بما فيها ثورة الحسين (ع)، ووصفوا قادتها بالعصاة المتمردين الذين خرجوا على ولاة أمرهم وشقوا عصا الطاعة، وأحدثوا الفرقة بين المسلمين، وتسببوا في سفك دمائهم.

أما خروج معاوية بن أبي سفيان على إمام زمانه أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (ع) يعد عملاً مباركاً ممدوحاً في نظر الوعاظ؛ لأن مصلحة الإسلام والأمة اقتضت ذلك.

ونتيجة هذا الاعلام المضلل، والأفكار التحريفية، والعقائد الفاسدة، والأحاديث المختلقة التي روجها الوعاظ، أوقعت الأمة المسلمة في حيرة والتباس بحيث لم تعد تستطيع التمييز بين الحق والباطل، واختلفت وجهات نظر المسلمين في ولاة الأمر اختلافاً بيناً تبعاً لذلك التضليل والتحريف.

فبعضهم يرى أحقية الخلفاء الأمويين والعباسيين في الحكم، وبطلان دعوى الأئمة الأطهار (ع) والعلويين. فكان هذا البعض من المسلمين أشد

اندفاعاً وأكثر طاعة لخلفائهم في مقاتلة الأئمة الأطهار من أهل البيت (ع) وشيعتهم باعتبارهم خارجين على ولاة الأمر ومحدثي الفرقة والعصيان، وأكثر هؤلاء من الحزب الأموي والعباسي.

واستوى الحق والباطل في نظر البعض الآخر من المسلمين فصاروا عندما يتحدثون عن علي ومعاوية، أو يزيد والحسين، أو الصادق والمنصور، أو الرشيد والكاظم، يقولون هكذا فعل سيدنا معاوية مع سيدنا علي، أو سيدنا يزيد مع سيدنا الحسين، أو سيدنا المنصور مع سيدنا الصادق، كذا الرشيد والكاظم (ع). فكان هؤلاء مترددين في قتال الخارجين على الخلفاء، يقومون مرة ويحجمون أخرى تبعاً للظروف المحيطة بهم، فإذا أكرهوا على قتالهم فعلوا وإلّا فلا.

وتمرد قسم آخر من المسلمين على كلا الطرفين الخلفاء والأئمة الأطهار (ع)، ورفعوا شعار لا حكم إلّا لله، وحاربوا الإمام علي (ع) في النهروان، وتأمروا على معاوية وعلي وعمرو بن العاص فلم يقتلوا إلّا علي في محرابه في مسجد الكوفة وهؤلاء هم الخوارج.

وهناك جماعة من المسلمين اعتزلوا الصراع مع علي ومعاوية ولم يقفوا بوجه هذا وذلك وإنما طعنوا بالاثنين معاً وهؤلاء هم المعتزلة.

وبعد هذا الاستعراض الموجز للعوامل المشتركة التي ساهمت في صنع الوقائع المأساوية، والتصفيات الدموية لشيعة آل محمد (ص) عبر التاريخ، التي ساهمت بشكل فعال في اضعاف قواهم، وتبديد طاقاتهم، وزرعت اليأس والقنوط في أعماق نفوسهم، وجعلت البعض منهم يحبّذ مفهم الانظار السلبي للمهدي المنتظر (عج)، ويشعر بعدم جدوى مجاهدة الطواغيت المستبدين نظراً لفشل معظم الثورات في تحقيق أهدافها.. بعد هذا نذكر نماذج من التصفيات الرهيبة التي مارسها الخلفاء ضد الموالين لآل محمد (ص) والمتعاطفين معهم،

على مراحل متعددة.

المرحلة الأُولى من التصفيات الدموية

تبدأ هذه المرحلة من عهد الخليفة الثالث عثمان إلى انتهاء العهد الأموي المستبد المعادي لآل البيت (ع) ومواليهم.

وأول عمل قام به عثمان بن عفان معادٍ لعليّ (ع) ومريديه هو إبعاده أبا ذر إلى صحراء الربذة ظلماً وعدواناً حيث قضى هو وبعض أفراد أسرته وزوجته جوعاً ومرضاً، ثم قام ولاته على البلاد الإسلامية بتوجيه من مروان ابن الحكم بملاحقة الموالين لعلي (ع)، والذاكرين فضائله وكراماته، لا سيما الوليد والي عثمان على الكوفة الذي تجاهر بشرب الخمر وتبذير الأموال في الفسق والفجور، ثم حبس جندب بن زهير قاتل الساحر، وأبعد عبدالله بن مسعود الذي كان خازناً لبيت مال المسلمين في الكوفة، وهذان هما من أشد المسلمين حباً وولاءاً لعليّ (ع).

ولما قدّم عمار بن ياسر عريضة الاحتجاج على أعمال ولاة عثمان المنكرة في البلاد الإسلامية لا سيما مصر والعراق، التي أمضاها أكثر من خمسين صحابياً استشاط عثمان غضباً على عمار ونزل من على منبر رسول الله (ص) وأخذ يضربه ضرباً مبرحاً هو وغلمانه حتى أحدثوا فيه فتقاً، وبعد أن حملوه إلى بيت أُم المؤمنين أُم سلمة أخذ يتوعدها ويطالبها بطرده من بيتها.

وبعد مقتل عثمان وبيعة المسلمين لعليّ (ع) جاء دور الناكثين والقاسطين والمارقين فكانت المعارك الطاحنة بين علي وخصومه في الجمل وصفين والنهروان، التي ذهبت ضحيتها من جند علي أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل، منهم:

عمار بن ياسر، وابن التيهان، وخزيمة بن ثابت ـ ذو الشهادتين ـ والمرقال، وهاشم بن عتبة، وكثير غير هؤلاء من قادة جيش الإمام علي (ع)، ومن أحب الخلق إليه، وأكثرهم اندفاعاً في نصرته والدفاع عنه.

وقُتل محمد بن أبي بكر في مصر جماعة معاوية بن أبي سفيان بعد التحكيم ووضعوه في بطن حمار وأحرقوه بعد القتل. ثم جاء مالك الأشتر ليحل محله إلّا أن معاوية أرسل من يقتله بالسم قبل وصوله للقاهرة. وهكذا توالت الأحداث حتى قضت على معظم أنصار علي (ع) وأعوانه والموالين له. وبات علي يأسى لفقدانهم..

وحين فرض معاوية الصلح على الإمام الحسن (ع) أعطاه عهداً بعدم ايذاء من بقي من شيعة أبيه، إلّا أنه نقض عهده لما فرض سيطرته على الكوفة وبدأ باتخاذ اجراءاته التعسفية في تصفية عدد من تبقى من شيعة علي (ع) «وقد لاقى أنصار أهل البيت (ع) من الأذى والاضطهاد ما تنوء بحمله الجبال، وكان أشدهم بلاءً، وأعظمهم محنة أهل الكوفة، فلقد استعمل معاوية على الكوفة بعد هلاك المغيرة، زياد بن أبيه ـ بعد أن نسبه إلى أبي سفيان ـ وكان بهم عليماً وانّه ـ يالعجب ـ فقد كان قبل استلحاقه بأبي سفيان، واحد منهم، فأشاع فيهم القتل، وشردهم، وإن معاوية كتب إلى عماله: فانظروا إلى من قامت عليه البينة، أنه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان، واسقطوا عطاءه ورزقه.

وروى ابن أبي الحديد ان معاوية كتب إلى عماله: ان برئت الذمة ممن يروي شيئاً في فضائل علي وأهل بيته، وأن لا يجيزوا للشيعة شهادة، وأن يمحوا كل شيعي من ديوان العطاء، وينكلوا به، ويهدموا داره، وامتثل العمال لأمر سيدهم، فقتلوا الشيعة، وشردوهم، وقطعوا الأيدي، وسملوا الأعين، وصلبوهم في جذوع النخل.

وقام الخطباء على أثر تلك الاجراءات التعسفية التي اتخذها معاوية لمحو ذكر علي (ع) وابادة شيعته، في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه، ثم جعلوا اللعن لعلي سنة يرددها المسلمون في قنوة كل صلاة فرضية أو ندب.

واستمر معاوية بن أبي سفيان في اضطهاده للشيعة فانتقم شر انتقام من أنصار الإمام علي وآل البيت الطاهرين، ففريق روع في ظلمات السجون، وبقي فيها يلاقي الآمرين، حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى ـ كما حدث مع محمد بن أبي حذيفة ـ وفريق شرد في الأرض، حتى مات منفياً عن وطنه وأهله ـ كما حدث مع صعصعة بن صوحان وغيره ـ وفريق صلبوا على جذوع النخل ـ أمثال ميثم التمار ـ.

وبعد أن ضعفت قوى الشيعة وتبدد جمعهم من جراء عمليات التصفية والابادة أقدم معاوية على جريمته النكراء في قتل حجر بن عدني وابنه وأصحابه في مرج عذراء.

وأحدثت هذه الجريمة في العالم الإسلامي هزة عنيفة وأيقضت ضمائر الكثر ممن ناصر الخلفاء واتبع نهجهم، أو سكت عن جرائمهم البشعة التي مورست بحق الشيعة الموالين لعليّ (ع) وجلهم من الصحابة الأخيار.

فهذا الحسن البصري يقول: أربع خصال كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة لكانت موبقة، ثم عددها وذكر منها قتله حجراً، ويلاً له من حجر.[1]

وقالت السيدة عائشة: أما والله لو علم معاوية أن عند أهل الكوفة منعة ما اجترأ على أن يأخذ حجراً وأصحابه من بينهم، حتى يقتلهم بالشام، ولكن ابن

---

١) الطبري، ٥: ٢٧٩، البداية والنهاية، ٨: ١٤١، الكامل في التاريخ، ٣: ٤٨٧.

آكلة الأكباد علم أن قد ذهب الناس، أما والله، انْ كانوا لجمجمة العرب، عـزاً ومنعة وفقهاً.[١]

وتركت هذه الجريمة أثراً سيئاً في نفوس المعاصرين لها من المسـلمين، وجرحاً مؤلماً في قلوبهم، وكانت بمثابة صدمة عنيفة لمن بقى من خيار الناس في تلك الأيام.

وشملت هذه التصفيات قنبراً مولى أميرالمؤمنين (ع)، وكميل بن زيـاد الذي هدده الوالي الأموي بقطع عطاء قومه ان لم يسلّم فسلم وقتل صبر.

وهلك معاوية وجاء ابنه يزيد ليختل مكانه ويمارس تصفيات أشـد قسـاوة وأكثر عنفاً من تلك التي كانت على عهد الطاغية أبيه، فلما علم بخروج الحسين (ع) من مكة وارساله مسلم بن عقيل سفيراً عنه إلى الكوفة، عيّن عبيدالله بن زياد والياً على الكوفة فقتل مسلم بن عقيل وجماعة من الشيعة، وسجن أربعة آلاف منهم، وسفّر ما لا يقل عن سبعين ألف شخص إلى إيران وأماكن أخرى، وزرع الخوف والذعر في قلوب من تبقى منهم. وبذا مهّد السبيل لمنع خروج الشيعة من الكوفة لنصرة إمامهم الحسين حال وصوله إلى كربلاء.

وأرسل عبيدالله بن زياد جيشاً لا يقل عدده عـن ثلاثين ألفـاً، حـاصر الحسين (ع) وقتله وأهل بيته (ع)، ومائة وخمس وأربعين من أصحابَه شر قتلة عرفها التاريخ.

ولم تقتصر هـذه التـصفيات عـلى الشـيعة فـحسب، بـل شـملت حـتى المتعاطفين معهم أبناء السنة، فعلى أثر نهضة المدينة المـنوّرة اجـتاح الجـيش الأموي أرجائها وأحدث فيها من الجرائم ما لا تقل فضاعة عن جرائم هولاكو

---

١) الاستيعاب، ١: ٣٥٨.

والمغول وهتلر.

فذكرت التواريخ ان يزيد بن معاوية قد أباح المدينة لجنده ثلاثة أيام بعد فشل النهضة والقضاء عليها. وكان قوام جيشه حوالي إثنا عشر ألف جندي، فدخلوا مدينة رسول الله (ص) وصاروا يفسقون بالنساء، ويقتلون فيها الناس، حتى قتل من وجوه المهاجرين والأنصار سبعمائة، ومن وجوه الموالي عشرة آلاف، ثم ان قائد يزيد بايع من بقي من الناس على أنهم خول وعبيد ليزيد ابن معاوية.[١]

ويقول ابن قتيبة: قتل في المدينة من النساء والصبيان عدد كثير، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من أمه ويضرب به الحائط فينتشر دماغه على الأرض وأمه تنظر إليه. ويقول الفخري: إن الرجل من أهل المدينة كان إذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها لعلها قد افتضت في واقعة الحرة حيث افتض فيها ألف عذراء من بنات المهاجرين والأنصار.[٢]

ولما سمع أهالي مكة بأنباء المجازر الوحشية في المدينة اهتاجوا لذلك وتحصنوا في البيت الحرام ظناً منهم بأن الأمويين سيراعوا حرمة هذا البيت المقدس الذي آجله حتى الجاهلون. ولكن خاب ضنهم حيث راح القائد الأموي يقذف الكعبة المشرفة التي التجؤوا إليها بالمجانيق والنار.

وكان أهل المدينة ومكة أكثرهم يومئذ إن لم نقل كلهم من غير الشيعة، بل كان الرئيس في مكة عبدالله بن الزبير وميله عن علي وشيعته مشهور معروف.[٣]

---

١) أبو الفداء، ١: ١٩٢، الإمامة والسياسة، ٣٠٠.

٢) تاريخ الخلفاء، ٩٩، العقد الفريد، ٣: ١٥٧، تهذيب الكامل، ١: ١٤٩، الشيعة في التاريخ، ١٤٦.

٣) تهذيب الكامل، ١: ١٤٩، وفيه: تجد بغض.

وهلك يزيد وجاء عبدالملك بن مروان فتفاقم الوضع سوءاً واشتدت محنة الشيعة في زمنه أكثر فأكثر، حيث ولي الحجاج الكوفة بعد أن قضى على ابن الزبير فيها.

وعاشت الكوفة بعد واقعة الطف إلى مجيء الحجاج أحداث دامية، منها: حركة سليمان بن صرد الخزاعي التي ذهب ضحيتها أربعة آلاف شيعي موالي لآل البيت (ع). ثم أعقبتها حركة المختار الثقفي التي قضى عليها ابن الزبير بعد أن فتك بالمختار ومئات من رجالات الشيعة الأخيار. فلما استلم الحجاج زمام الأمور في الكوفة كانت مغمرة بالمآسي والأحزان، إذ قلما تجد فيها بيتاً لا ناحة ولا مأتم للعزاء فيه، لأن معظم بيوتها مسكونة من قبل الأرامل والأيتام..

وما زاد من مآسيها قيام الحجاج باعتقال أعداداً كثيرة من الشيعة ووضعهم في سجون مكشوفة لا تقيهم الحر والبرد، فمكثوا فيها طويلاً حتى انقرضوا بالتدريج ولم يبقى منهم أحد.

ثم لاحق المشتركين في ثورة القراء التي قادها عبدالرحمان الأشعث، ومنهم سعيد بن جبير حيث قتله في ديوانه وأمام عينيه بسبب حبه وتعطشه لرؤية الدماء.

وذهب سعيد ضحية حبه وولائه لآل البيت (ع)، ولم يعيش الحجاج بعده إلّا أيام معدودة، ولكن التصفيات الأموية استمرت دون انقطاع ـ باستثناء فترة وجيزة في عهد عمر بن عبدالعزيز ـ حتى سقوط دولتهم في ١٣٢ هـ ومجيء دولة بني العباس حيث بدأت مرحلة أخرى من التصفيات الدموية أشد بشاعة

وأكثر اجراماً.[١]

المرحلة الثانية من التصفيات الدموية

تبدأ المرحلة الثانية للتصفيات الدموية بمجيء الدولة العباسية للحكم، وتنتهي بسقوطها وانحلالها في آواخر القرن الرابع الهجري.

وتابعت هذه الدولة الجديدة نفس السياسة الأموية بل كانت أشد عنفاً وارهاباً، وأكثر اجراماً وتقتيلاً من سابقتها. فإذا كان الأمويون يوكلون عمليات التعذيب والقتل لجلاوزتهم فإن العباسيين يمارسون ذلك بأنفسهم، ويفتخرون بكثرة من قتلوا من العلويين والشيعة الموالين لهم. فهذا المنصور الدوانيقي يقول: قتلت من ذرية فاطمة ألفاً أو يزيدون، وتركت سيدهم ومولاهم وإمامهم جعفر بن محمد.[٢]

وقال للإمام الصادق (ع) مرة: لأقتلنك ولأقتلنّ أهلك حتى لا أبقي على الأرض منكم قامة سوط.[٣]

وقد اعترف المنصور بذلك وهو في صدر الخلافة ولا يعرف عدد من قتلهم فيما بعد ذلك إلى انتهاء مدة خلافته.

---

١) النزاع والتخاصم، ١٢٤، شرح نهج البلاغة، ١١: ٤٤ ـ ٤٥، الإمام الحسن، ١١٩ ـ ١٢٠، الطبري، ٥: ٢٥٣ ـ ٢٨٥، الكامل في التاريخ، ٣: ٤٧٢ ـ ٤٨٨، أسد الغابة، ١: ٤٦١ ـ ٤٦٢، الاصابة، ١: ٣١٤ ـ ٣١٥، الاستيعاب، ١: ٣٥٦ ـ ٣٥٩، معاوية بن أبي سفيان في الميزان، ١٠٨ ـ ١١٠، البداية والنهاية، ٨: ٥٤ ـ ٦٠، الشيعة والحاكمون، ٨٠، الكامل في التاريخ، ٤: ٥٧٩، حلية الأولياء، ٤: ٤٩٠ ـ ٤٩٥، الإمامة وأهل البيتت، ١: ٢٣٣ ـ ٢٣٩.

٢) الأدب في ظل التشيّع، ٦٣، نقلاً من شرح القصيدة الشافية لأبي فراس، ١٦١.

٣) مناقب آل أبي طالب، ٣: ٣٥٧، بحارالأنوار، ٤٧: ١٧٨.

وحدثنا التاريخ لما حمل موسى بن عبدالله بن الحسن للمنصور فضربه خمسمائة سوط بنفسه.[١] وحبس من العلويين جماعة في محبس ستين ليلة ما يدرون بالليل ولا النهار ولا يعرفون وقت الصلاة إلّا بتسبيح علي بن الحسن.[٢]

وكان حاصل أجرام المنصور ان ترك خزانة مملوءة من رؤوس العلويين وشيعتهم ميراثاً لولده المهدي، وقد علّق في آذانهم أوراقاً يستدل بها على صاحب كل رأس. ومن بينها رؤوس شيوخ وشبان وأطفال.[٣] وأراد المنصور بفعله هذا أن يقول لولده المهدي: إن لم تمارس سياسة القتل والإجرام ضد العلويين وشيعتهم سوف لا يدوم لك الحكم طويلاً. فكانت هذه التركة الاجرامية بمثابة درساً لمن يخلفه في الحكم وإلّا كان باستطاعته اتلافها ومحو آثارها.

وكان لأبي مسلم الخراساني في عهده دوراً بارزاً في مطاردة الشيعة وقتلهم تحت كل حجر ومدر.[٤]

فقال أبو بكر الخوارزمي في رسالته إلى جماعة الشيعة بنيسابور بعد أن عدد أعمال الأمويين: فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر لا نظر الله إليه إلى صلابة العلوية ولين العباسية، فترك تقاه، وتبع هواه، وباع آخرته بدنياه، وسلط طواغيت خراسان، وخوارج سجستان، وأكراد أصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى سلط الله عليه أحب الناس إليه ـ يعني المنصور ـ فقتله... .[٥]

وكان هارون الرشيد يمتاز عن سائر الخلفاء العباسيين بقسوة قلبه،

---

١) مقاتل الطالبيين، ٢٦١. ٢) مقاتل الطالبيين، ١٣١.
٣) التخاصم والتنازع، ١٠٣، الحياة السياسية للإمام الرضا (ع)، ٨٧.
٤) الشيعة في التاريخ، ١٥٢. ٥) رسالته، ١٢٨، الشيعة في التاريخ، ١٥٢.

وشراسة طبعه، وفضاعة اجرامه، فقتل من العلويين بما فيهم الإمام الكـاظم (ع) وشيعتهم ما لا يحصى لهم عدداً، فالذي ذكرته التواريخ لا يشكل إلّا جزء يسير ممن قتلهم الرشيد سراً وجهراً. فكان منزوع الرحمة لا يرحم حتى أقرب الناس إليه رحماً، وكان يعذب بعض العلويين والشيعة الموالين لهم بنفسه ويقطع أرزاقهم حتى يموت جوعاً، أو يدفن بعضهم أحـياء حـيث يـضعهم فـي أسس الأبـنية والاسطوانات التي شيّد عليها المساجد والقصور. وكان يترك ضحايا أجرامه في سجونه المعتمة الكئيبة بلا دفن وتغسيل حتى تبلى أجسـادهم فـي قـعر تـلك السجون ولا يطلع أحد على ما اقترف هذا الطاغية من جرائم فضيعة لم يشهد لها التاريخ نظير.

وفيما يلي نذكر بعض الشواهد على ذلك الاجرام:

أولاً: بعد قيام الرشيد بتصفية البرامكي وقـتلهم بـرمتهم، ومـنهم رئـيس وزراءه وزوج أخته العباسة جعفر البرمكي، أقدم على قتل أبناءه الأربعة وهـم صبية صغار في عمر الزهور، ثم استدعى عشرة عمال ليحفروا لهم قبوراً داخل قصره ليدفنهم فيها سراً، وحينما أنجزوا العمال عملهم أمر الرشيد بقتلهم جميعاً لئلّا يطلع أحد على جريمته النكراء في قتل أبناء أخته العباسة.[1]

ثانياً: وفي ليلة من ليالي حكمه الجائر أرسل الرشيد صاحبه مسرور في طلب جلاده، فلما حضر قال له الرشيد: بماذا تـفتدي أمـيرالمـؤمنين؟ فأجـابه الجلاد قائلاً: بنفسي ومالي، فقال له: انصرف، ثم استدعاه ثـانية وكـرر سـؤاله السابق، فأجابه الجلاد: بنفسي ومالي وأهلي، فقال له: انصرف، ثم استدعاه ثالثة وكرر سؤاله، فقال الجلاد: أفديه بنفسي ومالي وأهلي وديني، فحالما سمع الرشيد

---

١) نكبة البرامكي.

جوابه هذا انبسطت أساريره وقال له: اتبع مسروراً وافعل ما يأمرك به.

فذهب الجلاد بمعية مسرور حيث أخرج له من سجن سري لا يعلم بـه أحد ستين علوياً وهم مقيدين بالأغلال ومعصبي الأعين وأمره أن يقتلهم جميعاً واحداً بعد الآخر، وتردد الجلاد قليلاً إلّا أن مسرور نهرهر وصاح به افـعل مـا يأمرك به أميرالمؤمنين وإلّا يقتلك شر قتلة. فباشر الجلاد قتلهم جميعاً ولم يبقي منهم أحداً.. فكانت مجزرة رهيبة شملت ستين علوياً بـريئاً لا ذنب لهـم عـدا كونهم من أبناء علي وفاطمة (ع).

ثالثاً: بعد أن خرّق الرشيد الأمان الذي منحه يحيى بن عبدالله بن الحسن وضعه في أضيق البيوت وأظلمها، فقال أحد المسجونين بالقرب منه: فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليلة هجعة، فإذا هارون قد أقبل على برذون له، ثم وقف وقال: أين هذا؟ ـ يعني يحيى بن عبدالله بـن الحسن ـ قالوا: في هذا البيت، قال: عليَّ به، فأدنى إليه، فجعل هـارون يكـلمه بشيء لم أفهمه، فقال: خذوه، فأخذوه فضربه مائة عـصاً، ويـحيى يـناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول: بقرابتي منك، فيقول: ما بيني وبينك قرابة.

ثم حمل فرد إلى موضعه، فقال ـ الرشيد ـ: كم أجريتم عليه؟ قالوا: أربعة أرغفة وثمانية أرطال ماء. قال: اجعلوه على النصف.

ثم خرج ومكثنا ليالي ثم سمعنا وقعاً فإذا نحن به حـتى دخـل فـوقف موقفه، فقال: عليَّ به، فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك، وضربه مائة عصاً أخرى، ويحيى بن عبدالله يناشده الله، فقال: كم أجريتم عليه؟ قـالوا: رغـيفين وأربـعة أرطال ماء.

قال: اجعلوه على النصف، ثم خرج وعاد ثالثة، وقد مـرض يـحيى بـن

عبدالله وثقل، فلما دخل قال: عليَّ به، فقالوا: هو عليل مدنف لما به.

قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفاً ورطلين ماء، قال: فاجعلوه على النصف.

ثم خرج فلم يلبث يحيى بن عبدالله أن مات، فأخرج إلى الناس. ودفن ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ.

ووردت أخبار أخرى في سبب موته مختلفة، منها ما أشارت إلى أنه وضعه في اسطوانة بالرافقة وهو حي، ومنها ذكرت أنه قتل خنقاً، أو مسموماً. وفي خبر علي بن إبراهيم بن بنان الخثعمي، عن محمد بن أبي الخساء: أنه أجاع السباع ثم ألقاه إليها فأكلته.[1]

هذه نماذج ثلاثة أوردناها لغرض التدليل على قسوة قلب الرشيد وفضاعة جرائمه، وشدة كراهيته للعلويين وشيعتهم. فهو قتل مئات ممن كافح ظلمه وجوره من العلويين وآلاف من شيعتهم الذين ناصروهم وأزروهم ضد حكمه الجائر المستبد البعيد عن الإسلام وعدله بعد السماء عن الأرض.

ولم يكتفي هارون الرشيد بذلك بل راح يلاحق خيرة الرواة من صحابة الأئمة الأطهار ويضطهدهم ويلقي بهم في غياهب السجون مع علمه بأنهم ليس لهم دوراً في حركات العلويين السالفة الذكر. ومن هؤلاء محمد بن أبي عمير ومحمد بن يونس بن عبدالرحمان. فقال الجاحظ في كتابه (البيان والتبين): حدثني إبراهيم بن واحة، عن ابن أبي عمير، وكان وجهاً من وجوه الرافضة، وكان حبس في أيام الرشيد فقيل: ليلي القضاء، وقيل: أنه ولي بعد ذلك، وقيل: بل ليدلّ على مواضع الشيعة وأصحاب موسى بن جعفر (ع). وروي أنه ضرب

---

١) مقاتل الطالبيين، ٣١٩ ـ ٣٢٠.

أسواطاً بلغت منه، فكاد أن يقر لعظم الألم، فسمع محمد بن يونس بن عبدالرحمان وهو يقول: اتق الله يا محمد بن أبي عمير، فصبر ففرّج الله عنه.[١]

وسار الخلفاء العباسيون على المسار الاجرامي الذي اختطه المنصور الدوانيقي، وهارون الرشيد في محاربة العلويين وشيعتهم، وارتكبوا بحقهم أبشع المجازر الدموية، وأكثرها بشاعة واجراماً.

فكلما ذهب مجرم متستر بالإسلام، أعقبه مجرم آخر أشد منه فتكاً، وأكثر اجراماً. (فلم يستقر للشيعة بال، ولم يهنأ لهم عيش).[٢]

وقد وصف أحمد أمين المصري في كتابه (ضحى الإسلام) حال الشيعة وأئمتهم الأطهار (عليهم السلام) في عصر خلفاء الجور العباسيين، فنقل رسالة لأبي بكر الخوارزمي في هذا الشأن جاء فيها: ... هذا ما فعله العباسيون مع أئمة الطالبيين، ولم يكن تنكيلهم بمن تشيع من عامة الناس باقل من ذلك، فابو مسلم الخراساني سلّط أعوانه على آل أبي طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر، ويطلبهم في كل سهل وجبل، وملئت سجون المنصور والرشيد بالعلويين ومن تشيع لهم، ويموت إمام من أئمة الهدى فلا تشيع جنازته، ولا تجصص مقبرته، ويموت (ماجن للعباسيين) أو لاعب، أو مسخرة، أو ضارب، فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عند القواد والولادة، ويسلّم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً أو مانوياً، ويقتلون من عرفوه شيعياً، ويسفكون دم من سمّى ابنه علياً.. ويتكلّم بعض شعراء الشيعة

---

١) رجال النجاشي، عنه: ٣٢٦.

٢) الحياة السياسية للرضا (ع)، ٨٦ـ ١٠٦، الأدب في ظل التشيع، ٦١ ـ ٧٢، الشيعة في التاريخ، ١٥٨ ـ ١٦٦، مقاتل الطالبيين، ١٧١ وما بعدها.

في ذكر مناقب الوصي، بل في ذكر معجزات النبي، فيقطع لسانه، ويمزق ديوانه، كما فعل بعبدالله بن عمارة البرقي[١]، وكما نبش قبر منصور النمري[٢]، حتى ان هارون والمتوكل كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلّا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب، مثل مروان بن أبي حفصة الأموي، ومن الأدباء مثل عبدالملك بن قريب الأصمعي.

ثم قال: يقتلون بني عمهم جوعاً وسغباً، ويملؤون ديار الترك والديلم فضة وذهباً، يستنصرون المغربي والفرغاني، ويجفون المهاجرين والأنصاري، ويولّون أنباط السود وزارتهم، وقلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أمهم وفيء جدهم، يشتهي العلوي الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيام الشهوة ولا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن مريم المدني، وإلى إبراهيم الموصلي، وابن جامع السهمي[٣]، والي زلزل الضارب، وبرصوما الزامر، ويقطع بختيشوع النصراني قوت أهل بلد، وبغا التركي، والأفشين الاشروسني كفاية أمة ذات عدد.. والقوم الذين أحل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبة، يتكففون ضراً، ويهلكون فقراً ـ إلى أن قال ـ: ومثالب بني أمية على عظمها وكثرتها، ومع قبحها

---

١) عبدالله بن عمارة البرقي: شاعر عاصر الرشيد ومن بعده المتوكل، مدح الأئمة الأطهار، فوشي به إلى المتوكل وقرئت عليه قصيدة له فأمر بقطع لسانه، واحراق ديوانه فمات بعد أيام إثر ذلك. راجع الأمين، أعيان الشيعة، ٨: ٦٣.

٢) منصور النمري: شاعر عباسي حصل بينه وبين العتابي عداء فوشي به عند المنصور أنه يمدح العلويين فغضب عليه وبعث في طلبه فوجده متوفياً فأمر بنبشه ليحرق. راجع الخطيب، تاريخ بغداد، ١٣: ٦٩.

٣) هؤلاء الثلاثة كانوا من المغنين في بلاط المسلمين.

وشناعتها، صغيرة وقليلة في جانب مثالب بني العباس الذين بنو مدينة الجبارين، وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين.[١]

ومن الشواهد المجسدة لحقد العباسيين وبغضهم الشديد لشيعة علي (ع) والأئمة الأطهار من أبنائه هو قتل المتوكل لابن السكيت وسل لسانه.

فذكر السيوطي ذلك في كتابه (تاريخ الخلفاء) فقال: ان المتوكل قتل يعقوب ابن السكيت الإمام في العربية في سنة أربع وأربعين ومائتين، فإنه ندبه إلى تعليم أولاده، فنظر المتوكل يوماً إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت: من أحب إليك هما أو الحسن والحسين؟ فقال: قنبر ـ يعني مولى علي ـ خير منهما.

فأمر ـ المتوكل ـ الأتراك فداسوا بطنه حتى مات، وقيل: أمر بسل لسانه فمات وأرسل إلى ابنه بديته. ومع حقده الشديد هذا لآل البيت (ع) وشيعتهم نرى السيوطي يصفه بالترفض فيقول: وكان المتوكل رافضياً. وهذا من أغرب غرائبه وعجائبه.[٢]

ومن الشواهد الأخرى الدالة على محنة الشيعة ومعاناتهم في زمن المتوكل منع الشيعة من زيارة قبر الحسين بعد أن محى أثره وقتل الكثير في هذا السبيل وصادر أموالهم.

وقد بلغ النصب بالمتوكل إلى أن كتب سنة ٢٣٦ هـ إلى مصر بإخراج آل أبي طالب منها. فأخرجوا وقدموا العراق فأخرجوا منه إلى المدينة، لمّا مات

---

١) أحمد أمين، في ضحى الإسلام، ٣: ٢٩٦ ـ ٢٩٨، نقلاً عن رسائل أبي بكر الخوارزمي. أنظر كتاب التقية عند أهل البيت (عليهم السلام)، ٥٠ ـ ٥١.

٢) تاريخ الخلفاء، ٣٤٨، وفيات الأعيان، ٢: ٣١٠، الشيعة في التاريخ، ١٦٤.

المتوكل قام من بعد ابنه محمد المستنصر فكتب إلى مصر بأن لا يقبل علوي ضيعة، ولا يركب فرساً، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد، ومن كان بينه وبين أحد من الطالبيين خصومة قبل قول خصمه من سائر الناس فيه، ولم يطالب ببينة، وكتب إلى العمال بذلك.[١]

وكانت محنة المحدثين أكبر وأعظم سواءاً كانوا من الشيعة أو السنة خصوصاً اولئك الذين يذكرون فضائل الإمام علي (ع) وإبنيه الحسن والحسين (عليهما السلام) فتعرض الكثير منهم للضرب والشتم والحبس والقتل وقطع الأرزاق، وقد أشرنا إلى الكثير من الشواهد، فراجع.

ومن هؤلاء المحدّث الكبير نصر بن علي الجهضمي لمّا حدّث بهذا الحديث عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): من أحبني وأحب هذين ـ يعني الحسن والحسين ـ وأباهما وأُمهما كان معي في درجتي يوم القيامة، أمر المتوكل بضربه ألف سوط، حتى كلّمه في شأنه جعفر بن عبدالواحد وجعل يقول: هذا الرجل من أهل السنة. ولم يزل به حتى تركه.[٢]

قال الخطيب البغدادي: إنما المتوكل أمر بضربه لأنه ظنه رافضياً، فلما علم انه من أهل السنة تركه.[٣]

واستمرت عمليات المطاردة للثوار العلويين وشيعتهم حتى شملت أكثر ولايات الدولة الإسلامية كالطالقان، وطبرستان، وخراسان، ومنطقة الري في إيران، ونينوى في ارض العراق، وقزوين وزنجان، ومصر

---

١) خطط المقريزي، ٤ : ١٥٣، الشيعة في التاريخ، ١٦٤، مروج الذهب، ٤ : ٥١، الكامل في التاريخ، ٥ : ٢٨٧، مقاتل الطالبيين، ٤٥٠، الغيبة الصغرى، ٧٦.

٢) أخرجه القاضي في الشفاء، ٢ : ٢٠، وابن حجر في تهذيب التهذيب، ترجمة نصر بن علي، ١٠.

٣) تاريخ بغداد، ١٣ : ٢٨٨.

وشمال أفريقية.. إلّا أن معظم هذه الثورات كانت في مدينة الكوفة التي أحرقها مزاحم بن خاقان في عهد الخليفة المستعين بالنار فاحترق منها سبعة أسواق. وذهب ضحية هذه الثورات عشرات الآلاف من الشيعة الموالين لآل البيت (ع).[١]

وازداد الحال سوءاً في أواخر أيام الدولة العباسية حيث الفتن والاضطرابات الطائفية التي أوقعت الكثير من الضحايا، وأربكت الأوضاع العامة، وكانت هذه الفتن من رواسب الدولة العباسية ومخلفاتها حيث استطاعت بواسطة أجهزة إعلامها، ووعاظ البلاط من فقهاء السوء تزرع الحقد والبغضاء في نفوس المسلمين وتوجد تياراً مناهضاً للأئمة الأطهار (ع) وشيعتهم الموالين لهم في كل أنحاء العالم الإسلامي.

وتفاقمت حدة الصراع الطائفي مع مجيء الدولة البويهية وهي المرحلة الثالثة من التصفيات التي تعرضت لها الطائفة الشيعية عبر مراحل تاريخية مظلمة خلال فترتي العهدين الأموي والعباسي.

المرحلة الثالثة من التصفيات الدموية

تبدأ المرحلة الثالثة من أواخر القرن الهجري الرابع حيث ضعفت الخلافة العباسية وظهرت حكومات الأقاليم المستقلة الخارجة عن سيطرة الخلفاء العباسيين الذين باتوا مسيرين من قبل قادة جيش الأتراك.

وبالرغم من ضعف الخلافة العباسية وظهور الدويلات المستقلة المتعاطفة

---

١) الغيبة الصغرى، ٨٠ـ٨٧، مقاتل الطالبيين، ٤١١، الكامل في التاريخ، ٥: ٣١٤و٢٣٢ و٣١٥و٣٤٥، و٣٢٩و٣٣٥و٣٥٩، مروج الذهب، ٤: ٦٣و٦٨و٦٩و٩٤.

مع الشيعة بشكل وآخر، بقيت الشيعة مضطهدة ومعرضة للقتل والتنكيل لا من قبل الحكومات وإنما من قبل الفئات الطائفية الحاقدة.

فإن نيران الاحقاد والضغائن الطائفية التي أججها العباسيون في نفوس أتباعهم ومريديهم لازالت تستعر لتلتهم مئات الآلاف من الشيعة الأبرار وتحرق تراثهم الفكري بالرغم من ضعف الدولة العباسية وانحلالها.

وبسبب تلك الأحقاد الطائفية المشار إليها تعاظمت محنة الشيعة وفقهائها أكثر فأكثر بمرور الأيام في كل ربوع الوطن الإسلامي دون استثناء.

ففي بغداد اضطرت السلطات الحاكمة إلى نفي الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) مرتين في زمن الدولة البويهية الشيعية قمعاً للفتن الطائفية والاضطرابات المذهبية.

فكانت المرة الأولى عام ٣٩٣ عندما اختلت الأوضاع الأمنية في بغداد، فجاء عميد الجيوش أبا علي بن أستاذ هرمز وقمع المفسدين، ومنع السنة والشيعة من إظهار مذاهبهم، ونفى بعد ذلك ابن المعلّم ـ يعني الشيخ المفيد ـ فقيه الإمامية إلى خارج بغداد.

وكانت المرة الثانية في سنة ٣٩٨ إثر فتنة طائفية وقعت بين الشيعة والسنة في جانب الكرخ من بغداد.[1]

وذكر صاحب كتاب الغيبة الكبرى الشهيد العلّامة محمد الصدر هذه الأحداث والصراعات الطائفية التي حدثت في بغداد بقوله: لم يكن أهل المذاهب الأخرى ليجدوا الفرصة المؤاتية حال قوة الدولة البويهية وجبروتها، وإنما انفسح لهم المجال بشكل واضح في الفترة التي تؤرخ لها، باعتبار ما آل إليه أمر

---

١) أعيان الشيعة، ٩: ٤٢٢.

البويهيين من التفرق والانحلال.

ولسنا نريد أن نطيل في وصف الحوادث، وحسبنا أن نعرف، انه قد حدث في بغداد في عاشوراء عام ٤٠٦ حوادث مؤسفة[١]، وفي العام الذي يليه في واسط[٢]، وفي شمال أفريقيا حيث قتلت جميع الشيعة كما ذكر التاريخ.[٣]

وكذلك في بغداد في عام ٤٠٨ أيضاً، واشتد عام ٤٠٩ حتى أدى إلى نفي أبي عبدالله النعمان الشيخ المفيد من بغداد، وتكرّر مثل ذلك في الكوفة عام ٤١٥، وفي بغداد أيضاً عام ٤٢٢.[٤]

وبلغ التعصب الطائفي الأعمى ذروته في إيران زمن الغزنويين الأتراك حيث تعرّض الضريح الطاهر للإمام الرضا (عليه السلام) للهدم والدمار في عهد سبكتكين.[٥]

وفي ٤٤٣ للهجرة نشبت فتنة طائفية عاصفة في بغداد حيث أشعل متطرّفون من أهل السنة النار في مساجد الشيعة، بل ومراقد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في الكاظمية، وكانت حدّة التوتر تبلغ مرحلة الانفجار في مواسم عاشوراء.. عندما يعلن الشيعة حزنهم على مصرع الحسين (ع) في كربلاء.[٦]

وعلى أثر احتلال السلاجقة بغداد عام ٤٤٧ هـ بقيادة (طغرل بيك) الذي تعصّب لأهل السنة ضد إخوانهم من الشيعة، شهد جانب الكرخ حرائق مروعة، والتهمت ألسنة النيران أعظم مكتبة في بغداد، وهي مكتبة «أبو نصر سابور»[٧].

---

١) الغيبة الكبرى، ٥٧، ط قم.
٢) الكامل في التاريخ، ٧: ٢٨١.
٣) الغيبة الكبرى، ٥٧.
٤) الكامل في التاريخ، ٧: ٢٩٩ و٣٠٠ و٣١٦ و٣٥٥، والغيبة الكبرى، ١١٤.
٥) حياة الشيخ الطوسي، ٢١.
٦) حياة الشيخ الطوسي، ٣٢.
٧) حياة الشيخ الطوسي، ٣٦.

وقد أرغمت تلك الحوادث المريرة شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي على الهجرة إلى النجف الأشرف[١]، بعدما اقتحم بيته وصودرت ممتلكاته ـ بما في ذلك مكتبته وآثاره العلمية ـ.[٢]

وفي مصر قام الأيوبيون باضطهاد الشيعة الفاطميين أبشع اضطهاد، وجعلوا من يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلاوات تماماً كما يفعلوا بالأعياد والمناسبات السارة.[٣]

وبعد التصفيات الدموية التي مارسها صلاح الدين ضد الشيعة الفاطمية قام بفرض عقيدة الأشاعرة على الناس بالإكراه في كل من مصر والشام ـ بعد القضاء على الدولة الحمدانية الشيعية فيها ـ والحجاز، واليمن، والمغرب، حتى صار هذا الاعتقاد بسائر هذه البلاد بحيث ان من خالفه ضربت عنقه.[٤]

وفى أفريقيا حمل المعز ابن إدريس الناس على التمسك بمذهب مالك وترك ماعداه من المذاهب، وذبح الشيعة عن بكرة أبيهم ولم يبقى منهم أحد.[٥]

ويحكي الشهرستاني: ان محمد بن سبكتكين السلطان قد نصر مذهب الكرامية، وصبّ البلاء على أهل الحديث والشيعة.[٦]

وفي عام ٦٥٦ هـ بدأ الاجتياح المغولي للشرق الإسلامي وراحت المدن والحواضر الإسلامية تتساقط الواحدة تلو الأخرى ولاقت بغداد مركز الحكم والحضارة نفس المصير على المغول بقيادة هولاكو حفيد جنكيزخان.[٧]

---

١) حياة الشيخ الطوسي، ٣٧. ٢) حياة الشيخ الطوسي، ١٥ و ٣٨.

٣) تاريخ مصر، لابن زيدان، ٢ : ٣٨٥، من خطط المقريزي.

٤) خطط المقريزي، ٤ : ١٨٦. ٥) الخطط، ٤ : ٤٤.

٦) الملل والنحل، ١ و ١٥، الشيعة في التاريخ، ١٥٦.

٧) الشهيد الأول، ٩١.

وفي دمشق لفقت تهم باطلة للشيخ الجليل محمد بن مكي العاملي الملقب بجمال‌الدين أو شرف‌الدين وحوكم محاكمة غير عادلة وضربت عنقه في جمادي الأول عام ٧٨٦ هـ.

وفي (شذرات الذهب) ذكره المؤلف في أحداث عام ٧٨٦ فقال: وفيها قتل محمد ابن مكي العراقي الرافضي، كان عارفاً بالأصول والعربية، فشهد عليه بدمشق بانحلال العقيدة، واعتقاده مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف، وغير ذلك من القبائح، فضربت عنقه بدمشق في جمادي الأولى.[١]

أنظر عزيزي القارئ إلى التعصب الطائفي الأعمى كيف أعمى بصيرة هذا الرجل الحاقد فصيره إنسان فاقد الضمير والوجدان، بعيداً عن الدين والمروءة والانصاف بعد السماء عن الأرض، يخبط خبط عشواء وينسج من وحي أحقاده الدفينة تهماً ملفقة ليلصقها بأشرف وأتقأ وأفضل وأعلم رجل دين في زمانه.

وفي زمن السلطان سليمان القانوني قتل الشهيد الثاني زين‌الدين الجبعي العاملي ذبحاً ورفع رأسه للسلطان.[٢]

وقال (حسن بيك روملو) في كتابه (أحسن التواريخ) حول مقتل الشهيد الثاني: في سنة ٩٦٥ وفي أوساط سلطة الشاه طهماسب الصفوي استشهد حاوي المعقول والمنقول، جامع الفروع والأصول الشيخ زين‌الدين العاملي، وكان السبب في شهادته ان جماعة من السنيين قالوا لرستم باشا الوزير الأعظم للسطان سليمان: ... ان الشيخ زين‌الدين يدعي الاجتهاد ويتردد إليه كثير من علماء الشيعة ويقرأون عليه كتب الإمامية، وغرضهم بذلك إشاعة التشيّع. فأرسل

---

١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٦: ٢٩٤.

٢) شهداء الفضيلة، ١٣٦، أعيان الشيعة، ٣٣: ٢٩٢.

رستم باشا الوزير في طلب الشيخ زين‌الدين وكان وقتئذٍ بمكة المعظمة وذهبوا به إلى اسطنبول فقتلوه فيها من غير أن يعرضوه على السلطان.[١]

ومهما اختلفت الروايات في الأسباب التي أدّت إلى مصرع الشيخ زين‌الدين، إلّا أنها تؤكد جميعاً ـ ربما لا يدع مكاناً للشك ـ أن العاصمة العثمانية كانت تعتبر الشهيد خطراً يهدّد كيانها ويعرّض أمنها للخطر، خاصة وأن سلاطين آل عثمان يتوجسون خيفة من جارتهم في الشرق ـ يعني الدولة الصفوية ـ.[٢]

وكانت السلطات العثمانية في كل أرجاء امبراطوريتها تضطهد الشيعة اضطهاداً شديداً، وتسلب حريتهم، وتمنعهم من إقامة المأتم الحسينية، ومن زيارة العتبات، وتضايق فقهائهم وتمنعهم من إقامة الشعائر الدينية بالشكل المطلوب. ومارس العثمانيون أبشع الجرائم بحق الشيعة الإمامية خلال فترة حكمهم المظلم الذي استمر أكثر من خمسة قرون متتالية.

وكان للحركة الوهابية الحاقدة دوراً ارهابياً بارزاً في تصفية القواعد الشيعية في أماكن متعددة من أرض الجزيرة العربية، حيث قتلت العديد منهم وهدّمت الكثير من مساجدهم على رؤوس المصلّين فيها.[٣]

ولم تختصر الجرائم الوهابية على أرض الجزيرة فحسب، بل امتدت جرائمها وشرورها إلى العراق والبلدان المجاورة. وفي العراق استباحت حرمة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وأحدثت المجازر الدموية الرهيبة دون أن يعترض سبيلها أحد.

---

١) أحسن التواريخ، عنه في أعيان الشيعة، ٣٣: ٢٩٢.

٢) حياة الشهيد زين الدين العاملي، ١٠٥.

٣) الفرقة الوهابية في خدمة من، ١٤٣ و ١٤٥.

وفي إيران قام رضا بهلوي المعروف بعمالته لبريطانيا بـمكافحة العـقيدة الشيعة ونشر الفساد على أوسع نطاق، وحاول نزع الحجاب بالإكـراه وإفشـاء السفور بحجة تحرير المرأة، فتصدى له فقهاء الشيعة بقوة وفي طليعتهم آية الله المجاهد السيد حسين القمي الذي قاد حركة الجماهير الشـيعية المـؤمنة ضـد حكومة البهلوي وأرغمها في نهاية المطاف على التراجع عن اجراءاتها التعسفية المنافية للشرع الإسلامي الحنيف،[1] بعد أن قدم الشعب الإيراني عشرات الشهداء ومئات الجرحى، وآلاف السجناء في انتفاضتي مشهد وشيراز.

وفي كتاب (قيام جوهر شاد) ذكر بعض أخبار الانتفاضة فقال: وفي ١٠ ربيع الثاني ١٣٥٤ وصلت ذروة التجمع نقطة الأوج، وكانت التقارير تصل طهران لحظة بلحظة. وتصدر أوامر رضاخان بمهاجمة المسجد ـ يعني مسجد جـوهر شاد ـ وفي منتصف تلك الليلة هاجمت قـوات القـوزاق بـقيادة العـقيد «ايـرج مطبوعي» وفتحت النار على الجموع العزلاء.

واستمر أزيز الرصاص مدة طويلة، وسقط العشرات من الشهداء، ونـقلت ٥٦ شاحنة القتلى وحتى الجرحى حيث دفنوا في مقابر جماعية، كما اعتقل أكثر من ١٥٠٠ من أفراد الشعب وأودعوا السجون والمعتقلات، كما ألقي القبض على العديد من العلماء، وقد فرّ الشيخ بهلول باتجاه الحدود الأفغانية، واعتقل من قبل النظام الأفغاني وأودع السجن مدة ٣١ سنة.

لقد واجه رضاخان انتفاضة الشعب بكل قسوة، وجرت محاكمات ظالمة

---

١) تاريخ بيست ساله ايران، ٦ : ٥٣، صحيفة النور، ١ : ٢٦٨، نهضت روحانيون ايران، ٢ : ١٥٩، عنصر فضيلت وتقوى، ٤٩.

طالت العديد من العلماء وفي طليعتهم (الميرزا محمد آقازاده).[١]

وبنفي الأب رضاخان ومجيء الابن محمد رضا ازداد الحال سوءاً إذ شرع محمد رضا بهلوي منذ مجيئه بافشاء العادات والتقاليد المنبثقة من الثقافة الأوروبية في أوساط الإيرانيين، ونشر الفساد في أرجاء إيران بحيث لا تكاد ترى منطقة من مناطق إيران خالية من معالم الفساد حتى بجوار العتبات المقدسة حيث ترى بارات الخمور، وأماكن الفسق والفجور، ومظاهر الخلاعة والسفور، والملاهي والسينمات المنتشرة في كل مكان وهي تقدم العروض والأفلام الخليعة المبتذلة الباعثة على ممارسة الرذائل واقتراف الجرائم، والداعية إلى التحلل من الأخلاق والقيم الإسلامية.

وبفضل هذه السياسة اللّاأخلاقية استطاع الشاه الجديد وبمرور الزمن أن يطبع سلوك الكثير من الفتيات الإيرانيات بطابع التحلل والتبرج والسفور.

فالمرأة الإيرانية التي كانت فيما مضى تكافح قرار نزع الحجاب المفروض بالقوة، أصبحت تميل إلى خلع حجابها طوعاً وبملئ ارادتها. وتبعاً لانتشار ظاهرة السفور والتبرج تفشي الفساد الأخلاقي في أوساط الشباب والشابات الإيرانيات وتأصلت جدوره، وازدادت العلاقات الغير مشروعة بين الجنسين، وبرزت ظاهرة اختطاف الفتيات من الشوارع واغتصابهن.

ومن جهة أخرى كان الشاه المقبور يعقد المزيد من الاتفاقيات والمعاهدات السياسية والعسكرية والاقتصادية مع أسياده الأمريكان حتى حول

---

١) هو ابن المرجع الكبير الشيخ كاظم الخراساني. وكان نجله (الميرزا) من النشطين في حركة المشروطة، اعتقل بعد مذبحة جوهر شاد، ولقي مصرعه في ظروف غامضة، وتشير أصابع الاتهام إلى الدكتور أحمدي الذي حقن المرحوم بأبرة هواء. قيام جوهر شاد، ١٦١، حياة السيد حسين القمي، ٧٨.

إيران بمرور الزمن إلى مستعمرة أمريكية.

ونتيجة لسياسة التبعية المطلقة لأمريكا، وعدم توزيع الثروة الوطنية بشكل عادل تردت الأحوال الاقتصادية والمعاشية، وظهر التفاوت الفاحش بين الفقر المدقع الذي شمل الغالبية الساحقة من أفراد الشعب الإيراني، والغنا المفرط الذي اختص به نفر قليل من النفعيين الذين استثمروا علاقاتهم الحسنة بأفراد الحاشية الملكية لجمع المال والاستحواذ على الأراضي والمقاطعات الزراعية.

وتردت الأحوال سوءاً بشكل ما عادت الشرائح الواعية تطيقهاوتصبر على ما تراه من عوامل الفساد والتفسخ وهي تنخر في كيان المجتمع الإيراني المسلم وتكاد أن تجعله خاوياً ومجرداً من أبسط القيم والأخلاق الإسلامية السامية.

فنهضت تلك الشرائح الواعية نهضة إسلامية عامرة بقيادة القائد الفذ روح الله الموسوي الخميني لتكافح الطغيان والاستبداد والفساد المستفشي في كل أرجاء الوطن، ولتسقط نظام الشاه البالي، وتنقذ الجماهير المسلمة من حالة البؤس والشقاء، وتحررها من العبودية والإذلال، وبادرت الجماهير فوراً للالتفاف حول قيادتها المخلصة فكانت حركة الخامس عشر من خرداد.

ولما أوجس الشاه المقبور خطورة الحركة على نظام حكمه، توسل بالقوة العسكرية، واستخدم وسائل الابادة الجماعية وبمنتهى القسوة والشراسة، فقتل عشرات الألوف من الجماهير الساخطة، وملء السجون بالمجاهدين الأبطال بما فيهم علماء الدين، ومارس ضدهم أبشع أساليب التعذيب وأحدثها، ونفى القائد المبجل إلى خارج إيران..

وظلت عوامل التذمر والسخط تغلي في نفوس الجماهير المؤمنة حتى تحولت بعد مرور فترة من الزمن إلى ثورة عاصفة واجهها الشاه بشراسته وقسوته المعهودة، فكانت مجازر الفيضية والجمعة السوداء وسقوط عشرات الآلاف من

القتلى والجرحى في معظم المدن والمحافظات الإيرانية الثائرة.

واستطاعت الجماهير الغاضبة أن تسقط نظام الشاه، وتعيد القائد من منفاه إلى أرض الوطن، وتثبت قواعد الإنقلاب وترسخ أصوله..

ثم ظهرت ردود الفعل وانعكاسات الثورة الإيجابية في آفاق المجتمع المسلم لا سيما في الدول المجاورة كالعراق، وتركيا، وأفغانستان، وباكستان، وامتدت اشعاعات الثورة إلى فلسطين، وسوريا، ولبنان، وسائر أرجاء العالم الإسلامي.

ففي العراق قام النظام البعثي العميل بحملة من الاجراءات التعسفية والتصفيات الدموية الرهيبة الهادفة إلى وضع الموانع والعراقيل في طريق الثورة الإسلامية القادمة من البلد المجاور إيران، وبات خطرها يهدد كل النظم الرجعية العميلة الضالعة في ركاب الإستكبار العالمي، بما فيها النظام البعثي الحاقد الذي سبق وأن مارس أبشع أساليب التصفية الدموية لرجال العلم والفضيلة والعناصر الواعية من المؤمنين تحت شعار لا جاسوس يبقى على أرض العراق..

فعملاء الأجنبي وجواسيسه القداما الذين جاؤوا إلى دفة الحكم بقطار أنكلو أمريكي اتخذوا من شعار مكافحة التجسس ذريعة لتحجيم نشاط العلماء والحوزات العلمية، ومنع إقامة المأتم الحسينية، وتهجير مئات الآلاف من العراقيين الشيعة بعد أن سلبوا أموالهم وممتلكاتهم بحجة التبعية الإيرانية.

فكانت هذه الاجراءات التعسفية الجائرة كمرحلة تمهيدية للتصفيات الدموية البشعة التي مارسها فيما بعد.

فعلى أثر سماع النظام بحدوث الإنقلاب الإسلامي في إيران، وتفاعل العناصر الواعية من علماء الدين معه، كشر النظام عن أنيابه الدامية، وأظهر منتهى شراسته وقسوته، فمارس التهجير والتقتيل والتنكيل في آن واحد.

فقتل العشرات من علماء الدين وآيات الله العظام، بل المئات وفي طليعتهم آية الله الشهيد محمد باقر الصدر، وأُخته العلوية الفاضلة بنت الهدى، وإعدام المئات من العناصر المؤمنة الواعية الموالية لهم.

ولم يتورع النظام عن ممارسة أقسى أساليب التعذيب الوحشي بحق المجاهدين الأبطال، وصار يلقي الأطفال الأبرياء في مكائن ثرم اللحم أمام أنظار أُمهاتهم المؤمنات الصابرات، وحبس الشباب والشابات المجاهدين في مكان واحد وهم عراة، ومارس أشد أساليب الرذيلة ضعة بحق المؤمنات المجاهدات، فأفتضى بكارة العديد منهن بالإكراه واستباح حرمة العشرات أمام أزواجهن وإخوانهن وآبائهن وأبنائهن. إن أساليب الخسة والدناءة والضعة التي مارسها النظام البعثي الحاقد تذكرنا بالجرائم الدموية واللّاأخلاقية التي مارسها جيش يزيد بن معاوية عند استباحته للمدينة المنوّرة في سالف الأيام.

وبلغ حقد النظام البعثي وقسوته درجة لم يسبق لها نظير، حتى ان رأس النظام صدام حسين كان يمارس تعذيب الشهيد الصدر وأُخته العلوية وبعض علماء الدين المجاهدين بنفسه، وكأنه يريد بفعله هذا أن يذكرنا بأسلافه المجرمين من الأمويين والعباسيين الذين كانوا يمارسون تعذيب العلويين وشيعتهم بأنفسهم في أثناء فترة عهديهم الغابرين..

وكان النظام البعثي بعمليات الابادة والتصفيات الدموية يمهد السبيل لإعلان حربه الظالمة ضد نظام الإسلام الذي رست قواعده في إيران. فبادر النظام إلى نقض إتفاقية الجزائر من طرف واحد، وأعلن حربه المدمرة التي دام أمدها ثمان سنوات متتالية، التهمت بنيرانها مئات الآلاف من كلا الطرفين معظمهم من الشيعة، ودمرت عشرات المدن والقرى. فكانت صواريخه المدمرة، وأسلحته الفتاكة التي أمطر بها البيوت الأمانة، وطالت عشرات الآلاف من النساء

والشيوخ والأطفال بنيرانها المحرقة، كانت رسل حقده الدفين ضد الشيعة الإمامية وفقهائها الأخيار..

ومن أصدق المشاهد المأساوية دلالة على قسوة النظام البعثي وشدة إجرامه قصفه لمدينة حلبجة بالقنابل والصواريخ الكيمياوية على حين غرة وقتل الآلاف من أبناء شعبه الأبرياء دون أي مبرر يذكر عدا حقده الأسود الدفين، وشراسة طبعه، وطبيعة إجرامه التي ليس لها حد معلوم.

وبعد أخماد نيران محرقة القادسية الظالمة التاف النظام البعثي الحاقد على جارته الكويت لا بهدف تحريرها كما يزعم، وإنما بهدف تدميرها وإتلاف خيراتها، وسرقة ثرواتها، وتحطيم القواعد الشيعية المتنامية فيها، وقطع الموارد الضخمة عن مرجعيتها في النجف، وتمهيد السبيل للمستكبرين لاحتلالها، وتثبيت وتوسيع قواعدهم العسكرية فيها، وتدمير قدرات الجيش العراقي، والتقليل من خطره على إسرائيل والدول المجاورة بعد أن أنجز مهمته في تحطيم البنية التحتية لإقتصاد إيران الإسلام، وإضعاف إمكاناتها البشرية والمادية والعسكرية.

ونشبت حرب الخليج وجاء الحلفاء بأسلحتهم الحديثة المدمرة ليدفنوا أكثر من نصف مليون جندي عراقي، وثلاثة آلاف دبابة في صحراء الكويت، ثم هاجمت طائرات الحلفاء المدن الرئيسية العراقية وركزت هجماتها على العاصمة بغداد، فتعرضت المراكز الصناعية، ومصادر الطاقة الكهربائية والمائية، ومصافي النفط، والمؤسسات الحياتية لأعنف الهجمات الغربية.

وحطموا بفعل هجماتهم جميع ركائز الاقتصاد العراقي وخلفوا ورائهم الفقر والمجاعة والمرض.

وجاءت انتفاضة الخامس عشر من شعبان التي شملت معظم مدن

الجنوب: كالبصرة، والكوت، والعمارة، والناصرية، والقادسية، والنجف، وكربلاء وغيرها.

وقبل أن تبلغ الانتفاضة أهدافها، بادر النظام فوراً إلى تطويقها وصب نيران حقده الأسود على تلك المدن الثائرة وتم إحراقها بنار صواريخه التي أعدّها لإبادة شعبه لا مقارعة العدو وصد عدوانه حسب مزاعمه الكاذبة، ولم تسلم من نيران أسلحته المدمرة حتى العتبات المقدسة في النجف وكربلاء..

وبعد أن سيطر النظام على الوضع وأخمد الانتفاضة بنيران حقده، باشر بقتل مئات الآلاف من شيعة العراق بشتى السبل والأساليب الإرهابية، فارتكب أوسع المجازر الدموية وأكثرها بشاعة وإجراماً. ثم أخذ بتصفية من تبقى من مراجع الشيعة العظام الواحد تلو الآخر ابتداءً من السيد الخوئي وأبنائه وأحفاده وانتهاءً بالشهيد محمد الصدر.

وبهذه التصفيات الدموية الرهيبة اجتث النظام البعثي الحاقد الحوزة العلمية في النجف وكربلاء وسائر المدن المقدسة، وقتل معظم كوادرها، ولم يترك من رموزها إلّا نفراً قليل وضعهم تحت الرقابة المشددة يريد استخدامهم كورقة ضاغطة عند اقتضاء الحاجة..

وكان للحصار المفروض على العراق من قبل الدول الغربية أثره المهم في تثبيت دعائم النظام وإضعاف قدرات الشعب بشكل لم يعد قادراً من الوقوف على قدميه لمواجهة القتل والظلم والاستبداد، بل أصبح جل اهتمامه الحصول على رغيف الخبز يشبع بها جوعته، ويسد رمقه...

وكانت حصيلة الحربين: القادسية وأُم المعارك، والحصار المفروض، والتصفيات الدموية قتل أكثر من مليوني عراقي وتشريد مليونين، وتحول العراق من مركز للتشيّع في العالم موالياً لحركات التحرير، إلى بلد مسخر لخدمة أعداء

المسلمين من المستكبرين والصهاينة المجرمين..

وفي لبنان أحدث أعداء الإسلام الفرقة بين طوائف الشعب اللبناني، ووجروا نار الحرب الطائفية ضد شيعة جبل عامل منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ووقوف إسرائيل بجانب الميليشيات المسيحية العميلة ساعد على تأجيج نار الحرب وتوسيع رقعتها، وازدياد خسائرها، وأطالت أمدها، ونسف كل محاولات التسوية والتفاهم بين الطوائف المتصارعة، فاستثمرت إسرائيل ومن ورائها دول الإستكبار العالمي هذه الحرب الطائفية لتحقيق أغراضها المادية، وأطماعها التوسيعية.. ولولا وقوف حزب الله وقيادته المخلصة بوجه هذه الهجمة الإستكبارية الشرسة لتمكنت إسرائيل من تحطيم كل مراكز القوى في لبنان وإخضاعه لسيطرتها التامة.

فاختطاف السيد موسى الصدر وعدداً من قيادات أمل وحزب الله، وقتل العشرات من علماء جبل عامل، والآلاف من أبناء الشعب اللبناني، وتدمير الكثير من المناطق السكنية، والمراكز الحياتية، والمؤسسات الصناعية بعض نتائج هذه الحرب الطائفية المدمرة.

وفي الباكستان قامت العناصر والفئات المرتبطة بالوهابية والتي تطلق على نفسها اسم جيش الصحابة بعمليات اغتيال وسيعة النطاق شملت الكثير من أفراد الطائفة الشيعية بما فيهم رئيس الطائفة وعدداً من علمائها المجاهدين.

وكانت هذه الحملات تشتد وطأتها في مواسم العزاء في عاشوراء. وما كانت هذه العصابات الحاقدة لا تعير أي اهتمام أو حرمة لبيوت الله ولكتابه المنزل. فهي تقتل المسلمين من الشيعة في حال الصلاة وفي شهر رمضان وهم داخل المساجد، وتحرق المكتبات الدينية رغم احتوائها على مئات من مصاحف القرآن.

ولم يسلم الأطفال الأبرياء من جرائم هذه العصابات الفاشية، بـل راحت تلاحقهم في مدارسهم وتقتل العديد منهم وتضع المتفجرات في وسائل نقلهم..

وفي أفغانستان بعد إنسحاب الروس استمرت حرب داخلية ضروس بين الأحزاب المتناحرة على مواقع السلطة. وركزت الهجمات على المناطق الشيعية الآهلة بالسكان وقتل الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال بصورة جماعية وفي مجازر وحشية لم يشهد التاريخ نظيراً لها..

ولم يدم الحال على هذه الصورة طـويلاً إذ سـرعان مـا جـندت قـوى الإستكبار عصابة الطالبان الوهابية ووظفتها لخدمة أغراضـها التـوسعية. ولمـا دخلت هذه العصابة حلبة الصراع تحولت تلك الحرب إلى حرب طائفية مدمرة التهمت بنيرانها مئات الآلاف من الشيعة الأفغان وغيرهم.

وذكرتنا جرائم هذه العصابة الفاشية بارتكاب المجازر الوحشية بجرائـم النازية في أثناء الحرب العالمية الثانية، ولعل هذه فاقت تلك المجازر وحشـية وهمجية..

ولم يستطع المجتمع الدولي أن يضع حداً لجرائم هذه العـصابة الحـاقدة المتمردة على القوانين الإسلامية والوضعية في آن واحد.

وكان للباكستان في زمن حكومة نواز شريف دوراً بارزاً في دعم عصابة الطالبان وتزويدها بكل ما تحتاج من الأسلحة والمؤمن، بل تجاوزت الباكستان حد التدخل الغير مباشر إلى تدخل مباشر في شؤون افـغانستان حـيث زجت بقطعات من قواتها المسلحة لتشارك عصابة الطالبان في إحداث المجازر الدموية الرهيبة التي طالت مئات الآلاف من الأفـغان مـعظمهم مـن الطـائفة الشـيعية، وتحولت المناطق السكنية والمصانع والمؤسسات الحياتية إلى مـقابر جـماعية للطفولة والأمومة بفعل هذه الحرب المدمرة.. وتشرد أكثر مـن مـليوني مسـلم

شيعي في شتى أنحاء العالم.

وبهذا نختم المرحلة الثالثة من التصفيات الدموية وحروب الابادة الجماعية الموجهة ضد الطائفة الشيعية التي استمرت أكثر من ثلاثمائة سنة وألف. ولازالت قائمة على قدم وساق ولا يحتمل وضع حد لها إلّا بظهور الحجة بن الحسن العسكري (عج) وإقامة حكومته العالمية العادلة..

وكان هذا العامل من أهم العوامل التي ساعدت على نشوء فكرة الانتظار السلبي للإمام المهدي المنتظر (عج) عند البعض من أفراد الطائفة الشيعية. وهذا أمر طبيعي لا غرابة فيه؛ لأن معنويات الناس وقابلياتهم على الصمود والمقاومة، وقوة إرادتهم تتوقف على مدى إيمانهم بالقضية التي يجاهدون من أجلها، فكلما قوي إيمانهم بعدالة القضية ازدادت قابليتهم على الصبر والتحمل واستطاعوا أن يواكبوا مسيرة الجهاد إلى نهاية أشواطها دون تلكؤ وإنحراف.

وإذا ما ضعف إيمان المرء بعدالة قضيته ضعفت تبعاً لذلك قدرته على الصبر والتحمل، وانهارت معنوياته عند مواجهة المواقف الصعبة، والمنعطفات الخطرة ولم يعد قادراً على مواكبة الجهاد والتصدي. فصلابة الإنسان وصموده تتوقف على مستوى إيمانه، وهذا ما أكدته التجارب الإنسانية، والوقائع التاريخية.

فسقوط ضعفاء الإيمان في أوساط الطريق مسألة طبيعية تفرزها الطبيعة الإنسانية، والحالة الإيمانية المختلفة باختلاف الأفراد. وعدم حصول هذه الظاهرة مسألة تدعو للتأمل والتفكر لأنها منافية للطبيعة الإنسانية.

فلا غرابة إذن في حمل البعض لفكرة الانتظار السلبي؛ لأن الأحداث الدامية، والظروف الموضوعية المفعمة بالرعب والخوف، وسياسة الإرهاب والتنكيل على امتداد التاريخ زرعت اليأس والقنوط في أعماق نفوسهم،

وجعلتهم يؤمنون بعدم جدوى المقاومة والصمود بوجه الحملات التصفوية التي تمارسها الحكومات الجائرة التي حملها التصعب الطائفي الأعمى والجهل وحب الدنيا على التنكيل بالطائفية الشيعية الموالية للأئمة الأطهار من أهل البيت (ع)..

فحالة اليأس والقنوط التي توغلت في نفوس البعض هي التي قادتهم إلى العزلة والانزواء بعيداً عن ميادين الجهاد والمقاومة، ظناً منهم بأن العزلة والانزواء تنقذهم من شرور حكام عصرهم، وتجعلهم في مأمن من عمليات التصفية والابادة.

ولكن سرعان ما ستخيب الوقائع ظنهم وتجعلهم وجهاً لوجه أمام أعدائهم التقليديين في وقت لم يكونوا قد أعدوا أنفسهم لهذه المواجهة الشرسة التي فاجأتهم على حين غرة وبدون سابق إنذار..

وممّا تقدم نستنتج النتيجة التالية: وهي أن فكرة الانتظار السلبي وإن كانت حالة طبيعية ترتبط ارتباط وثيق بدرجة إيمان الإنسان، وإن الظروف الموضوعية المتسمة بالعنف والارهاب هي التي ساعدت على نشوء الفكرة وترسيخها في أذهان البعض، إلّا أنها لا تخلو من خطورة عظيمة على حملة الفكرة بالدرجة الأُولى، وعلى الجماعة المسلمة التي يشكلون جزءاً لا يتجزأ منها بالدرجة الثانية.

لا ريب إن انتشار هذه الفكرة في أوساط تلك الجماعة تؤدي إلى إضعاف روح المقاومة، وتسهيل مهمة الخصم في السيطرة عليهم، واخضاعهم لمشيئته..

وأما معتنقي الفكرة فهم أشد عرضة لمخاطر التصفية والابادة؛ لأنهم لم يعدوا أنفسهم لمواجهة خطر التصفية، ولم يحدّثوا أنفسهم في يوم ما بذلك، ولم يحتملوا حصولها بالنسبة لهم، لأنهم تركوا ميادين المواجهة منذ أمد بعيد، ولاذوا

بالصمت والعزلة والانزواء.

ثالثاً: الجهل والتحريف

ومن العوامل التي ساعدت على نشوء وتركيز فكرة الانتظار السلبي هو عامل الجهل والتحريف.

فالجهل بمبدأ الإمامة وقواعدها العلمية، وعدم معرفة خصائص الإمام ومختصاته، أدى إلى تشتيت الطائفة الشيعية وتفريقها بمرور الزمن نتيجة الانقسامات المتكررة. فإن أقرب الناس لآل بيت العصمة والطهارة (ع)، وللأئمة (ع) كانوا يجهلون هذه الأمور، ولا يعرفون أسماء الأئمة الإثنى عشر المنصوص عليهم من قبل الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله). فهم لم يعرفوا منهم عدا ثلاثة آخرهم الحسين بن علي (ع)، ولم يعلموا بوصية الحسين لولده زين‌العابدين بأن يخلفه في الإمامة من بعده.

فمحمد ابن الحنفية الذي هو عم الإمام زين‌العابدين ما كان يدري من هو الإمام بعد الحسين (ع) على وجه التعين، وكان يتصوّر أنه هو الشخص المؤهل لاحتلال منصب الإمامة، فلما صارحه الإمام زين‌العابدين بأنه هو الإمام من بعد الحسين (ع) استغرب وظنّ أنه غير جاد في قوله، إذ كيف يكون إماماً من هو أصغر سناً، وأقل شئناً، وأخمل ذكراً.. فنافسه على مركز الإمامة ولكن الإمام زين‌العابدين طلب منه الاحتكام إلى الحجر الأسود، فرضي محمد بذلك.

فكانت المعجزة الباهرة حيث نطق الحجر الأسود وحكم بإمامة الإمام زين‌العابدين وأذعن محمد بن الحنفية بذلك وقال بإمامته (ع). ولكن البعض من وجوه الشيعة لم يعترفوا بذلك وظلوا معتقدين بإمامة محمد بن الحنفية وشكلوا

مذهب الكيسانية.[١]

وكان هذا أول انقسام وقع في صفوف الطائفة الشيعية. ولما توفي محمد لم يعترفوا بموته وقالوا: إنه حي وسيكون هو المهدي (عج) الذي يملئ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً..[٢].

وكان الانقسام الثاني للطائفة هو ظهور الفرقة الزيدية التي اعتقدت بإمامة زيد ابن علي بن الحسين (عليهم السلام) إثر قيامه ضد الدولة الأموية في زمن خلافة هشام بن عبدالملك الذي أمر بصلبه في باب الكناسة بعد أن استخرجه من قبره بعد الدفن.[٣]

ولازالت هذه الفرقة موجودة في اليمن إلى يومنا هذا.

وتجلى الانقسام الثالث بظهور الفرقة الإسماعيلية التي اعتقدت بإمامة إسماعيل الابن الأكبر للإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وانقسم الإسماعيلية إلى فرقتين: فريق منهم رجعوا عن حياة إسماعيل وقالوا: بإمامة ابنه محمد بن إسماعيل لظنهم إن الإمامة كانت لأبيه والابن أحق بها من الأخ ـ يعني الإمام الكاظم (ع) ـ وفريق ثبتوا على حياة إسماعيل.

وهذان الفريقان يسميان الإسماعيلية، والمعروف منهم اليوم من يزعم أن الإمامة بعد إسماعيل في ولده وولد ولده إلى آخر الزمان. ويسمى الذين قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل العمارية، والذين أنكروا موت إسماعيل المباركة.[٤]

وتجسد الانقسام الرابع في الفرقة الفطحية حيث قالوا: بإمامة عبدالله بن

---

١) الملل والنحل، للشهرستاني، ١: ١٣، مقدمة ابن خلدون، ١٣٩.

٢) خطط المقريزي، ٤: ١٧٤.

٣) الشيعة في التاريخ، ٥٢.

٤) الإرشاد، ٣٠٤، الملل والنحل، ١: ١٣.

جعفر الصادق (ع) دون أخويه موسى وإسماعيل.

وكان عبدالله أكبر أخوته بعد إسماعيل، ولم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام، وكان متهماً بالخلاف على أبيه في الاعتقاد. ويقال أنه كان يخالط الحشوية ويذهب مذاهب المرجئة، وادعى بعد أبيه الإمامة واحتج بأنه أكبر أخوته، فاتبعه جماعة من أصحاب أبيه (ع) ثم رجع أكثرهم بعد ذلك إلى القول بإمامة أخيه موسى الكاظم (ع)، واندثرت هذه الفرقة بعد موت عبدالله حيث لم يعقب ولداً ذكراً.[١]

وبعد استشهاد الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) ظهرت الفرقة الواقفية التي وقفت عند الإمام الكاظم (ع) ولم تقل بإمامة غيره، وآمنت بأنه حي يرزق وسيظهر في آخر الزمان ليملئ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

والسبب في نشوء هذه الفرقة هو ان وكلاء الإمام الكاظم (عليه السلام) طمعوا بالأموال الموجودة لديهم، ورفضوا تسليمها إلى الإمام الرضا (عليه السلام) بعد استشهاد أبيه بحجة أنه حي لم يمت. وتبعهم الكثير من فقهاء الشيعة ورواتها المقربين للأئمة الأطهار (ع).[٢]

ثم ظهرت فرقة أخرى من الواقفة بعد استشهاد الإمام الرضا (ع)، إذ رفضوا الإقرار بإمامة الجواد (عليه السلام) لصغر سنه، إذ كان عمره حينذاك سبع أو تسع سنين، ووقفوا عند إمامة الرضا (ع).

---

١) الإرشاد، ٣٠٤، الملل والنحل: ١: ٩٥.

٢) خطط المقريزي، ٤: ١٧٤، الملل والنحل، ١: ٩٥ و ٩٨، منهج المقال: ٢٨٦، غيبة الشيخ الطوسي، ٤٦، رجال الكشي، ٤٥٩ ـ ٤٦٠.

فالواقفة بناءً على ما تقدم اسم يطلق على كل من أنكر موت أحد من الأئمة ووقف عليه، ولم يسق الإمامة إلى غيره. وقد أطلق هذا الاسم ابن خلدون: على كل من يقف من الغلاة على واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى غيره. وعلى هذا التوسع يكون السبائية ـ وهم أول الغلاة ـ أول الواقفة، لأنهم أول من زعم أن عليّاً حي لم يقتل. وبعدهم الكربية من الكيسانية: وهم أتباع أبي كرب، قالوا: بأن محمد بن الحنفية (رض) حي لم يمت وأنه في جبل رضوى بين أسد ونمر...[١].

هذه أهم الانقسامات التي تعرضت لها الطائفة الشيعية عبر التاريخ الدامي الطويل، وبعد استشهاد الإمام الحسن العسكري (ع) تعرضت الشيعة لأعظم محنة، وأشد بلاءً، كانت أكثر تأثيراً وأعظم فتكاً بوحدة صفوفهم من تلك الانقسامات المارة الذكر، وهذه المحنة تجسدت بالشك بوجود الإمام الحجة بن الحسن (عج) وهو الإمام الثاني عشر.

ومنشأ هذا الشك الذي اعترى كافة فقهاء السنة وأكثر فقهاء الشيعة هو ان الإمام الحسن العسكري (ع) لم يخبر بولادته ووجوده عدا عدد قليل من أصحابه المقربين له بسبب الظروف الحرجة المحيطة به، وخوف الإمام على وليده من أن تقتله السلطات العباسية التي كانت تترصده وتتابع أخباره عن كثب، وقد فرضت حصاراً على بيت الإمام العسكري (ع)، ووضعت عليه عشرات العيون والجواسيس كي تعلم بأخبار الوليد وتسعى في قتله قبل أن يعلم بخبره أحد.

فالظروف السرية التي أُحاطت بالإمام لم تسمح باعلان إمامته بعد استشهاد أبيه إلّا في نطاق ضيق جداً. ثم احتجاب الإمام الحجة عن شيعته

---

١) خطط المقريزي، ٤: ١٧٤، الشيعة في التاريخ، ٦٣، الصواعق، ١٢٧.

واتصاله بهم عن طريق سفيره العمري زاد من نسبة الشك في وجوده المقدس.

فاستثمر جعفر الكذاب أو التواب هذه الأوضاع الغير طبيعية لاعلان إمامته خلفاً لأخيه الإمام حسن العسكري (ع)، وأنه وريثه الوحيد، لأن أخيه لم يخلف ولداً يرثه ويكون الإمام من بعده.

وقد أعانت السلطات العباسية جعفراً على تنفيذ خطته هذه ليكون بمقدورها احتواء مسألة الإمام وتسويفها على صعيد المستقبل، وإضعاف إيمان المسلمين عامة والشيعة بصورة خاصة بوجود الإمام الثاني عشر (ع).

والذي يمكّن السلطة الغاشمة من انجاز خطتها شيئين وهما جعفر الكذاب المعروف بفسقه وفجوره، وعدم علم المسلمين بما فيهم الشيعة بوجود الإمام الحجة ابن الحسن العسكري (ع)، وإن الكثير منهم كان يشكك حتى بسفرائه ولا يعتقد بصلتهم به.. فإن هذان الأمران يساعدان السلطة الجائرة على انجاح خطتها في احتواء مسألة الإمامة أو تسويفها، والغاء تأثيرها السياسي باعتبارها نهج مقابل نهج الخلافة..

وما زاد في الطين بلة، وركز الشكوك أكثر فأكثر في نفوس الكثير من فقهاء الشيعة بوجود الحجة (ع): هو ظهور الكثير من الكذابين ممن اتسم بالعلم والفقاة مدعين السفارة للإمام زوراً وكذباً، وكان معظم هؤلاء من الطائفة الشيعية..

واستفاد وعاظ السلاطين من الملابسات المحيطة بوجود الحجة بن الحسن (عج)، والغموض الذي اكتنف قضيته لينفوا وجوده مطلقاً، متذرعين بقول الرسول (ص): «إن الله يصلحه بيوم وليلة»، وبهذا الحديث ونظائره من الأحاديث التي أساء وأفهمها وأولوها بشكل يخدم أغراضهم الشيطانية..

ثم افتعلوا المزيد من الروايات التي حاولت إيجاد الاختلاف في نسب الإمام المهدي (عج)، أو تغير هويته، وفيما يلي نذكر نماذج منها وردود فقهاء

السنة عليها:

أولاً: جاء في الصواعق تعليلاً لسبب جعل الخلافة في نهاية المطاف في أبناء الحسن قائلاً: وروى أبو داود في سننه أنه من ولد الحسن، وكان سره ترك الحسن الخلافة لله عزّ وجلّ شفقة على الأمة، فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلاً... ورواية كونه من ولد الحسين واهية جداً، ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هو الإمام أبوالقاسم محمد الحجة ابن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على اعتقاد الإمامية.[١]

ثانياً: جاء في كتاب (إبراز الوهم المكنون) في الحديث الثاني والثلاثون عن عثمان قال: قال رسول الله (ص): المهدي من العباس عمي. ورواه الدارقطني في الافراد، وهو غريب منكر، وقد جمع بأنه عباسي الأُم، حسني الأب وليس بذلك، بل الحديث لا يصح.[٢]

وفي كتاب (الحاوي للفتاوي): روى الدارقطني في الإفراد، وابن عساكر في تاريخه عن عثمان بن عفّان: سمعت النبي (ص) يقول: المهدي من ولد العباس عمّي. قال الدارقطني: هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم.[٣]

ثالثاً: عن أبي نعيم في حلية الأولياء: وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبدالله المهدي القائم في آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنوّرة لأنه من أهلها

---

١) الصواعق، ١٦٥. وأنظر كتاب الإمام المهدي (عج) حقيقة لا خيال، ٢١٧.

٢) إبراز الوهم المكنون، ٥٦٣، ط دمشق، سنة ١٣٤٧ هـ.

٣) الحاوي للفتاوي، ٢: ١٦٥.

كما أخبر به وبعلامته.[١]

وفي كنزالعمال: رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه إسمي، وإسم أبيه إسم أبي..[٢].

وفيه أيضاً: المهدي يواطئ إسمه إسمي، وإسم أبيه إسم أبي (ذكر عن ابن مسعود) الحديث.[٤]

رابعاً: روى ابن ماجة عن أنس بن مالك أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: ... ولا مهدي إلّا عيسى ابن مريم.

قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي (ص) في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه.[٣]

وفي كتاب (إبراز الوهم المكنون) حول حديث «لا مهدي إلّا عيسى بن مريم» قال صاحب الكتاب: وأقول إن هذا الحديث ليس بضعيف كما يقول الطاعن ـ يعني ابن خلدون ـ وإن اقتصر على ذلك غيره، بل هو باطل موضوع مختلق مصنوع لا أصل له من كلام النبي (ص)، ولا من كلام أنس، ولا من كلام الحسن البصري، وبيان ذلك وإيضاحه من وجوه.[٤]

وقال ابن خلدون: وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما رواه محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك، عن النبي (ص) أنه قال: لا مهدي إلّا عيسى.

---

١) عنه في كتاب المهدي عند أهل السنة، ٢ : ٤٦.

٢ و ٤) كنزالعمال، ١٤، الحديث: ٣٨٦٦٧ و ٣٨٦٦٨.

٣) الحاوي للفتاوي، ٢ : ١٦٤. وأنظر المهدي عند أهل السنة، ١ : ٣٩٦.

٤) الوهم المكنون، ٥٨٤.

وهذا حديث مصنوع، فقد قال ـ نقاد الأسانيد كالحاكم ـ : إن محمد بن خالد رجل مجهول، وقال ابن عبدالبر: إنه مردود، وقال الأزدي: منكر الحديث، وأخذ في مثل هذا يقول ابن حزم: إذا كان في سند الحديث رجل مجروح بكذب، أو غفلة، أو مجهول الحال، لا يحل عندنا القول به، ولا تصديقه، ولا الأخذ بشيء منه.[1]

هذه نماذج أربعة مما افتعله واختلفة وعاظ السلاطين بهدف محو آثار الإمام المهدي (عج)، ونفي وجوده المقدس.

فوعاظ السلاطين هم الذين وضعوا مئات الأحاديث المختلفة في قضية المهدي (عج)، فغمروا بها جميع الروايات الواردة فيه حتى لم يعد يمتاز صحيحها من سقيمها.

فحديث ـ لا مهدي إلّا عيسى، وإن إسمه إسمي، وإسم أبيه إسم أبي، وإن إسم المهدي هو محمد بن عبدالله العلوي ـ وغيرها من الأسماء المختلفة التي كادت أن تفتت قضية المهدي (عج)، وتجعلها هباءً لولا جمهور المحققين المنصفين من علماء السنة والشيعة الذين انتشلوها من الضياع والتسويف.

فهذه النماذج المختلفة التي حاول بها وعاظ السلاطين نسف القضية المهدوية من جذورها، ونفي وجود المهدي في الوقت الحاضر كانت جميعها مستوحات من بلاطات الخلفاء الجائرين، والحكومات الرجعية الدائرة في فلك الاستكبار العالمي والصهيونية الحاقدة..

ولازال وعاظ السلاطين إلى يومنا هذا يبذلون جهودهم الحثيثة، ومساعيهم الخبيثة، بهدف إقناع المسلمين عامة، والشيعة بوجه الخصوص بعدم

---

١) مجلة التمدن الإسلامي، ج ٣٥ و ٣٩، سنة ١٩٥٠.

وجود المهدي المنتظر (عج). وإن هذه الفكرة مجرد نسج من الخيال لا واقع ولا حقيقة موضوعية لها على وجه التعين، وإن المهدي المزعوم لا يمتاز بخصائص ومقومات واقعية تميزه عن غيره.. فكل فرقة من الفرق السالفة الذكر استطاعت أن تنسج من وحي خيالها مهدياً، وتأمل أن ينقذها في يوم ما من حيرة الجهل والضلال، ويحررها من الظلم والإذلال.. ولكن دون جدوى؛ لأنهم يعقدون آمالهم على رموز وهمية لا واقع لها كالسراب..

هذا ما يريد تحقيقه العملاء القداما والجدد المتسترين بستار التشيّع، والمتجمعون في عواصم الدول الغربية. فهم يستفيدون من كل وسائل الإعلام الغربية المتطورة لبث أفكارهم الشيطانية المريبة الهادفة إلى تجريد المسلمين من مجمل عقائدهم من خلال إثارة الشكوك والريب من حولها، ثم قطع ارتباطهم بتراثهم الإسلامي، وتاريخهم البطولي المجيد. وتلك مرحلة تمهيدية تعقبها مرحلة زرع الأفكار والعقائد الغربية الفاسدة في أوساطهم لتجعلهم خاضعين لسيطرتهم بملء إرادتهم، يباركون لهم عملياتهم الإجرامية في قتل الشعوب المستضعفة ونهب خيراتها تحت شعار التحضر والتقدم، ونبذ الأفكار الرجعية.

والفارق البسيط بين وعاظ العصور القديمة والعصر الحديث هو أن وعاظ العصور السالفة كانوا يستفيدون من وسائل الاعلام البدائية ذات الأثر المحدود في بث أفكارهم الهادفة لاخضاع المسلمين لسيطرة خلفاء الظلم والجور والاستبداد، بينما وعاظ العصور الحديثة يبثون أفكارهم العدائية من خلال أحدث وسائل الاعلام بهدف إفساد عقائد المسلمين ووضعهم في مراكز نفوذ أسيادهم المستكبرين.

ومما تقدم نعلم إن وعاظ السلاطين القداما والجدد قد استثمروا كل النقاط

السلبية التي أفـرزتها الفـرق ذات العـقائد الفـاسدة ـ كـالكيسانية، والفـطحية، والواقفية ـ ليشوهوا قضية المـهدي المـنتظر (عـج) ويـنفوا وجـوده المـقدس، ويطمسوا معالمها.. وبفعلهم هذا يضعفوا علاقة المنتظر بمن ينتظره من خلال نفي وجوده، أو اعطاء صورة مشوهة عنه، بحيث يعجز المنتظر عن تشخيص معالمها وأوصافها، وبما أن مسألة الانتظار تتوقف على إيمان المنتظر بوجود من ينتظره ومعرفة خصائصه ومختصاته، فكلما قوي إيمانه به، وازدادت معرفته له توثقت علاقته به، وازداد شوقاً للقياه، وكان انتظاره مسبوقاً باعداد ما يلزم لاستقبال من ينتظره. وإذا ضعف الإيمان بوجوده، أو شوهت صورة من ينتظره ضعفت شـدة الانتظار وتحولت إلى حالة سلبية جامدة لا حياة فيها لأن المنتظر غـير واثـق بوجود من ينتظره. وهذا ما يهدف إلى تـحقيقه وعـاظ السـلاطين مـن خـلال مساعيهم الخبيثة.

وفي نهاية البحث لابد من الاشارة لأمر مهم هو أن طول الانتظار له آثاره السلبية على المنتظر إذ قد تجعله ييأس ممن ينتظره ويكـف عـن انـتظاره، أو ينتظره انتظار شخص متردد غير جازم بمجيء من ينتظره. وانتظار كهذا لا فائدة فيه لافتقاره إلى الهوية والاعداد المسبق...

نقض نظرية الانتظار السلبي بوجوه

يمكن نقض هذه النظرية بوجوه مختلفة نظراً لاختلاف ركائزها ومتبنياتها المشتقة من مفاهيم إسلامية أو سيئ فهمها، وتم تطبيقها بشكل معكوس مخالف لمضامينها الجوهرية التي أراد الله أن تكون عوامل إيجابية تساهم مساهمة فعالة في بناء الشخصية الرسالية وتساعد على تركيز عوامل القوة في أوساط المجتمع

الإيماني وتقوية روابطه، ونبذ عوامل الضعف والتداعي.

الوجه الأول:

إن نظرية الانتظار السلبي تتعارض تعارضاً صريحاً مع أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة، لأن الشيء الأساسي في هذه النظرية هي الدعوة إلى مسالمة الكفر العالمي، وطاعة الحكومات الضالعة في ركابه ووجوب مجاراتها ولو على حساب ديننا وعقائدنا.

فإذا اقتضى الأمر أن نترك العمل بوظائفنا الرسالية، ونغض النظر عن جميع المظالم والمآثم أرضاءً لتلك الحكومات الجائرة لابد أن نفعل ونمتثل أوامرها بملء إرادتنا حتى إذا صبت كل أنواع الغضب والبلاء على رؤوس شعوبها المسلمة.

إن الطاعة المطلقة لتلك الحكومات الجائرة والاقرار بقوانينها المنافية لمبادئ شرعنا يوجب معصية الله أو الجمع بين طاعته وطاعة غيره في معصيته؛ لأننا لا نستطيع الجمع بين طاعتين بمستوى واحد في آن واحد. فأما أن نطيع الله ونعصي الطاغوت كما أمرنا، أو نطيع الطاغوت ونعصي الله لا نمتثل لأوامره طيلة فترة الغيبة الكبرى حتى تتمهد الأرضية الصالحة لظهور مولانا الحجة بن الحسن العسكري (عج) بانتشار الظلم والفساد، لأنهما شرطان موجبان لتعجيل ظهوره حسب اعتقاد أصحاب نظرية الانتظار السلبي.

نعم، إذا كنّا مكرهين على طاعة الطاغوت، وإنه قد سد علينا منافذ الهجرة إلى خارج وطننا بقرار منه بديننا وعقائدنا، فلابد لنا في هذه الحالة أن نمارس التقية باظهار ما لا نظمر، أي نظهر الشرك ونضمر الإيمان كما قال الله عزّوجلّ: ﴿... ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾.

بيان التعارض الصريح بين النصوص

قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿وأطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم...﴾ [١].

وقال الله تعالى: ﴿... وأطيعوا الله ورسولهُ إن كُنتم مؤمنين﴾ [٢].

وقال الله تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا وأنتم تسمعون﴾ [٣].

وبعد أن ذكر الله وجوب الطاعة له ولرسوله وأولي الأمر الذين يحكمون بما أنزل الله، لا الذين يخالفون أوامره بدلالة قوله تعالى: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [٤]، وقال تعالى: ﴿... ومن لم يحمک بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ [٦].

فبعد أن ذكر الله ذلك، نهانا عن طاعة الطاغوت والتحاكم إليه في فض خصوماتنا، وأمرنا بالكفر به وعدم الركون لظلمه والخضوع له لئلّا تمسنا النار.

فقال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت[٧]، وقد أمروا أن يكفروا به، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ [٨].

---

١) سورة المائدة، آية ٩٢.
٢) سورة الأنفال، آية ١.
٣) سورة الأنفال، آية ٢٠.
٤) سورة المائدة، آية ٤٤.
٥) سورة المائدة، آية ٤٥.
٦) سورة المائدة، آية ٤٧.
٧) المراد بالطاغوت: هو من لا يحكم بما أنزل الله.
٨) سورة النساء، آية ٦٠.

وقال تعالى: ﴿... فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى...﴾ [١].

ووردت روايات كثيرة ترادف معاني هذه الآيات وتؤكد على طـاعة الله واجتناب معصيته وعدم طاعة مخلوق في معصية الله.

منها: محمد بن علي بن الحسين بإسناده، عن الحسن بن مـحبوب، عـن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (ع) أنه قال لبعض ولده: يا بني! إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها، الحديث.[٢]

ومنها:محمد بن الحسين الرّضي في (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال ـ في حديث له ـ: إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته.[٣]

ومنها: أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن الحسين بن أبي العـلاء قال: ذكرت لأبي عبدالله (عليه السلام) قولنا في الأوصياء أنّ طاعتهم مفترضة قال: فقال: نعم، هم الذين قال الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم﴾ [٤]، وهم الّذين قال الله عزّوجلّ: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والّذين آمنوا﴾ [٥].[٦]

منها: محمد بن علي، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمد، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عـن ديـن الله

---

١) سورة البقرة، آية ٢٥٦.
٢) الفقيه، ٢: ٣٥٥، الوسائل، ١١: ١٨٨.
٣) نهج البلاغة، القسم الثاني، ١٥٦، الوسائل، ١١: ١٨٨.
٤) سورة المائدة، آية ٩٢.
٥) سورة المائدة، آية ٥٥.
٦) الكافي، ١: ١٨٧.

والحق، قد ضلوا أعمالهم التي يعملونها كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف، لا يقدرون على شيء مما كسبوا ذلك هو الضلال البعيد.[١]

ومنها: عن ابن عيسى، عن البزنطي، عن ابن بكير، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: أربع من قواصم الظهر، منها إمام يعصي الله ويطاع أمره.[٢]

ومنها: علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، عن جابر بن عبدالله [الأنصاري] قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من أرضى سلطاناً بسخط الله خرج من دين الله.[٣]

ومنها: أبو علي الأشعري، عن محمد بن عبدالجبار، عن صفوان، عن العلاء، عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله، ولا دين لمن دان بفرية باطل على الله...[٤].

ومنها: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي في (الاحتجاج) عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري (عليه السلام) ـ في حديث ـ انّ الرضا (عليه السلام) جفا جماعة من الشيعة وحجبهم، فقالوا: يا ابن رسول الله (ص) ما هذا الجفا العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟

قال: لدعواكم أنكم شيعة أميرالمؤمنين (عليه السلام) وأنتم في أكثر أعمالكم مخالفون، ومقصرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لابدّ من

---

١) المحاسن، للبرقي، ٩٣، البحار، ٢٥: ١١٠، ما رواه الحواريون، ٣: ٤٧٤.

٢) المحاسن، للبرقي، ٩٤، البحار، ٢٥: ١١٠، ما رواه الحواريون، ٣: ٤٧٤.

٣) الكافي، ٢: ٣٧٣.

٤) الكافي، ٢: ٣٧٣، ما رواه الحواريون، ٣: ٥٦٨، وأمالي المفيد، ٣٠٨ / ٧، وفيه بسند مختلف.

التقية.[١]

هذه بعض الروايات التي تثبت وجوب الامتناع عن طاعة الطاغوت والخضوع له، وان الإنسان المكلف ملزم بانجاز تكاليفه الرسالية ومهامه الإنسانية حتى في زمن الغيبة، وإن مسألة التقية والصبر على البلاء لا يوجبان ترك الواجبات، وإنما تلزما المكلف بأدائها، في كيفية تلائم الظروف التي يمر بها.. وسنذكر تفاصيل هذين الموضوعين الصبر والتقية في الفصل الثاني بشكل مفصل إن شاء الله.

ذكر النصوص المعارضة

فيما يلي نذكر بعض النصوص التي تدعو إلى طاعة السلطان وعدم الخروج عليه، واعتزال الناس، وعدم أداء الواجبات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشل نشاط المؤمنين، وتجميد طاقاتهم ان اقتضى الأمر، حتى إذا كانت النتائج مأساوية من قبيل استباحة حرمة المقدسات، وهدر كرامة المسلمين، وقطع أرزاقهم وإرغامهم على سب أئمتهم والتبري منهم.

منها: محمد بن علي بن الحسين في (المجالس)، عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن موسى بن إسماعيل، عن أبيه، عن جدّه موسى بن جعفر (ع) أنه قال لشيعته: لا تذلوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم...[٢].

ومنها: عن محمد بن علي بن بشار، عن علي بن إبراهيم القطان، عن محمد بن عبدالله الحضرمي، عن أحمد بن بكر، عن محمد بن مصعب، عن حمّاد بن

---

١) الاحتجاج، ٢٤٣.

٢) المجالس، ٥٤/٢٠٣، الوسائل، ١١: ٤٧٢.

سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله عزّوجلّ، ودخل في نهيه، إن الله عزّوجلّ قال: ﴿لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾.[١]

ومنها: في (عيون الأخبار) عن أحمد بن زياد بن جعفر الهمداني، عن علي بن إبراهيم، عن محمد ابن الحسن المدني، عن عبدالله بن الفضل، عن أبيه، عن موسى بن جعفر (ع) ـ في حديث طويل ـ قال: لولا أني سمعت في خبر عن جدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إن طاعة السلطان للتقية واجبة إذا ما أجبت.[٢]

ومنها: وأخرج مسلم عن حذيفة بن اليمان ـ في حديث له ـ مع رسول الله (صلّى الله عليه (وآله)) قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس. قال: ـ يعني حذيفة ـ قلت: كيف أصنع يا رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك. فاسمع وأطع.[٣]

ومنها: جاء في كتاب المحجة فيما نزل في القائم الحجة نقلاً عن كتاب (الاختصاص) للشيخ المفيد ـ في حديث له ـ عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: يا جابر! الزم الأرض ولا تحرك يداً، ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها...[٤].

---

١) عيون الأخبار، ٤٥، الوسائل، ١١: ٤٧٢.
٢) عيون الأخبار، ٤٥، الوسائل، ١١: ٤٧٢.
٣) صحيح مسلم، ٦: ٢٠، الغيبة الكبرى، ٣٤٥.
٤) المحجة فيما نزل في القائم الحجة، ٢٥، الاختصاص، ٢٥٥.

ومنها: أخرج الصحيحان بلفظ واحد عن رسول الله (صلّى الله عليه (وآله) وسلّم) قال: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذبه. وذكر كلّ من الشيخين لها أكثر من سند واحد...[١].

ومنها: عن أبي ذر، عن رسول الله (صلّى الله عليه (وآله)) قال: قلت: يا رسول الله، أفلا آخذ بسيفي فأضرب به من فعل ذلك؟ قال: شاركت القوم إذن! ولكن أدخل بيتك. قلت: يا رسول الله، فإن دخل بيتي، قال: إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فالق طرف ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك، فيكون من أصحاب النار...[٢].

ومنها: وعن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عمّن أخبره، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): كفوا ألسنتكم، والزموا بيوتكم، الحديث.[٣]

ومنها: محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام ابن سالم، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: ما أيسر ما رضي الناس به منكم، كفوا ألسنتكم عنهم.[٤]

ومنها: وعنه، عن أبيه، عن حماد بن عيسى، عن ربعي رفعة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به.[٥]

---

١) البخاري، ٩: ٩٤، مسلم، ٨: ١٦٨، الغيبة الكبرى، ٣٦٦.

٢) سنن ابن ماجة، ٢: ١٣٠٨، الغيبة الكبرى، ٣٣٩.

٣) الكافي، ٢: ٢٢٥.

٤) الروضة، ٣٤١، الوسائل، ١١: ٤٩٨.

٥) الروضة، ٢٦٤، الوسائل: ١١: ٣٦.

ومنها: محمد بن الحسين الرضي الموسوي في (نهج البلاغة) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال ـ في خطبة له ـ: الزموا الأرض، واصبروا على البلاء، ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم، فإنه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حق ربّه، وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام أسلاته بسيفه، فإن لكل شيء مدة وأجلاً.[1]

لقد تجلى التعارض في أمور، منها التعارض بين طاعة الله والكفر بالطاغوت، وبين طاعة الطاغوت وعدم الخروج عليه. ومنها التعارض بين أداء الوظائف الشرعية في زمن الغيبة وبين عدم أدائها ارضاءً لرغبة السلطان، ومنها التعارض بين مشاركة الناس في جمعتهم وجماعتهم وفي عيادة مرضاهم وبين اعتزال الناس وملازمة البيوت... الخ، من صور التعارض التي نسعى إلى مناقشتها ورفعها في الباب القادم.

رفع التعارض الموجود بين النصوص

ان النصوص المذكورة إن كانت تعني السكوت والاعتزال وطاعة الطاغوت وعدم الخروج عليه في زمن اشتداد الفتن والاضطراب بحيث لو خرج الخارج بدون أعداد مسبق قتل، فإن هذا أمر عقلائي وشرعي؛ لأن الإنسان مكلف بصيانة نفسه وعدم تعريضها للتهلكة كما ذكر القرآن الكريم ذلك حيث قال: **﴿لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** وقال: **﴿فمن اضطر غير باغي ولا أثم**

---

١) نهج البلاغة، القسم الأول، ٣٩١، الوسائل، ١١: ٤٠، ينابيع المودة، ٤٣٦ـ٤٣٧، الغيبة الكبرى، ٣١٤.

عليه...﴾. ثم خروج الإنسان بدون أعداد مسبق يكفي لازالة الطاغوت ومحو آثاره السلبية حماقة لا تمت للعقل السليم بصلة، بالإضافة إلى أنها مخالفة صريحة للقرآن الكريم الذي أمرنا بالاعداد لمكافحة الطاغوت حيث قال: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة...﴾ [1].

وإن كانت تعني أتباع ذلك بصورة دائمة فهذا ما لا تقره العقول والشرائع في كل الأدوار والأزمان، ولا طاقة للإنسان على تحمل الظلم والجور مدى الحياة.

وهنا يحصل التنافي والتعارض الشديد بين الطائفتين من النصوص إذا قلنا باطلاق الطائفة الثانية من النصوص، ولكن هناك بعض النصوص ضمن الطائفة الثانية تقيد وتخصص الطاعة للطاغوت عند الاضطرار والإكراه وفي اشتداد الفتن. وبهذا التقيد والتخصيص يرتفع التعارض وتكون الطاعة للطاغوت فقط عند الضرورة والإكراه وهي طاعة ظاهرية لفظية لا تأثير لها على إيمان الفرد المسلم، وتبقى الطاعة الحقيقية الواقعية لله وإن اضطر المؤمن أن يقلص نشاطه الديني ويمارس بعض وظائفه الشرعية والإنسانية بصورة سرية وفي نطاق أضيق من ذي قبل.

وإن ما يضعّف الاطلاق والعموم في تلك النصوص ان بعضها يسلب من الإنسان حق الدفاع عن النفس حتى إذا هاجمه العدو في عقر داره وأراد قتله فلابد له أن يمد عنقه للقطع، ولا يحق له أن يسلت سيفه ليدافع عن نفسه، وإذا خشي الموت يلقي طرف ردائه على وجهه كي لا يرهبه لمعان سيف قاتله.

وهذا شيء غير معقول، لأن حق الدفاع عن النفس تقره جميع الشرائع

---

١) سورة الأنفال، آية ٦٠.

السماوية والوضعية، وقد أكد عليه الإسلام في جملة من الآيات حيث أشارت بشكل صريح إلى أن المقصر في الدفاع عن نفسه شريك القاتل وأنه سيحاسب حساباً عسيراً، وإن الذي يُقتل دفاعاً عن نفسه أو ماله أو عرضه شهيد.

أضف لذلك ان الإنسان مجبول بفطرته في الدفاع عن نفسه إذا ما تعرض لخطر الموت من قبل إنسان أو حيوان، وكان الإنسان منذ العصور الحجرية الغابرة يوجد الوسائل البدائية للدفاع عن نفسه في أحلك الظروف وأشدها قسوة وخوفاً، وبدون أن يرشده لذلك مرشد.

فلو لم تكن مسألة الدفاع عن النفس فطرية لما استطاع الإنسان أن يبتكر تلك الأسلحة البدائية للدفاع عن نفسه، ويحافظ على نسله من الانقراض طيلة العصور الماضية.

فإذا ثبت ان الدفاع عن النفس أمراً فطرياً فلا يصح للشارع المقدس أن يكلف الإنسان ما لا ينسجم مع فطرته وطاقته. فإذا كان كذلك فلابد من تخصيص عمومات النصوص المذكورة وتقيدها في موارد معينة كالإكراه والاضطرار وعدم قدرة الإنسان على المقاومة والدفاع عن النفس.

وبثبوت التقيد والتخصيص لنصوص الطائفة الثانية يرتفع التعارض ولا يبقى له أي مبرر يذكر، فتأمل.

الوجه الثاني:

لقد استند أصحاب نظرية الانتظار السلبي إلى مقاطع زمنية من سيرة الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وإقرارهم ببعض الجرائم التي ارتكبها خلفاء عصرهم لتبرير نظريتهم التخاذلية الاستسلامية، ولكن هذه الحجة واهية ولا يصح اتخاذها ذريعة لتبرير سكوتهم واستسلامهم؛ لأن الأئمة لم يقروا بتلك

الأمور وإنما أرغمتهم الظروف المحيطة آنذاك على السكوت وعدم الاعتراض.

صحيح ان في عقيدتنا اقرار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) لما يشاهدونه من أحداث يعد حجة يلزم العمل بموجبها؛ ولكن هذا لا يتم إلّا بملاحظة الظروف التي تم فيها الإقرار، فإن كانت ظروف طبيعية خالية من الإكراه والاضطرار يكون الإقرار الحاصل فيها حجة، وإما إذا كانت غير طبيعية، وكان الإمام مكرهاً ومضطراً للقبول بها، وليس بمقدوره تغيرها من حالة السلب إلى الإيجاب، فإن إقراره يكون حجة في ظروف مماثلة وليس قانوناً ساري المفعول يصلح العمل به في كل الظروف والأزمان..

فإن إقرار الإمام علي (عليه السلام) باضطهاد زوجته الزهراء (عليها السلام)، واغتصاب حقوقها، والقبول ببيعة أبي بكر لم يكن في أجواء طبيعية، ولم يكن الإمام فيها مختاراً يملك إرادته، بل كان مرغماً على الاقرار بها، وإلّا تضرب عنقه بالإضافة إلى اغتصاب حقوقه واستباحة حرمته، واضطهاد زوجته، وجحد ولايته.

كان بمقدور الإمام (ع) أن يسلت سيفه ويرد المعتدين ويبدد شملهم، ولكن النتيجة بموجب حسابات الإمام لم تكن في تلك الظروف الحالكة لصالح الإسلام الذي بذل من أجله الغالي والنفيس، بل لعلّ الإسلام من جراء خروجه والتصدي لأعدائه يتداعى وتتلاشى أركانه ولم يبقى له أثر؛ لأن الناس كانوا جديدي عهد به، فلم تترسخ أفكاره ومبادئه في أعماق وجدانهم حتى لا يتأثروا ولا تتزعزع عقائدهم بالإسلام فيما إذا وقع الصراع بين أقطابه ورواده الأوائل.

فلو قدّر للإمام (عليه السلام) أن يخرج في تلك الأيام العصيبة فإما أن يكون غالباً أو مغلوباً، فإذا استطاع الإمام (ع) بمن معه من الأنصار ـ وهم نفر قليل لا يتجاوز عدد أصابع اليد ـ أن ينتصر على أعدائه ـ وهم الغالبية الساحقة

من صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومعهم جمهور المسلمين ـ ففي هذه الحالة سيكون اندحاراً للإسلام وإن كان الإمام (ع) منتصراً؛ لأنه بانتصاره هـذا سيوتر الغالبية الساحقة من المسلمين، ويؤجج في قلوبهم نار الحقد والضـغائن من خلال قتله لأبنائهم وإخوانهم، وآبائهم، وأعمامهم في ساحة الصراع.

وسيزداد الحقد ضراوة واتقاداً في قـلوب الذيـن قُـتل آبـائهم، وأبـنائهم وإخوانهم بسيف الإمام علي (ع) في معارك سابقة.

فبفعل عوامل الحقد والضغينة ضد الإمام وأهله وأصـحابه يـتحول ذلك الجمع الغفير من حماة الإسلام ودعاته إلى ألدّ أعدائه حيث يغمرهم شعور الثأر لقتلاهم بدلاً من شعور الولاء والدفاع عن الإسلام. وباستمرار الصراع سيضعف الإسلام بالتدريج ويتلاشى ولا يبقى له أي أثر.

هذا لو قدّر للإمام أن يكون غالباً وهو احتمال بعيد جداً. وأمـا إذا كـان مغلوباً ـ وهو احتمال قوي؛ لأن كفة القوى ترجح لصالح أعدائـه ـ فـفي هـذه الحالة سيقوم أعدائه المنتصرون بتصفيته وتصفية أبنائه وأهـل بـيته وأصـحابه تصفية جسدية تامة فلا يبقى لعليّ (عليه السلام) وشيعته أثر يذكر.

وبفقدان الإمام علي (عليه السلام) ـ وهو الهادي والمرشد بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ ستنحرف المسيرة بشكل تدريجي وبمرور الأيام عن جادة الحق والصواب، وتعود إلى ما كانت عليه قبل ظهور الإسلام؛ لأن القيادة الجديدة الجاهلة الحاقدة الطامعة التي قوضت أركان القيادة الروحية الحقيقية للإسلام لا يمكنها مع ضعف إيمانها وقلّة وعيها أن تقود المسيرة وتواصل السير في طريق الإسلام الأصيل الذي دعا له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعيّن قيادته في غدير خم قبل رحيله.

فحاصل الاحتمالين المذكورين سواء كان الإمام علي (عليه السلام) غالباً

أو مغلوباً ليس لصالح الإسلام أبداً، فهذه النتيجة المحتملة هي التي منعت الإمام (ع) من خوض الصراع مع أعدائه، وجعلته يستسلم لضغوطهم ويبايع أبا بكر مرغماً، ويتغاضا عن جرائمهم الوحشية، وتعدياتهم على بضعة رسول الله (ص)، التي أدت إلى استباحة حرمتها، وكسر ضعلها، وإسقاط جنينها..

فهذا الموقف المبدئي الشجاع الذي اتخذه الإمام (ع) في تلك الساعات الحرجة أوجب تقديم تضحيات جديدة وأعظمها تضحيته بالزهراء (ع) من أجل بقاء الإسلام وديمومته.

وكذا ضحى الإمام الحسن (عليه السلام) بجميع حقوقه ومختصاته، وبأصحاب أبيه المخلصين لنفس الغاية حين عقد صلحه مع معاوية بن أبي سفيان، وتحمل المصاعب الجمة، والآثار المؤلمة التي أودت بحياته في نهاية المطاف، وامتهان جنازته حيث تطاول عليها القوم فرموها بالسهام، ورفضوا أن تدفن بجوار قبر جده رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وأما إقرارات بقية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) كالسجاد والباقر والصادق (عليهم السلام) التي مرّ ذكرها ضمن العوامل المساعدة على ترسيخ فكرة الانتظار السلبي، فكانت تفرضها الظروف القاسية وترغمهم على القبول بها، حرصاً منهم على سلامة الإسلام واستمراريته.

ولا أدري لِمَ يركز أصحاب نظرية الانتظار السلبي على هذه المواقف التي أرغم الأئمة على اتخاذها في ظروف عصيبة قهرية، ويغضوا النظر عن صفحات تاريخهم الجهادي المشرق طيلة أيام حياتهم.

فثورة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ضد الطاغية يزيد ألم تجيز لنا الخروج على الحاكم الظالم المستبد فيما إذا توفرت الإمكانات والظروف الملائمة..

إن ما يعزز هذا الاتجاه الجهادي هو الثورات المتعاقبة التي قادها أبناء الحسن والحسين وأحفادهما وشيعتهما ضد الخلافة الأموية والعباسية الجائرتين على مدى التاريخ..

وإذا علمنا ان تلك الثورات السالفة الذكر تحضى أغلبها بدعم وتأييد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المعاصرين لها، إزددنا إيماناً بشرعية الخروج على الحاكم الجائر الفاسق المستبد إذا ما أتيحت لنا الفرصة المناسبة للقيام ضده..

ولولا ذلك الجهاد الدامي للأئمة الأطهار (عليهم السلام) وشيعتهم، وتحملهم المصاعب الشديدة، والتضحيات الجسام لما دام للإسلام والتشيّع من أثر، ولما بقي من المؤمنين أحد ينتظر القائم (عج)، بل تنتفي الحاجة لظهوره بانتفاء المجتمع المسلم المؤمن بولايته..

الوجه الثالث:

اشترط المؤمنون بالانتظار السلبي انتشار الظلم والفساد كأمرين موجبين لظهور القائم المنتظر (عج). ولذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع عن الإسلام إذا ما تعرض للخطر، وعدم نصرة المستغيثين من المسلمين وغيرهم من جور الجائرين الظالمين، على أمل أن يتفشى الظلم والفساد من جراء ذلك كي تتمهد الأرضية الصالحة لظهوره المبارك المشروط بهما كما يعتقد أصحاب نظرية الانتظار السلبي.

وقد فنّد الشهيد محمد الصدر (رضي الله عنه) في كتابه (الغيبة الكبرى) هذه الركيزة الواهية التي اعتمد عليها أصحاب نظرية الانتظار السلبي في صياغة نظريتهم بقوله: ان المفهوم الإسلامي الواعي الصحيح للانتظار، هو التوقع الدائم لتنفيذ الغرض الإلهي الكبير، وحصول اليوم الموعود الذي تعيش فيه البشرية

العدل الكامل، وأشراف الإمام المهدي (عج).[١]

وليت شعري، ان شرط الظهور، هو هذا المستوى الإيماني، وليس هو كثرة الظلم وامتلاء الأرض جوراً، كما يريد البعض أن يفكروا، لوضوح أن الأرض لو امتلأت تماماً بالظلم، وانعدم منها عنصر الإيمان، لما أمكن اصلاحها عن طريق القيادة العامة، بل يكون منحصر بالمعجزة، التي برهنا على عدم وقوعها، أو إرسال نبوّة جديدة، وهو خلاف ضرورة الدين من أنه لا نبي بعد رسول الإسلام (صلّى الله عليه وآله)[٢].

وهذا الكلام الصادر من آية الله الشهيد محمد الصدر (رحمه الله) كافي لبيان بطلان هذه الفكرة، فلسنا بحاجة إلى أن نضيف شيء له.

وهناك أمور لم نتطرق إلى ذكرها في الوجوه الثلاثة، كالتقية والصبر، وعدم السعي إلى إقامة حكومة إسلامية في زمن الغيبة الكبرى، وغيرها مما لم يرد بحثها في هذا الفصل لعدم الحاجة إليها هنا؛ لأن المؤمنون بنظرية الانتظار السلبي الذين اعتزلوا ساحة الجهاد والعمل ليسوا بحاجة إلى اتباع سياسة التقية، لأن التقية يحتاجها المجاهدون العاملون لتقيهم شرور أعدائهم وتمكنهم من مواصلة جهادهم السري على أحسن وجه. فما حاجة المتخاذلين والمهادنين والتاركين النشاط والعمل الإسلامي، والمتنصلين عن أداء وظائفهم الرسالية والإنسانية.

وكذا لا يحتاجون إلى الصبر؛ لأن الصبر الذي يثاب عليه المكلف، هو الصبر على الطاعات، والانتهاء عن المعاصي، وعلى ما يصيب الإنسان المؤمن من المصاعب والنوائب من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومقارعة الطاغوت، وحماية الإسلام، لا على السكوت واعتزال العمل الاجتماعي، وترك

---

١) الغيبة الكبرى، ٣٤١.

٢) الغيبة الكبرى، ٣٥٣.

ساحة الجهاد. وهذا ما صرحت به النصوص:

قال الله تعالى: ﴿يا بنيّ أقم الصّلاة وأمر بالمعروف وانـهَ عـن المـنكر وآصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأُمور﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ [٢].

وقال أميرالمؤمنين (ع): الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جـميل، وأحسن من ذلك الصبر عندما حرم الله عليك.[٣]

وعن علي (ع)، عن رسول الله (ص) انه قـال: الصـبر ثـلاثة صـبر عـند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية.[٤]

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبدالله (ع): من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه، كان له مثل أجر ألف شهيد.[٥]

وأما موضوع السعي إلى إقامة الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة الكبرى تحت إشراف الولي الفقيه فهو أيضاً من الأمور التي لا يحتاجها القاعدون؛ لأنهم يؤمنون بعدم جدية هذا الأمر وبطلانه لاعتقادهم (بأن كل راية ترفع قبل قـيام القائم فصاحبها طاغوت...)[٦].

فهذه الأمور وغيرها ستبحث في الفصل القادم إن شاء الله.

---

١) سورة لقمان، آية ١٧.
٢) سورة آل عمران، آية ١٤٦.
٣) الكافي، ٢: ٩٠.
٤) الكافي، ٢: ٩١.
٥) الكافي، ٢: ٩٢.
٦) الروضة، ٣٥٩، الوسائل، ١١: ٣٧.

الفصل الثاني

مفهوم الانتظار الإيجابي للمهدي المنتظر (عج)

ان مفهوم الانتظار الإيجابي للمهدي (عج) هو ان يعد المكلف نفسه أعداداً كاملاً من جميع الجهات ليكون مأهلاً لنصرة القائم حال ظهوره على انجاز نهضته، وان يترقب ظهوره في كل لحظة ليقوم بتنفيذ الوعد الإلهي الحق، وينقذ البشرية من الظلم والمفاسد والضلال.

ونعني بالاعداد هو الاعداد المعنوي والمادي، فأما الاعداد المعنوي فيلزم المكلف باعداد نفسه علمياً وعقائدياً وأخلاقياً ليكون من الذين يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ومن الدعاة إلى شرع الله وطاعته.

فلابدّ أن يكون أنصار الحجة (عج) والمنتظرون قدومه على مستوى عال من الوعي والشعور بالمسؤولية؛ لأن المؤمن الساذج البسيط لا يستطيع النهوض بالمهام الرسالية الملقاة على عاتقه في زمن الغيبة بالشكل المطلوب.

فانجاز التكاليف، وأداء الفرائض، وتطبيق الإسلام على كل شؤونه الحياتية بلا استثناء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة أحكام الله، والجهاد في سبيله إذا ما تعرضت بيضة الإسلام للخطر، وتمهيد الأرضية الصالحة لظهوره

المبارك، كل هذه الأمور المنوطة بالمكلف في زمن الغيبة وفي ظـروف صـعبة شائكة تحتاج إلى وعي وإحاطة تامة بعلوم الإسلام وأحكامه، وبأساليب العمل الملائمة لتلك الظروف العصيبة كالتقية والسرية والكتمان.

فالسذاجة واليساطة لا تمكن صاحبها من أداء واجباته فى تلك الظروف المشحونة خوفاً وإرهاباً بالشكل المطلوب، بل لعل النشاط الإسلامي السري كلّه يتعرض للخطر بسببهما، لأن المؤمن الساذج لا يتحمل السجن وأساليب التعذيب الرهيبة إذ سرعان ما ينهار ويدلي باعترافاته ويكشف قواعـد العـمل السـري بسبب السذاجة والبساطة.

فأصحاب الحجة (ع) وأنصاره المؤهلون لحمل راياته، وإنجاز غاياته، هم أشد الناس بأساً، وأصلبهم عوداً، وأوسعهم حـلماً، وأكـثرهم عـلماً، وأرحـبهم صدراً، وأحسنهم خلقاً، وأشملهم عطفاً، وأصدقهم قـولاً، وأصـلحهم عـملاً، لا تأخذهم بالله لومة لائم، رحماء بينهم أشداء عـلى الكـافرين.. فـلابد للـمؤمن المنتظر لقدوم مولاه الحجة بن الحسن العسكري (ع) أن يبلغ هذا المستوى من الاعداد المعنوي والروحي من خلال العمل والمثابرة ليكون مؤهلاً لنصرة القائم (عج) والمشاركة في نهضته، وحمل رسالته ونشر دعوته في كل أرجاء المعمورة ليتسنى له إقامة حكومته العالمية العادلة.

قال أبو عبدالله الصادق في وصف أصحاب المنتظر (عج): ... من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة.[1]

---

١) الغيبة، للنعماني، ٢٠٠.

وقال أيضاً: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط الذي للقائم (عليه السلام).[١]

وقال الشيخ النعماني بعد ذكر هذه الروايات: انظروا ـ رحمكم الله ـ إلى هذا التأديب من الأئمة (عليهم السلام) وإلى أمرهم ورسمهم في الصبر والكف والانتظار للفرج، وذكرهم هلاك المحاضير والمستعجلين، وكذب المتمنين، ووصفهم تجاه المسلمين، ومدحهم الصابرين الثابتين، وتشبيههم إيّاهم على الثبات بثبات الحصن على أوتادها...[٢].

وقال في مكان آخر: ... وصفة من معه من أصحابه الذين جاءت الرّوايات بعدّتهم، وأنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأنهم حكّام الأرض وعمّاله عليها، وبهم يفتح شرق الأرض وغربها مع من يؤيّده الله به من الملائكة...[٣].

وقال السيد محمد الصدر في كتابه (الغيبة الكبرى): لا يكون الفرد على مستوى الانتظار المطلوب إلّا بتوفر عناصر ثلاثة مقترنة: عقائدية ونفسية وسلوكية، ولولاها لا يبقى للانتظار أي معنى إيماني صحيح، سوى التعسف النفسي المبني على منطق القائل: إذهب أنت وربّك فقاتلا، انّا ههنا قاعدون.[٤]

وقال أيضاً في مكان آخر: الجانب السلوكي للانتظار ويتمثل بالالتزام الكامل بتطبيق الأحكام الإلهية السارية في كل عصر، على سائر علاقات الفرد وأفعاله وأقواله، حتى يكون متبعاً للحق الكامل والهدي الصحيح، فيكتسب الإرادة القوية والاخلاص الحقيقي الذي يؤهله للتشرف بتحمل طرف من

---

١) الغيبة، للنعماني، ٢٠٠.
٢) الغيبة، للنعماني، ٢٠١.
٣) الغيبة، للنعماني، ٢٤٤.
٤) الغيبة الصغرى، ٣٤٢.

مسؤوليات اليوم الموعود.[١]

وقال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم...﴾[٢].

وأما الاعداد المادي فهو الذي أشار له القرآن الكريم: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[٣].

فبعد أن أعدّ أصحاب القائم أنفسهم معنوياً يلزمهم الاعداد المادي، أي توفير الأسلحة والمعدات، والتدريب على فنون القتال المختلفة، والاستعداد الكامل لاستقبال الحجة ابن الحسن العسكري المنتظر (عج)، وإيجاد الكوادر العسكرية الكفوءة التي تسعى في تشكيل جيش المنقذ العظيم حال ظهوره.

وبهذا الاعداد المادي والمعنوي يمهد المنتظرون الأرضية الصالحة لظهوره، وبدونه لا موجب للظهور مطلقاً. إذ كيف يستطيع القائد أن يقاتل بدون جيش معد مسبقاً، ويجيد كل فنون القتال، ويمتلك القوة الكافية لخوض الحرب، وفتح مشرق الأرض ومغربها..

ومثلما يحتاج القائد إلى جيش واعي مسلح بالعقيدة والسلاح معاً، كذلك الجيش يلزمه قائداً محنكاً مقتدراً يقوده إلى النصر المؤزر.

ولقد أشارت النصوص لكلا الأعدادين المادي والمعنوي بشكل صريح لا غموض فيه.

منها: عن أميرالمؤمنين أنه قال ـ في حديث له طويل ـ: إذا جهّزت الألوف، وصفّت الصفوف، وقتل الكبش الخروف، هناك يقوم الآخر، ويثور الثائر،

---

١) الغيبة الصغرى، ٣٤٤.
٢) سورة النور، آية ٥٥.
٣) سورة الأنفال، آية ٦٠.

ويهلك الكافر، ثم يقوم القائم المأمول، والإمام المجهول له الشرف والفضل...[١].

ومنها: عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلّمون الناس القرآن كما أنزل...[٢].

ومنها: عن أبي عبدالله جعفر بن محمد (ع) أنه قال: كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم (عج) الفساطيط في مسجد كوفان، ثم يخرج إليهم المثال المستأنف...[٣].

ومنها: عن محمد بن جعفر (ع) بن محمد، عن أبيه (ع) قال: إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض، في كلّ أقليم رجلاً، يقول: عهدك في كفّك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه، ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها، قال: ويبعث جنداً إلى القسطنطينية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئاً، ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الرّوم يمشون على الماء، قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟ فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يشاؤون.[٤]

ومنها: عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله (ع): ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله تعالى إذا علم ذلك من نيته رجوت لأن ينسئ في عمره حتى يدركه [فيكون من أعوانه وأنصاره].[٥]

أشارت هذه النصوص إلى ضرورة الاعداد قبل ظهور المهدي، وأن الذي يعد نفسه لظهور القائم (ع) ومات قبل ظهوره فإنه يموت شهيداً، وأشارت إلى أن

---

١) الغيبة، للنعماني، ٢٧٥.
٢) الغيبة، للنعماني، ٣١٨.
٣) الغيبة، للنعماني، ٣١٩.
٤) الغيبة، للنعماني، ٣١٩.
٥) الغيبة، للنعماني، ٣٢٠.

المهدي سيرسل جنده إلى أماكن متعددة، منها القسطنطينية فيفتحها. ان هذا الجيش العظيم الذي يسيطر على معظم بقاع الأرض، والمسبق بالرعب مسافة شهر على حد تعبير بعض الروايات لم يكون وليد ساعته، ولا يكوّن بفعل المعجزة، وإنما كان حصيلة إعداد مسبق لا محال..

وقد لخّص الشهيد السيد محمد الصدر في كتابه (الغيبة الكبرى) وجوب هذا الاعداد بقوله: شرائط اليوم الموعود: أن تكوّن الأمة ساعة الظهور على مستوى عال من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عزّ وجلّ، أو على الأقل، أن يكون فيها العدد الكافي ممن يحمل هذا الشعور ليكون هو الجندي الصالح الذي يضرب بين يدي المهدي (عج) ضد الكفر والانحراف، ويبني بساعده المقتول الغد الإسلامي المشرق، ويكون الجيش المكون من مثل هذا الشخص هو الجيش الرائد الواعي الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي (عج) قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...[١].

هذا هو الانتظار الإيجابي للقائم المنتظر (عج)، المقترن بأداء الفرائض والعمل الصالح، والامتثال لأوامر الله، وإقامة أحكامه، والخروج على الحاكم الفاسق الجائر إن أمكن، وعدم طاعته في معصية الله. وهذا النوع من الانتظار ينسجم مع نصوص القرآن وأحكامه، وألسنة النبوية المتواترة، والعقل السليم، والفطرة الإنسانية، والاجماع.

أفضل العبادة انتظار الفرج

ان الانتظار الذي يكون أفضل من سائر العبادات المندوبة، ويترتب عليه

---

١) الغيبة الكبرى، ٥٧.

الأجر والثواب هو الانتظار المقترن بـالطاعة والعـمل الصـالح وأداء الوظـائف الشرعية والإنسانيَة. وتحمل المشاق والصـعوبات بسـببه، والاسـتعداد الكـامل للبذل والتضحية في سبيل اعلاء كلمة الله ودحض كلمة الباطل.

فالانتظار المثمر الذي يفرز عطاءً وعملاً صالحاً هو الانـتظار الإيـجابي الموجب لهطول رحمة الله وجزيل ثوابه، لأن إنجاز العبادة والطاعة والاهـتمام بشؤون المسلمين، ورعاية فقيرهم، ومسـاعدة ضـعيفهم، والسـعي إلى تـوحيد صفوفهم في ظروف صعبة مدلهمة بالمكاره، وتحت ظل دولة البـاطل تـعرض العاملين لأخطار جسيمة، وتضحيات عظيمة توجب مضاعفة الأجر والثواب لهم ولشمولهم بعطف الله ورحمته، لأن الأجر على قدر المشقة.

وفيما يلي سنذكر النصوص الصادرة عن الأئمة الأطهار (عليهم السـلام) حول هذا الموضوع:

ـ الحسين بن محمد الأشعري، عن معلّي بن محمد، عن علي بن مرواس، عن صفوان بن يحيى، والحسن بن محبوب، عن هشام بـن سـالم، عـن عـمّار الساباطيّ قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أيما أفضل: العبادة في السرّ مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل، أو العبادة في ظهور الحـقّ ودولتـه، مـع الإمام منكم الظاهر؟

فقال: يا عمّار الصدقة في السرّ والله أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك والله عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر فـي دولة البـاطل، وتـخوّفكم مـن عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة أفضل ممن يعبد الله عزّوجلّ ذكـره فـي ظهور الحق مع إمام الحق الظاهر في دولة الحقّ، وليست العبادة مع الخوف في دولة الباطل مثل العبادة والأمن في دولة الحق..

واعلموا أن من صلّى منكم اليوم صلاة فريضة في جماعة، مستتر بها من

عدوّه في وقتها فأتمها، كتب الله له خمسين صلاة فريضة في جماعة، ومن صلّى منكم صلاة فريضة وحده مستتراً بها من عدوه في وقتها قائمها، كتب الله عزّوجلّ بها له خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلّى منكم صلاة نافلة لوقتها فأتمها، كتب الله له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة، كتب الله عزّوجلّ له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله عزّوجلّ حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله، ودان بالتقية على دينه وإمامه ونفسه، وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة إن الله عزّوجلّ كريم.

قلت: جعلت فداك قد والله رغّبتني في العمل، وحثثتني عليه، ولكن أحب أن أعلم كيف صرنا نحن اليوم أفضل أعمالاً من أصحاب الإمام الظاهر منكم في دولة الحق ونحن على دين واحد؟

فقال: إنكم سبقتموهم إلى الدخول في دين الله عزّ وجلّ وإلى الصلاة والصوم والحج وإلى كلّ خير وفقه وإلى عبادة الله عزّ وجلّ ذكره سراً من عدوكم مع إمامكم المستتر، مطيعين له، صابرين معه، منتظرين لدولة الحق، خائفين على إمامكم وأنفسكم من الملوك الظلمة، تنظرون إلى إمامكم وحقوقكم في أيدي الظلمة، قد منعوكم ذلك، واضطروّكم إلى حرث الدنيا وطلب المعاش مع الصبر على دينكم وعبادتكم وطاعة إمامكم والخوف مع عدوكم، فبذلك ضاعف الله عزّوجلّ لكم الأعمال، فهنيئاً لكم.

قلت: جعلت فداك فما ترى إذاً أن نكون من أصحاب القائم ويظهر الحق ونحن اليوم في إمامتك وطاعتك أفضل أعمالاً من أصحاب دولة الحق والعدل؟

فقال: سبحان الله أما تحبّون أن يظهر الله تبارك وتعالى الحق والعدل في البلاد، ويجمع الله الكلمة ويؤلف الله بين قلوب مختلفة، ولا يعصون الله عزّوجلّ في أرضه، وتقام حدوده في خلقه، ويردّ الله الحق إلى أهله فيظهر، حتى لا

يستخفي شيء من الحقّ مخافة أحد من الخلق، أما والله يا عمار لا يموت منكم ميّت على الحال التي أنتم عليها إلّا كان أفضل عند الله من كثير من شهداء بدر وأُحد فابشروا.[١]

ـ حدثنا علي بن أحمد، عن عبيدالله بن موسى، عن هارون بن مسلم، عن القاسم بن عروة، عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في قوله عزّ وجلّ: ﴿فاصبروا وصابروا ورابطوا﴾ فقال: اصبروا على أداء الفرائض، وصابروا عدوكم، ورابطوا إمامكم [المنتظر].[٢]

ـ وأخرج الترمذي عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): سلوا الله من فضله، فإن الله يحب أن يسأل. وأفضل العبادة إنتظار الفرج.[٣]

ـ احمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن الحسن بن احمد، عن احمد بن هلال، عن أمية بن علي، عن رجل قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): أيّما أفضل نحن أو أصحاب القائم (عليه السلام)؟

قال: فقال لي: أنتم أفضل من أصحاب القائم (عليه السلام)؛ وذلك أنكم تمسون وتصبحون خائفين على إمامكم، وعلى أنفسكم من أئمة الجور، إن صلّيتم فصلاتكم في تقية، وإن صمتم فصيامكم في تقية، وإن حججتم فحجكم في تقية، وإن شهدتم لم تقبل شهادتكم، وعدّ أشياء من نحو هذا مثل هذه. فقلت: فما نتمنّي القائم (عليه السلام) إذا كان هذا، قال: فقال لي: سبحان الله أما تحبّ

---

١) الكافي، ١: ٣٣٣ـ ٣٣٥، كمال الدين، ٢: ٦٤٥.

٢) الغيبة، للنعماني، ١٩٩.

٣) سنن الترمذي، ٥: ٢٢٥، الغيبة الكبرى، ٣٦١.

أن يظهر العدل ويأمن السبل وينصف المظلوم.[١]

ـ وعن أبي عبدالله جعفر بن محمد (عليهما السلام) أنه قال: من مات منكم على هذا الأمر منتظراً كان كمن هو في الفسطاط الذي للقائم (عليه السلام).[٢]

ـ وعن أبي بصير، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال ذات يوم: ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به؟

فقلت: بلى، فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً عبده [ورسوله] والاقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا ـ يعني الأئمة خاصة ـ والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم (عليه السلام)، ثم قال: إنّ لنا دولة يجيء الله بها إذا شاء. ثم قال: من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل من أدركه، فجدوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة.[٣]

ـ روى الصدوق في الاكمال عن الإمام الحسين بن علي (ع) أنه قال في كلام له عن المهدي (عليه السلام): له غيبة يرتد فيها أقوام، ويثبت على الدين فيها آخرون. ويقال لهم: ﴿متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ أما أن الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله وآله الطاهرين الأخيار.[٤]

ـ وبهذا الاسناد، عن ثعلبة، عن عمر بن أبان، عن عبدالحميد الواسطي،

---

١) الاختصاص، للمفيد، ٢٠ ـ ٢١، البحار، ١٣ : ١٤، باب فضل إنتظار الفرج.

٢) الغيبة، للنعماني، ٢٠٠، كمال الدين، ٢ : ٦٤٤.

٣) الغيبة، للنعماني، ٢٠٠.

٤) كمال الدين، ٢، الغيبة الكبرى، ٣٧٦.

عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) قال: قلت له: أصلحك الله لقد تركنا أسواقنا إنتظاراً لهذا الأمر، فقال (عليه السلام): يا عبدالحميد أترى من حبس نفسه على الله عزّوجلّ لا يجعل الله له مخرجاً؟ بلى والله ليجعلنّ الله له مخرجاً، رحم الله عبداً حبس نفسه علينا: رحم الله عبداً أحيا أمرنا، قال: قلت: فإن متّ قبل أن أدرك القائم؟ قال: القائم منكم أن لو أدركت قائم آل محمد نصرته، كان كالمقارع بين يديه بسيفه، لا بل كالشهيد معه.[1]

ـ وبهذا الاسناد، عن محمد بن مسعود، عن جعفر بن معروف قال: أخبرني محمد بن الحسين، عن جعفر بن بشير، عن موسى بن بكر الواسطيّ، عن أبي الحسن، عن آبائه (عليهم السلام) انّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج من الله عزّوجلّ.[2]

ـ وبهذا الاسناد، عن محمد بن عبدالحميد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: سألته عن الفرج؟ قال: انّ الله عزّوجلّ يقول: **﴿انتظروا إني معكم من المنتظرين﴾**.[3]

ـ حدثنا أبي (رضي الله عنه) قال: حدثنا سعد بن عبدالله، قال: حدثني محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن بن راشد، عن أبي بصير، ومحمد بن مسلم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: حدثني أبي، عن جدّي، عن آبائه (عليهم السلام) أن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال ـ في حديث الأربعمائة ـ: انتظروا الفرج، ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ

---

١) كمال الدين، ٢ : ٦٤٤.
٢) كمال الدين، ٢ : ٦٤٤.
٣) كمال الدين، ٢ : ٦٤٥.

الأعمال إلى الله عزّ وجلّ انتظار الفرج مادام عليه العبد المؤمن، الحديث.[١]

ـ وفيه أيضاً، أنه قال (عليه السلام): أفضل أعمال المرء انتظار الفرج من الله عزّوجلّ، الحديث.[٢]

ـ وفيه أيضاً، إنه قال (عليه السلام): والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله، من شهدنا في حربنا أو سمع واعيتنا فلم ينصرنا أكبه الله على منخريه في النار، الحديث.[٣]

ـ علي بن محمد، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن أبي أسامة، عن هشام، ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي حمزة، عن أبي إسحاق قال: حدثني الثقة من أصحاب أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنهم سمعوا أميرالمؤمنين (عليه السلام) يقول في خطبة له: اللّهم وإني لأعلم أن العلم لا يأزر كله، ولا ينقطع مواده وإنّك لا تخلي أرضك من حجة لك على خلقك، ظاهر ليس بالمطاع أو خائف مغمور، كيلا تبطل حججك ولا يضلّ أولياؤك بعد إذ هديتهم، بل أين هم وكم؟ اولئك الأقلّون عدداً، والأعظمون عند الله جلّ ذكره قدراً، المتبعون لقادة الدين، الأئمة الهادين، الذين يتأدّبون بآدابهم، وينهجون نهجهم، فعند ذلك يهجم بهم العلم على حقيقة الإيمان، فتستجيب أرواحهم لقادة العلم، ويستلينون من حديثهم ما استوعر على غيرهم، ويأنسون بما استوحش منه المكذبون، وأباه المسرفون، اولئك أتباع العلماء محبو أهل الدنيا بطاعة الله تبارك وتعالى وأوليائه ودانوا بالتقية عن دينهم

---

١) الخصال، ٢: ٦١٠ـ٦١٦، ما رواه الحواريون، ٣: ٥١٤.

٢) الخصال، ٢: ٦٢١، ما رواه الحواريون، ٣: ٥١٥.

٣) الخصال، ٢: ٦٢٥، ما رواه الحواريون، ٣: ٥١٥، كمال الدين، ٢: ٦٤٥.

والخوف من عدوّهم، فأرواحهم معلقة بـالمحل الأعـلى، فـعلماؤهم وأتـباعهم خرس صمت في دولة الباطل، منتظرون لدولة الحق وسيحقّ الله الحقّ بكلماته ويمحق الباطل، ها، ها، طوبى لهم على صبرهم، على دينهم في حال هدنتهم، ويا شوقاه إلى رؤيتهم في حال ظهور دولتهم، وسيجمعنا الله وإيّاهم في جنّات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم.[1]

المستفاد من هذه النصوص ان الانتظار المثاب عليه هو المقترن بالإيمان والطاعة، والورع ومحاسن الأخلاق، وان الطاعة التي يمارسها المكلف في دولة الباطل مع الخوف والاضطراب يكون أجرها أضعاف مضاعفة على العبادة التي ينجزها في دولة الحق مع الإمام الظاهر من أهل البـيت (عـليهم السـلام)، وان الصبر على الأذى مع أداء الفرائض تجعل المنتظر أفضل مـن أصـحاب القـائم (عليه السلام)، والذي يموت على هذا الحال يكون افضل من كثير من شـهداء بدر، والحي منهم يكون كالمتشحط بدمه في سبيل الله.

وهذا النمط من المنتظرين يبجلهم الإمـام عـلي (ع) ويشـتاق لرؤيـتهم، ويخبرنا عن رفيع منزلتهم، وان الله سيجمعهم وإياه في جنات عدن ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرّياتهم..

ركائز نظرية الانتظار الإيجابي للقائم المنتظر (عج)

اعتمدت نظرية الانتظار الإيجابي على ركـائز مـهمة تـهدف بـرمتها إلى تطبيق الإسلام المحمدي الأصـيل أصـولاً وفـروعاً، وأداء الفـرائـض، والأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد دفاعاً عن الإسلام، والسـعي إلى إيـجاد

---

١) الكافي، ١: ٣٣٥.

دولة إسلامية في زمن الغيبة تكون باشراف وتوجيه الولي الفقيه، وبناء المجتمع الإسلامي بناء عقائدياً سليماً، واعداده لنصرة القائم (عج) اعداداً معنوياً ومادياً، وتمهيد الأرضية الصالحة لظهوره وإنشاء دولته العالمية العادلة..

فنظرية الانتظار الإيجابي بناءً على ما تقدم تغاير نظرية الانتظار السلبي مغايرة تامة؛ لأن الثانية تدعو إلى شل النشاط الإسلامي، وتجميد الطاقات البشرية، وتعطيل الأحكام، والتنصل من الوظائف الشرعية والإنسانية، وغض النظر عن مظاهر الظلم والفساد الاجتماعي، وإيقاف المسيرة في منتصف الطريق على أمل ظهور القائم (عليه السلام) لينتشلها من الوحل المغمورة فيه، ويقود ما تبقى من حطامها نحو الأمن والسلام. وفي هذه الحالة بدلاً من أن يكون المنتظرين أعواناً وأنصاراً للقائد يؤازرونه على إنجاز مهامه الرسالية، يكونون عبئاً ثقيل عليه يعيقون حركة سيره باتجاه أهدافه المنشودة..

هذا ما تفرزه نظرية الانتظار السلبي، بينما الأُولى تدعو إلى مواصلة المسيرة باتجاه الأهداف المرسومة، وعدم التوقف في أثناء الطريق رغم ما يتعرض المسيرة من موانع وعراقيل، لأن الوقوف والمراوحة في أثناء الطريق يجهض القوى ويعرّض المسيرة لأخطار عظيمة قد لا تقوى بعدها على السير خطوة واحدة نحو الأمام..

واتخذ المؤمنون بهذه النظرية من السرية والتقية أسلوباً للنشاط الإسلامي في تلك الظروف العصيبة الحالكة بناءً على توصيات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) للحفاظ على سلامة الحركة والحركيين في آن واحد، والتقليل من نسبة الخسائر والتضحيات..

واستطاع هؤلاء بفضل دعم وتوجيهات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) أن يفجروا ثورات كثيرة سجلها لهم التاريخ في أنصع صفحاته، وينشؤوا دول عديدة

في شتى أنحاء الوطن الإسلامي على مدى التاريخ الطويل..

صحيح ان معظم تلك الثورات قد فشلت ولم ينجز أهدافها كاملاً، وتسببت في قتل عشرات الآلاف من أفراد الطائفة الشيعية إلّا أنها ما كانت تخلو من فوائد جمة.

فهي من جهة قلمت أظافر الخلفاء الأمويين والعباسيين والحكومات الرجعية، وحجمت نفوذهم، وقلصت الكثير من جرائمهم ومآثمهم، لأنها أشعرتهم بأن قراراتهم الاجرامية التعسفية سوف لن تمرّ بسهولة وبدون عقاب. ومن جهة أخرى رسخت جذور التشيّع وقواعده في أعماق وجدان المجتمع المسلم، ورفعت المستوى القتالي للأمة الإسلامية، وصعّدت من معنوياتها وروحيتها الجهادية، وزرعت الأمل والثقة في نفسها، ومكنتها من مواجهة أعتى الطواغيت بقوة واقتدار وشجاعة فائقة..

واستطاعت الأمة من خلال المسيرة الجهادية الدامية والمواجهات القتالية الطويلة الأمد أن تلفظ جميع العناصر الضعيفة المتداعية التي أنهكها المسير، وأرهقتها المحن، وضعفت روحيتها وانهارت معنوياتها، فراحت ترفع شعار الوفاق والتعايش السلمي مع الكفر العالمي والحكومات الرجعية السائرة في ركابه، وابتركت نظرية الانتظار السلبي للقائم المنتظر (عليه السلام)...

وكان من أروع ثمار هذه الحركة الجهادية الدامية التي قادها رواد الانتظار الإيجابي إيجاد دولة إسلامية في هذا العصر الحديث في إيران الإسلام باشراف الولي الفقيه تسعى بجد إلى تهيئة المناخ الملائم لظهور القائم المنتظر (عليه السلام).

فهذا النجاح الباهر الذي حققته نظرية الانتظار الإيجابي يبعث الأمل في نفوس المسلمين بالمستقبل الزاهر للإسلام، ويؤكد صحة نهجها، وسلامة

مضامينها الفكرية والعقائدية، وقدرتها على مسايرة حركة التطور والتمدن الإنساني.

بعد هذا الاستطراد الموجز في اعطاء فكرة عن مجمل ركائز مفهوم الانتظار الإيجابي سنذكر فيما يلي الركائز الواحدة تلو الأخرى بشكل مفصل:

الركيزة الأُولى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واحد من أهم ركائز الانتظار الإيجابي للقائم المنتظر (عليه السلام)، وعاملاً مهماً من عوامل البناء الاجتماعي ومكافحة المفاسد الأخلاقية والاجتماعية الناشئة من ضعف الإيمان، واتباع الهوى، وانفتاح العالم الإسلامي على الحضارة الغربية، وانحراف حكامه عن جادة الحق والصواب، وضعف التبليغ والإرشاد الديني، وانعدام المناهج التربوية الكفيلة بتربية الجيل الناشئ واعداده اعداداً رسالياً يتناسب مع أهمية دور الشباب في بناء المجتمع الإسلامي بناءً فكرياً وعقائدياً سليماً.

وبما أن مفهوم الانتظار الإيجابي يسعى بجد إلى إيجاد مجتمع إسلامي قويم وفق تعاليم القرآن الكريم، والسنة النبوية المتواتر، واعداده اعداداً رسالياً ليكون مؤهلاً لحمل رسالة السماء، وتنفيذ الوعد الإلهي مع المصلح العالمي المرتقب، ومنقذ البشرية من الجهل والظلم والضلال الحجة بن الحسن العسكري (عليه السلام)، فلابد له أن يتخذ من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسيلة للبناء الاجتماعي والاصلاح الديني، لأن بدونه تصبح فكرة إيجاد المجتمع الإسلامي مجرد فكرة خيالية محضة لا وجود لها على صعيد الواقع الموضوعي..

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان أهميتهما وذكر صورهما

قد ورد عنهم (عليهم السلام): «ان بالأمر بالمعروف تقام الفرائض وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف للمظلوم من الظالم، ولايزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البر، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[١].

عرّف الشيخ الطوسي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فراض الإسلام، وهما فرضان على الأعيان، لا يسع أحد تركهما والاخلال بهما.[٢]

وعرّفه السيد الخوئي (رحمه الله) بقوله: من أعظم الواجبات الدينية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[٣]

وعرّفه السيد روح الله الموسوي الخميني بقوله: وهما من أسمى الفرائض وأشرفهما، وبهما تقام الفرائض، ووجوبهما من ضروريات الدين، ومنكره مع الالتفات بلازمه والالتزام به من الكافرين...[٤].

هذه التعاريف مأخوذة من روايات وأحاديث الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، منها قول أبي جعفر الباقر (عليه السلام): ... إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة، بها تقام الفرائض... ـ إلى أن قال ـ : إن الأمر

---

١) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٧.
٢) النهاية، للطوسي، ٢٩٩، ط قم.
٣) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٧.
٤) تحرير الوسيلة، ١: ٤٦٢.

بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم، وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء، ويستقيم، الحديث.[١]

ومراتب الأمر بالمعروف ثلاثة: اليد واللسان والقلب، وهو أضعف الإيمان:

ـ عن محمد بن الحسن قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): من ترك إنكار المنكر بقلبه، ولسانه، ويده، فهو ميت بين الأحياء.[٢]

ـ قال الرضي: وقد قال (عليه السلام) ـ يعني الإمام علي (ع) ـ في كلام له يجري هذا المجرى: فمنهم المنكر للمنكر بقلبه ولسانه ويده، فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه التارك بيده، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير، ومضيع خصلة، ومنهم المفكر بقلبه والتارك بيده ولسانه، فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة، ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه ويده، فذلك ميت الأحياء. وما أعمال البرّ كلها والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلّا كنقية في بحر لجيّ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل ولا ينقصان من رزق، وأفضل من ذلك كلمة عدل عند إمام جائر.[٣]

ومن خلال النصوص المذكورة أعلاه عرفنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بدونه لا يمكن أن تقام الفرائض، ولا تأمن المذاهب ولا تحلّ المكاسب، ولا تردّ المظالم، ولا تعمر الأرض، ولا يمكن أن نتصور للإسلام من

---

١) الكافي، ٥ : ٥٥، الوسائل، ١١ : ٣٩٤ـ ٣٩٥.

٢) تهذيب الأحكام، ٦ : ١٨١، الوسائل، ١١ : ٤٠٤.

٣) نهج البلاغة، القسم الثاني، ٢٣٤.

وجود فعلي بدونه. وإن تاركه بمراتبه الثلاث فهو ميت الأحياء فكيف يستطيع أصحاب نظرية الانتظار السلبي، أو دعاة الوفاق والتعايش السلمي مع الكفر العالمي والرجعية أن ينصروا القائم المنتظر (عج) بأموات الأحياء، الذين لا يهتمون بشؤون المسلمين، ولا يألمون لآلامهم ومعاناتهم، ولا تفرز طاعاتهم خيراً وعطاء، ولا يثمر عملهم شيئاً، لأنه غير مقرون بعمل واخلاص. ان نصرة الحجة بن الحسن (ع) بمثل هؤلاء يكون ضرباً من المستحيل.

وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال الله في محكم كتابه: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفحلون﴾ [١].

وقال: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [٢].

وقال: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياءُ بعضٍ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾ [٣].

وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ [٤].

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إذا أمتي تواكلت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع [٥] من الله. [٦]

---

١) سورة آل عمران، آية ١٠٤.
٢) سورة آل عمران، آية ١١٠.
٣) سورة التوبة، آية ٧١.
٤) سورة التحريم، آية ٦.
٥) الوقاع: يعني الهلاك وعذاب الابادة والانقراض.
٦) الكافي، ٥ : ٥٩، الوسائل، ١١ : ٣٩٤، عقاب الأعمال، ٣٢.

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: انّ رجلاً من خثعم جاء إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، أخبرني ما أفضل الإسلام، قال: الإيمان بالله، قال: ثمّ ماذا؟ قال: ثمّ صلة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: فقال الرجل: فأي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال: الشرك بالله، قال: ثم ماذا؟ قالو قطيعة الرحم، قال: ثم ماذا؟ قال: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.[١]

ـ وعن النبي أيضاً (ص) أنه قال: لاتزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات، وسلّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء.[٢]

ـ عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال النبي (صلّى الله عليه وآله): إن الله يبغض المؤمن الضعيف الذي لا زبر له، وقال: هو الذي لا ينهى عن المنكر.[٣]

ـ وقال النبي (ص): إن الله عزّوجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له، فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر.[٤]

ـ خطب أميرالمؤمنين (عليه السلام): فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنّه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربّانيون والأحبار عن ذلك، وإنهم لمّا تمادوا في المعاصي، ولم ينههم الربانيين والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف، وأنهوا عن المنكر، وأعلموا أن

---

١) الكافي، ٥: ٥٨، الوسائل، ١١: ٣٩٦.
٢) تهذيب الأحكام، ٦: ١٨١، المعنة، ١٣٠، الوسائل، ١١: ٣٩٨.
٣) معاني الأخبار، ٩٨، الوسائل، ١١: ٣٩٩. والمراد بالزبر: العقل.
٤) الكافي، ٥: ٥٩، الوسائل، ١١: ٣٩٧.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقربا آجلاً ولن يقطعا رزقاً، الحديث.[١]

ـ عن أبي جعفر وأبي عبدالله (عليهما السلام) قالا: ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.[٢]

ـ وقال أبو جعفر (عليه السلام): بئس القوم قوم يعيبون الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.[٣]

ـ عن محمد بن عرفة قال: سمعت أبا الحسن الرّضا (عليه السلام) يقول: لتأمرنّ بالمعروف، ولتنهنّ عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم.[٤]

ـ علي بن إبراهيم، في (تفسيره)، عن أبيه، عن بكر بن محمد، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقربا أجلاً ولم يباعدا رزقاً، الحديث.[٥]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: قال النبي (ص): كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر، فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكر والمنكر معروفاً.[٦]

---

١) الكافي، ٥ : ٥٧، الوسائل، ١١ : ٣٩٥.

٢) الكافي، ٥ : ٥٦، تهذيب الأحكام، ٦ : ١٧٦، الوسائل، ١١ : ٣٩٣.

٣) الكافي، ٥ : ٥٧، تهذيب الأحكام، ٦ : ١٧٦، الوسائل، ١١ : ٣٩٤.

٤) الكافي، ٥ : ٥٦، تهذيب الأحكام، ٦ : ١٧٦، الوسائل، ١١ : ٣٩٤.

٥) تفسير القمي، الوسائل، ١١ : ٣٩٩.

٦) الكافي، ٥ : ٥٩، الوسائل، ١١ : ٣٩٦.

وخلاصة ما ورد في هذه النصوص هي وجوب الأمر بالمعروف والنـهي عن المنكر، وإن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مؤمن ضعيف لا عقل له وإن الله يبغضه، وإن عواقب ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نزع للبركات، وتسليط الأشرار على الأمة، وعدم استجابة دعاء الأخيار فيما إذا دعوا الله لرفع البلاء، وفساد النساء وفسق الشباب وغير ذلك من العواقب الوخيمة.

وهذا يعني اضمحلال مقومات المجتمع المسلم واندثار آثاره وعدم بقاء من ينتظر القائم (عج) سلباً وإيجاباً، وهذا ما جعل المـؤمنين بـمفهوم الانـتظار الإيجابي أن يركزوا على ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويـتخذنه ركيزة من أهم ركائز نظريتهم المذكورة..

نوعية الوجوب هل أنهما واجبان كفائيان أم عينيان ؟

قال السيد الخوئي (رحمه الله): يجب الأمر بالمعروف الواجب، والنهي عن المنكر وجوباً كفائياً، ان قام به واحد سقط عن غيره، وإذا لم يقم به واحد أثـم الجميع واستحقوا العقاب.[1]

وقال السيد روح الله الموسوي الخميني: الأقوى أن وجوبهما كفائي، فلو قام به من به الكفاية سقط عن الآخرين، وإلّا كان الكل مع اجـتماع الشـرائـط تاركين للواجب.[2]

وقال السيد عبدالأعلى الموسوي السبزواري: الأمـر بـالمعروف الواجب والنهي عن المنكر واجبان كفائيان إن قام به واحد سقط عن غيره، وإذا لم يقم به

---

١) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٧.

٢) تحرير الوسيلة، ١: ٤٦٣ـ ٤٦٤.

أحد أثم الجميع واستحقوا العقاب مع تحقق الشرائط.[١]

وقال السيد علي الحسيني السيستاني: فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض مراتبهما واجبان كفائيان... فإذا لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر أحد... أثمنا جميعاً.. أما إذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحدنا فقط سقط عن الجميع.[٢]

وقال: إنهما واجبان عينيان ببعض مراتبهما، وهي مرتبة إظهار الكراهة فعلاً أو قولاً من ترك المعروف وفعل المنكر...[٣].

وتقدم عن الشيخ الطوسي قوله: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان من فرائض الإسلام، وهما فرضان على الأعيان، لا يسع أحد تركهما والإخلال بهما.

وهل ان الأمر بالمعروف سواءاً كان عينياً أو كفائياً يختص بواحد أو بفئة من الناس أو برجال الدين، أم يشمل كافة أفراد المجتمع المسلم من الذكور والأُناث الذين بلغوا سن التكليف؟ الظاهر يشمل الكل دون استثناء، ولا يسقط تكليف أزالت المنكر عنهم ما لم يقوم فرد أو جماعة بازالته.

الذي نستشفه من النصوص وفتاوي فقهاءنا ان لابد من ازالة المنكر، فإذا كان بمقدور الفرد أو الأفراد ازالته فبها، وإلّا فيجب على الجميع وجوباً عينياً مع اجتماع الشرائط، خصوصاً إذا كان المنكر ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع كالاعتياد وانتشار دور الفسق والفجور وبارات شرب الخمور، وظاهرة السفور، ولكن يلزم أن لا تتجاوز عمليات تغير المنكر حد الضرب للتأديب والردع

---

١) جامع الأحكام الشرعية، ٢٢٨.
٢) الفتاوي الميسرة، ٣٦٢.
٣) الفتاوي الميسرة، ٣٦٤.

وممارسة التبليغ على أوسع نطاق ممكن.

أما إذا تتطلب الأمر قتل النفس وإحداث الجراحات «إن هذا الضرب لا يجب فعله إلّا بإذن سلطان الوقت المنصوب للرياسة، فإن فقد الإذن من جهته، اقتصر على الأنواع التي ذكرناها»[١].

والمراد بسلطان الوقت هو الإمام المعصوم أو من ينوب عنه فيما إذا كانا مبسوطي اليد، وفي غير هذه الصورة موضع خلاف بين فقهائنا فتأمل.

شرائط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً: العلم بالمعروف والمنكر

معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجبان على الجاهل بالمعروف والمنكر.[٢]

وقال السيد روح الله الموسوي الخميني (رحمه الله): ان يعرف الآمر والناهي أن ما تركه المكلف، أو ارتكبه معروف أو منكر، فلا يجب على الجاهل بالمعروف والمنكر، والعلم شرط الوجوب كالاستطاعة في الحج.[٣]

وشرط العلم من الأمور التي أجمع فقهاءنا عليه بدون استثناء.

ثانياً: احتمال التأثير

قال السيد الخوئي (رحمه الله): احتمال ائتمار المأمور بالمعروف بالأمر، وانتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يحتمل ذلك، وعلم ان الشخص الفاعل لا يبالي بالأمر أو النهي، ولا يكترت بهما لا يجب عليه شيء.[٤]

---

١) النهاية، للطوسي، ٣٠٠.
٢) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٨.
٣) تحرير الوسيلة، ١: ٤٦٥.
٤) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٨.

وقال السيد الخميني (رحمه الله): أن يجوّز ويحتمل تأثير الأمر أو النهي، فلو علم، أو اطمأن بعدمه فلا يجب[١]. وهذا الشرط أيضاً مجمع عليه.

ثالثاً: أن يكون العاصي مصرّاً على الاستمرار، فلو علم منه الترك سقط الوجوب[٢]

وقال السيد الخوئي (رحمه الله): أن يكون الفاعل مصرّاً على ترك المعروف، وارتكاب المنكر، فإذا كانت إمارة على الاقلاع، وترك الاصرار لم يجب شيء، بل لا يبعد عدم الوجوب بمجرد احتمال ذلك، فمن ترك واجباً، أو فعل حراماً ولم يعلم أنه مصرّ على ترك الواجب، أو فعل الحرام ثانياً، أو أنه منصرف عن ذلك أو نادم عليه لم يجب عليه شيء، هذا بالنسبة إلى من ترك المعروف، أو ارتكب المنكر خارجاً، وأما من يريد ترك المعروف، أو ارتكاب المنكر فيجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وإن لم يكن قاصداً إلّا المخالفة مرة واحدة.[٣] وهذا الشرط مجمع عليه أيضاً.

رابعاً: أن يكون المعروف والمنكر منجزاً في حق الفاعل

قال السيد الخوئي (رحمه الله) حول هذا الشرط: أن يكون المعروف والمنكر منجراً في حق الفاعل، فإن كان معذوراً في فعله المنكر، أو تركه المعروف، لاعتقاد ان ما فعله مباح، وليس بحرام، أو ان ما تركه ليس بواجب، وكان معذوراً في ذلك للاشتباه في الموضوع، أو الحكم اجتهاداً، أو تقليداً لم يجب شيء.[٤]

---

١) تحرير الوسيلة، ١: ٤٦٧.
٢) تحرير الوسيلة، ١: ٤٧٠.
٣) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٨.
٤) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٨.

خامساً: أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر

أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر في النفس، أو في العرض، أو في المال، على الآمر، أو على غيره من المسلمين، فإذا لزم الضرر عليه، أو على غيره من المسلمين لم يجب شيء، والظاهر أنه لا فرق بين العلم بلزوم الضرر والظن به والاحتمال المعتد به عند العقلاء الموجب لصدق الخوف، هذا فيما إذا لم يحرز تأثير الأمر أو النهي، وأما إذا أحرز ذلك فلابد من رعاية الأهمية، فقد يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع العلم بترتب الضرر أيضاً، فضلاً عن الظن به أو احتماله.[١]

وقال السيد الخميني (رحمه الله): لو علم أو ظن أن إنكاره موجب لتوجه ضرر نفسي أو عرضي أو مالي يعتد به عليه، أو على أحد متعلقيه كأقربائه وأصحابه وملازميه فلا يجب ويسقط عنه، بل وكذا لو خاف ذلك لاحتمال معتد به عند العقلاء، والظاهر إلحاق سائر المؤمنين بهم أيضاً.[٢]

سادساً: يجب على الآمر أن يكون عاملاً بالمعروف منته عن المنكر

والشرط السادس مستفاد من النصوص القرآنية والروايات النبوية المتواترة. قال الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون * كبُر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[٣].

وقال تعالى: **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتب أفلا تعقلون﴾**[٤].

ـ وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّما يأمر بالمعروف وينهى عن

---

١) منهاج الصالحين، ١: ٣٧٨.
٢) تحرير الوسيلة، ١: ٤٧٢.
٣) سورة الصف، الآيات ١ و ٢.
٤) سورة البقرة، آية ٤٤.

المنكر من كانت فيه ثلاث خصال: عامل بما يأمر به، وتارك لما ينهي عنه، عادل فيما يأمر، عادل فيما ينهي، رفيق فيما يأمر، ورفيق فيما ينهي.[١]

بقية النصوص التي استنبطت منها الشرائط

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: سمعته يقول وسئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أواجب هو على الأمة جميعاً؟ فقال: لا، فقيل له: ولِمَ؟ قال: إنّما هو على القوي المطاع العالم بالمعروف من المنكر، لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً إلى أي من أي يقول من الحق إلى الباطل، والدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجلّ قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾، فهذا خاص غير عام، كما قال الله عزّوجلّ: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ ولم يقل: على أمة موسى ولا على كلّ قومه، وهم يومئذ أمم مختلفة، والأمة واحد فصاعداً، كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله﴾. يقول: مطيعاً لله عزّوجلّ، وليس على من يعلم ذلك في هذه الهدنة من حرج إذا كان لا قوة له ولا عدد ولا طاعة، قال مسعدة: وسمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: وسئل عن الحديث الذي جاء عن النبي (ص): إنّ أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، ما معناه؟ قال: هذا على أن يأمره بعد معرفته، وهو مع ذلك يقبل منه وإلّا فلا.[٢]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام): إنّما يؤمر بالمعروف وينهي عن المنكر

---

١) الخصال، ١: ١٠٩، روضة الواعظين، ٢٦. أخرجه عن الخصال، الوسائل، ١١: ٤٠٣.

٢) الكافي، ٥: ٥٩، الخصال، ١: ، تهذيب التهذيب، ٦: ١٧٧، الوسائل، ١١: ٤٠٠.

مؤمن فيتعظ، أوجاهل فيتعلّم، فأمّا صاحب سوط أو سيف فلا.[١]

ـ عن أبان بن تغلب، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: كان المسيح (عليه السلام) يقول: إن التارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لا محالة ـ إلى أن قال ـ: فكذلك لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا، ولا تمنعوها أهلها فتأثموا، وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعاً لدوائه وإلّا أمسك.[٢]

ـ عن الرضا (عليه السلام) أنه كتب إلى المأمون: محض الإسلام شهادة أن لا إله إلّا الله ـ إلى أن قال ـ: والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان إذا أمكن ولم يكن خيفة على النفس.[٣]

إنتهى الحديث عن الركيزة الأُولى التي اعتمد عليها أصحاب نظرية الانتظار الإيجابي في اعداد المجتمع اعداداً رسالياً هادفاً بحيث يجعله مهيئاً لاستقبال القائم المنتظر (عج) والمساهمة في نهضته وإقامة دولته العادلة.

الركيزة الثانية هي الجهاد بكلا شقيه: جهاد النفس وجهاد العدو

الركيزة الثانية التي ساهمت في صياغة مفهوم الانتظار الإيجابي، وكانت عاملاً مهماً في بناء المجتمع المسلم هي الجهاد بكلا شقيه: جهاد العدو وجهاد النفس، وبهما تتم حراسة الوطن والدين من أعدائه الطامعين في آن واحد.

---

١) تهذيب التهذيب، ٦: ١٧٨، الكافي، ٥: ٦٠، الخصال، ١: ٣٥، الوسائل، ١١: ٤٠٠.

٢) الروضة، ٢٨٥، الوسائل، ١١: ٤٠١.

٣) الخصال، ١، الوسائل، ١١: ٤٠٢، والوسائل، ١٨: ١٤٠، وعيون أخبار الرضا، ٢: ١٣١، ح ١، والبحار، ١٠: ٣٥٢ وغيره.

فإن جهاد العدو يتصدى للغزو العسكري ويخيّب آمال الغزاة في احتلال الوطن واستثمار خيراته، ويضع حداً لأطماعهم التوسعية، بينما جهاد النفس يتصدى للغزو الثقافي الذي دئبت دول الاستكبار على ممارسته باستمرار وبوسائلها الاعلامية الحديثة المتطورة لأجل إفساد المسلمين عقائدياً وأخلاقياً.

والجهاد كما تعلمون قسمين:

أحدهما الجهاد الابتدائي وهو احتلال دول الكفر واخضاعها لسلطان الإسلام بعد رفضها الخضوع له سليماً. وهذا النوع من الجهاد لا يكون إلّا باشراف الرسول الأكرم (ص) أو من نص عليه بالخلافة له من بعده، وهو الإمام المعصوم (ع). وفي عصر الغيبة وعدم حضور الإمام (ع) لا يجب هذا النوع من الجهاد، ولذا لسنا بحاجة لدرجة في بحثنا هذا.

والآخر هو الجهاد الدفاعي الذي يعني الدفاع عن المسلمين وبلدانهم في حالة تعرضهم لاعتداء من قبل أعداء الإسلام الذين يحاولون فرض سيطرتهم بالقوة ليتسنى لهم نهب خيرتهم وتسويف عقائدهم.

هذا الجهاد يكون في غيبة الإمام ولا يستلزم حضوره، ويكفي وجود نائبه العام أو من ينوب عنه بوجه خاص. وهو واجب كفائي ما لم يتعين، فإذا عيّن الولي الفقيه فرداً أو أفراد، أو فرقة من فرق الجيش للقيام به أصبح واجب عيني يختص بمن عينهم فقط.

هذا إذا كانت للمسلمين دولة وفقيه مبسوط اليد، وفي حالة عدم وجودها هم بحاجة إلى فتوى فقيه جامع للشرائط.

فبحثنا يختص بهذا النوع من الجهاد الذي نحن بأمس الحاجة إلى ممارسته في عصر غيبة الإمام الكبرى، لأننا من خلاله نستطيع أن نرفع مستوى الوعي الجهادي، والقدرة القتالية لدى المسلمين، ونزرع في أعماق نفوسهم روح

البذل والتضحية، ونمكنهم لخوض الجهاد الابتدائي الذي سيمارسه القائم المنتظر (عج) حال ظهوره لبسط نفوذه على سائر أنحاء العالم وإنشاء دولته الإسلامية العالمية العادلة.

والجهاد الدفاعي حق مشروع تقره الرسالات السماوية والوضعية، سواء للأفراد، أو للجماعات البشرية المسلمة وغير المسلمة أيضاً، أو حتى سائر الموجودات الحية، فإن من حق كل موجود حي أن يدافع عن نفسه إذا ما تعرض للخطر حتى إذا أدى دفاعه إلى موت المهاجم، لأن مسؤولية موته تقع على عاتقه، وليست على عاتق المدافع عن نفسه.

النصوص الدالة على الجهاد من القرآن والسنة النبوية

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الّذين ءَامنوا قٰتلوا الّذين يلُونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿إنّ الّذين ءَامنوا وهاجروا وجٰهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين ءَووا ونصروا اولئك بعضهم أولياءُ بعض...﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿قٰتلوهم يُعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين...﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الّذين جٰهدوا منكم ولم

---

١) سورة التوبة، آية ٤١.
٢) سورة التوبة، آية ١٢٣.
٣) سورة الأنفال، آية ٧٢.
٤) سورة التوبة، آية ١٤.

يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ [١].

ـ وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): الخير كلّه في السيف، وتحت ظل السيف، ولا يقيم الناس إلّا السيف، والسيوف مقاليد الجنة والنار.[٢]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: الجهاد أفضل الأشياء بعد الفرائض.[٣]

ـ قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): إن الله فرض الجهاد وعظمه وجعله نصره وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به.[٤]

ـ عن فضيل بن عياض قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الجهاد أسنة هو أم فريضة؟

فقال: الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض، وجهاد سنة لا تقام إلّا مع أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض.

وأما الجهاد الذي هو سنة لا يقام إلّا مع فرض فإن مجاهدة العدوّ فرض على جميع الأمة، ولو تركوا الجهاد لأتاهم العذاب، وهذا هو من عذاب الأمة...[٥].

أجمعت النصوص المتقدمة على وجوب الجهاد في سبيل الله وأنه أفضل الأشياء بعد الفرائض، وإن الخير كل الخير في السيف، وإن السيوف مقاليد الجنة

---

١) سورة التوبة، آية ١٦.

٢) الكافي، ٥ : ٢، تهذيب الأحكام، ٦ : ١٢٢، ثواب الأعمال، ١٠٣، المجالس، ٤٦٣، مجلس، ٨٥، الوسائل، ١١ : ٥.

٣) الكافي، ٥ : ٤، تهذيب الأحكام، ٦ : ١٢١، الوسائل، ١١ : ٧.

٤) الكافي، ٥ : ٨، الوسائل، ١١ : ٩.

٥) الكافي، ٥ : ٩، التهذيب، ٦ : ١٢٤، الخصال، ١ : ٢٤، تحف العقول، ١٧٥، الوسائل، ١١ : ١٦.

والنار، وبدون السيف لا يقوم الناس ولا يصلح الدين والدنيا إلّا به.

وتعرضت النصوص أيضاً لذكر المجاهدين وأكدت على أن الجهاد في سبيل الله بالأموال والأنفس سمت المؤمنين الصادقين، وإنه عملية اختبار لهم، وإن بعضهم أولياء بعض ويجب عليهم أن لا يتخذوا من دون الله ورسوله والمؤمنين وليجة. ثم وعدهم الله بنصرة إن كانوا يجاهدون كما أراد الله، وإنه سيعذب الكافرين على أيديهم ويشفي بذلك صدور المؤمنين.

ثواب المجاهدين ودرجاتهم الرفيعة

قال الله في محكم كتابه: ﴿الذين ءَامنوا وهاجروا وجٰهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون * يبشرهم ربّهم برحمة منه ورضوان وجنّات لهم فيها نعيم مقيم * خٰلدين فيها أبداً إنّ الله عنده أجرٌ عظيم﴾ [١].

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): للجنة باب يقال له: باب المجاهدين يمضون إليه فإذا هو مفتوح وهم متقلّدون بسيوفهم، والجمع في الموقف والملائكة ترحب بهم... [٢].

ـ عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إنّ علي بن الحسين (عليه السلام) كان يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما من قطرة أحب إلى الله عزّ وجلّ من قطرة دم في سبيل الله. [٣]

---

١) سورة التوبة، الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

٢) الكافي، ٥: ٢، التهذيب، ٦: ١٢٣، ثواب الأعمال، ١٠٣، مجالس الصدوق، ٤٦٣، م ٨٥، الوسائل، ١١: ٥.

٣) الكافي، ٥: ٥٣، الوسائل، ١١: ٨.

ـ قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): أما بعد فإنّ الجهاد بـاب مـن أبـواب الجنة فتحه الله لخاصة أولياءه، وسوّغهم كرامة منه لهم، ونعمة ذخرها...[١].

ـ وقال أيضاً في يوم الجمل: أيها الناس! إن الموت لا يفوته المـقيم، ولا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص ومن لم يمت يتل، وإن أفضل المـوت القتل، والذي نفسي بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من مية عـلى فـراش، الحديث.[٢]

ـ وفي (عقاب الأعمال) باسناد تقدّم في عيادة المريض، عن رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) إنه قال (في حديث): ومن خرج في سبيل الله مجاهداً فله بكل خطوة سبعمائة ألف حسنة، ويمحى عـنه سـبعمائة ألف سـيئة، ويـرفع له سبعمائة ألف درجة، وكان في ضمان الله بأي حتف مات كان شهيداً، وإن رجع رجع مغفوراً له مستجاباً دعاؤه.[٣]

دونت هذه النصوص بفخر الدرجات الرفيعة للمجاهدين، وسمو مقامهم، ورفعة شأنهم عند الله، وأنهم مشمولين بـلطف الله ورحـمته ورضـوانـه، وأنـهم خالدون في جنّات نعيمه في مقام صدق عند مليك مقتدر.

وكان مربي المجاهدين ومعلمهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) بكلماته القيّمة التي كان يحثهم فيها على الجهاد في سبيل الله، ويرغبهم فيه بقوله: لألف ضربة بالسيف أهون عليَّ من ميتة على فراش.. فهؤلاء سلكوا طريق علي بـن أبي طالب (عليه السلام) امتثالاً لأمر الله ورسوله (ص) فنالوا أرفـع الدرجـات وأسمى المراتب في الدنيا والآخرة.

---

١) الكافي، ٥: ٤، التهذيب، ٦: ١٢٣، نهج البلاغة، القسم الثاني، ٧٥، الوسائل، ١١: ٨.
٢) الكافي، ٥: ٥٤، الوسائل، ١١: ٨.
٣) عقاب الأعمال، ٥١، الوسائل، ١١: ١٢.

ـ عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم، فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزّوجلّ.[١]

ـ نماذج من النصوص التي تحرم طاعة السلطان الجائر ـ
وضرورة اعداد النفس والسلاح
ليوم ظهور القائم

ـ عن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله (ص): من أرضى سلطاناً جائراً بسخط الله خرج عن دين الله.[٢]

ـ وعن الرضا، عن آبائه، عن علي (ع) قال: لا دين لمن دان بطاعة مخلوق في معصية الخالق.[٣]

ـ عن أبى عبدالله (ع) في قوله عزّوجلّ: ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ قال: ليس العبادة هي السجود والركوع إنّما هي طاعة الرّجال، من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده.[٤]

ـ عن أبي بصير، قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): ليعدّنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً، فإن الله تعالى إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأن ينسئ في عمره[٥] حتى يدركه [فيكون من أعوانه وأنصاره].[٦]

---

١) الروضة، ٣٥٩، الوسائل، ١١ : ٣٧.
٢) الكافي، ٢ : ٣٧٣، الوسائل، ١١ : ٤٢١.
٣) عيون أخبار الرضا، ٢٠٨، الوسائل، ١١ : ٤٢٢.
٤) تفسير القمي: ٢١٥، الوسائل، ١١ : ٤٢٣.
٥) ينسئ: أي يؤخر أجله إلى أن يدرك القائم (عج).
٦) الغيبة، للنعماني، ٣٢٠.

وجوب الدفاع عن النفس والمال والعرض، وأن من مات دون مظلمته مات شهيداً

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من قتل دون مظلمته فهو شهيد.[١]

ـ وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من قتل دون مظلمته فهو شهيد، ثم قال: يا أبا مريم! هل تدري ما دون مظلمته؟ قلت: جعلت فداك الرّجل يقتل دون أهله ودون ماله وأشباه ذلك، فقال: يا أبا مريم! إن من الفقه عرفان الحق.[٢]

ـ عن الحسين بن أبي العلاء قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن الرجل يقاتل دون ماله، فقال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من قتل دون ماله فهو بمنزلة الشهيد، قلت: أيقاتل أفضل أو لم يقاتل؟ قال: أما أنا لو كنت لم أقاتل وتركته.[٣]

ـ عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: من اعتدى عليه في صدقة ماله فقاتل فقُتل فهو شهيد.[٤]

ـ عن الرضا (عليه السلام)، عن الرّجل يكون في السفر ومعه جاريته له، فيجيء قوم يريدون أخذ جاريته أيمنع جاريته من أن تؤخذ وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم، قلت: وكذلك إن كانت معه امرأة؟ قال: نعم، قلت: وكذلك الأُم والبنت وابنة العمّ والقرابة يمنعهنّ وإن خاف على نفسه القتل؟ قال: نعم،

---

١) الكافي، ٥: ٥٢.
٢) الكافي، ٥: ٥٢.
٣) الكافي، ٥: ٥٢.
٤) الكافي، ٥: ٥٢.

[قلت]: وكذلك المال يريدون أخذه في سفر فيمنعه وإن خاف القتل؟ قال: نعم.[١]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): من قتل دون عياله فهو شهيد.[٢]

أوجبت هذه النصوص الدفاع عن النفس والأهل والمال والعرض، وجعلت ثواب من يموت دونها كثواب الشهيد. فهذه النصوص تناغم الفطرة الإنسانية وتركزها في أعماق نفوس المؤمنين لتجعلهم أكثر اندفاعاً وحماساً في الدفاع عن النفس والمال والأهلون. وبذا يضع الإسلام الحد لأطماع اللصوص وقطاع الطرق، ويمنعهم من ممارسة العادات الجاهلية المقيتة التي حرمها الإسلام ووضع القوانين الصارمة لمجازات من يمارسها. ويهدف الإسلام من وراء تلك التشريعات نشر الأمن والاستقرار وبناء المجتمع السليم على أسس حضارية متقدّمة.

تحريم الظلم ووجوب محاربة الظالم ونصرة المظلوم وعدم إعانة الظالم على ظلمه

عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: من عذر ظالماً بظلمه سلّط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على ظلامته.[٣]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) في وصيته لأصحابه قال: وإياكم أن تعينوا على مسلم مظلوم ـ إلى أن قال ـ: فإن أبانا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان يقول: إن معونة المسلم خير وأعظم أجراً من صيام شهر واعتكافه في المسجد

---

١) الكافي، ٥: ٥٢.
٢) التهذيب، ٦: ١٥٧.
٣) الكافي، ٥: ، الوسائل، ١١: ٣٤٤ـ٣٤٥.

الحرام.[١]

ـ عن عبدالله بن سنان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته.[٢]

ـ وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثتهم.[٣]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ما قدست أمة لم يؤخذ لضعيفها من قويها بحقه غير متعتع.[٤]

ـ وبهذا الاسناد قال: قال علي (عليه السلام): ... لا يحضّرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً وعدواناً ولا مقتولاً ولا مظلوماً إذا لم ينصره؛ لأن نصرته على المؤمن فريضة واجبة إذا هو حضره.[٥]

هذه النصوص هي تفسير لقوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار...﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿فاعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم...﴾[٧]، وقوله تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذابٌ أليم﴾[٨]، وكثير غير هذه الآيات التي صرح بها القرآن في ضرورة انكار الظلم ومكافحة الظالمين وعدم الخضوع والركون لهم، والسعي إلى إقامة العدل وانجاز القصاص؛ لأن في القصاص حياة واستقرار،

---

١) الكافي، ٥: ، عقاب الأعمال، ٤١، الوسائل، ١١: ٣٤٥.

٢) الروضة، ٧، الوسائل، ١١: ٣٤٥.

٣) عقاب الأعمال، ٤١، الوسائل، ١١: ٣٤٥.

٤) الكافي، ٥: ٥٦.

٥) عقاب الأعمال، ٣٥، قرب الاسناد، ٢٦، الوسائل، ١١: ٤٠٨.

٦) سورة هود، آية ١١٣.

٧) سورة البقرة، آية ١٩٤.

٨) الشورى، آية ٤٢.

وترك الجهاد الدفاعي يؤدي إلى اذلال الأمة وامتهانها، وحرفها في نهاية المطاف بالاكراه عن جادة الصواب بعد تحطيم ارادتها ونسخ شخصياتها وتسويف عقائدها..

وفيما يلي نذكر الآثار السيئة المترتبة على ترك الجهاد الدفاعي، والإقرار بظلم الظالمين وعدم مجاهدتهم.

عواقب ترك الجهاد وآثاره السيئة

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): للجنة باب ـ إلى أن قال ـ : فمن ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته، ومحقاً في دينه، إن الله أغنى وأعزّ أمتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها.[1]

ـ وعن أميرالمؤمنين (عليه السلام) انه قال: ... فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وريث بالصغار والقماءة، وضرب على قلبه بالاسداد، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النّصف، الحديث.[2]

شرح بعض كلمات الحديث:

ديث: على بناء المفعول من باب التفعيل، أي ذلك، وبعير مديّث، أي مذلل بالرياضة. والصغار ـ بالفتح ـ : الذل والهوان. والصاغر: الراضي بالهوان والذل. والقماءة في النهج بدون الهاء، والقماء ـ بالضم والكسر ـ : الذل، قمأ ـ كجمع وكرم ـ ذل وصغر. والاسداد: جمع سد، وفي القاموس: ضربت عليه الأرض

---

١) الكافي، ٥ : ٢، التهذيب، ٦ : ١٢٣، ثواب الأعمال، ١٠٣، مجالس الصدوق، ٤٦٣، م ٨٥، الوسائل، ١١ : ٥.

٢) الكافي، ٥ : ٤، التهذيب، ٦ : ١٢٣، نهج البلاغة، القسم الثاني، ٧٥، الوسائل، ١١ : ٨.

بالاسداد، أي سدت عليه الطرق وعميت عليه مذاهبه. وخلاصة هذه الكلمات ان تارك الجهاد يصاب بالذل والهوان ولم يعد يهتدي لسبيل ينقذه مما فيه... ورواه الشيخ باسناده عن أحمد بن محمد بن سعيد نحوه، وزاد: وأديل الحق بتضييع الجهاد وغضب الله عليه بتركه نصرته، وقد قال الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿ان تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم﴾ [١].

وصدق زيد بن علي بن الحسين (ع) حين قال: ما كره قوم قط حرّ السيوف، أو [حرّ] السيوف إلّا ذلوا.[٢]

شرائط القائم قبل قيام المنتظر (عج)

ـ عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: ... إن أتاكم آت منّا فانظروا على أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإن زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعوكم إلى نفسه، وإنّما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع ينقضه...[٣].

ـ عن الرضا (عليه السلام) ـ (في حديث) ـ انه قال للمأمون: لا تقسي أخي زيداً إلى زيد بن علي، فإنّه كان من علماء آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، غضب لله فجاهد أعدائه حتى قتل في سبيله، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر أنه سمع أباه جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: رحم الله عمّي زيداً إنه دعا إلى

---

١) تهذيب الأحكام، ٦: ١٢٤، سورة محمّد (ص)، آية ٧.
٢) خطط المقريزي، ٤: ٣٠٩، الشيعة في التاريخ، ١٤٨.
٣) الروضة، ٢٦٤، الوسائل، ١١: ٣٥ـ٣٦.

الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه، لقد استشارني في خروجه فقلت: إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك ـ إلى أن قال ـ: فقال الرضا (عليه السلام): إن زيد بن عليّ لم يدع ما ليس له حقّ، وإنه كان أتقى لله من ذلك إنه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه وآله).[1]

ـ محمد بن إدريس في (آخر السرائر) نقلاً من كتاب أبي عبدالله السياري، عن رجل قال: ذكر بين يدي أبي عبدالله (عليه السلام) من خرج من آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، فقال: لازال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد (ص)، ولوددت أنّ الخارجي من آل محمد خرج وعلى نفقة عياله.[2]

ونستشف من هذه النصوص ان الخروج دفاعاً عن حق الأفراد أو الجماعات، أو عن حق الأمة إذا كانت مضطهدة من قبل الحاكم الجائر جائراً، سواءً كان الخروج في زمن حضور الإمام المعصوم أو في زمن غيبته؛ لأن الدفاع عن الحقوق المغتصبة، والجهاد في سبيل استردادها مع الامكان واجب لا محال، ومن مات دون حقه بمنزلة الشهيد المقتول بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بدر وأُحد وحنين.. هذا إذا كانت الحقوق محصورة بنطاق الأفراد والجماعات فالجهاد دفاعاً عنها أو لغرض استردادها لا يحتاج إلى إذن مسبق من الشارع المقدس؛ لأن الإنسان ملزم بالدفاع عن حقه وماله وعرضه شرعاً وعرفاً.

وأما الخروج الجماعي للدفاع عن الإسلام والمسلمين سواءً كان مع الحاكم الإسلامي الجائر أو ضده، فهذا لا يتم إلّا بشروط، وهي: أن يكون الخارج

---

١) عيون أخبار الرضا (ع)، ١: ٤٧٦، باب ٤٧، ح ١، ط مشهد، الوسائل، ١١: ٣٨ـ ٣٩.

٢) السرائر، ٤٦٨، الوسائل، ١١: ٣٩.

فقهياً عالماً ورعاً تقياً عادلاً داعياً للرضا من آل محمد (ص)، ولو ظـفر لوفـى بعده...

ولكن هذا النوع من الخروج لا يتم إلّا بإذن الحاكم الشرعي وبـاشرافـه وقيادته، ولكنه يتنافي مع ما تقدم من النصوص الداعية إلى عدم الخروج فـي زمن الغيبة، وضرورة الخـضوع للسـلطان الجـائر وطـاعته حـتى إذا أراد قـتل المسلمين بدون حق، وسلب أموالهم واغتصاب حقوقهم والغـاء حـريتهم، وإذا خشيه المسلم المراد قتله من لمعان سيفه عليه أن يغطي وجهه بـردائـه كـي لا يخشى الموت ويفلت من قبضة القاتل.

وهذه النصوص هي التي اتخذها أصحاب نظرية الانتظار السلبي ذرائـع لتبرير نظريتهم الاستسلامية الداعية إلى التعايش السـلمي مـع الكـفر العـالمي، والوفاق مع الأنظمة الرجعية السائرة في ركابه، وهي كـما تـرى تـتعارض مـع النصوص الداعية إلى الخروج على الحاكم الجائر حتى إذا كان مسلماً، فكـيف يمكننا أن نرفع هذا التعارض ونثبت صحة مفهوم الانتظار الإيجابي الذي اتخذ من الجهاد الدفاعي وسيلة لتربية الأمة على الجهاد المتواصل ضد خط الانحراف والتضليل.

وباستطاعتنا رفع التعارض بوجوه:

أولاً: ان هذا النمط من النصوص ـ الداعية إلى الخضوع والطاعة للحاكم الظالم حتى إذا تجاوز على حقوق رعيته، وأراد تبديد شملها بالقتل والتشريد ـ لم يرد بها نص في القرآن الكريم والسنة المتواترة، فأغلب الظن أنها مـوضوعة ومختلفة صاغتها أقلام وعاظ السلاطين التي ما فتئت إلى يـومنا هـذا تـحاول إيجاد المعاذير الواهية لتبرير جرائم الحكام الرجعيين، وتحث الأمة على طاعتهم وإنفاذ مشيئتهم حتى إذا كانت في معصية الله، بل حتى لو ارتكبوا أبشع المجازر،

ومارسوا أخس الرذائل التي‌حولت قصورهم وبلدانهم فيما بعد إلى بؤر للفساد والفسق والفجور.

ثانياً: ولو غضضنا النظر عن مسألة الوضع والاختلاق، فلعل المراد من عدم الخروج والطاعة للحاكم الجائر في زمن الغيبة هو في حالة انعدام الشرائط المذكورة وعدم توفرها في شخص الخارج، كأن يدعو الخارج إلى نفسه بهدف حب الزعامة والتسلط، فهذا الخروج مذموم من قبل الشارع المقدس، لأنه ما جدوى حلول طاغوت محل طاغوت آخر. ثم أنه لم يرد به سبيل الله، ولم يحضى برضى آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، بل كانت غايته تحقيق المنافع الشخصية.

فحامل هذه الراية يكون طاغوت يُعبد من دون الله كما عبرت الروايات بذلك، فكيف يسع الإنسان المؤمن الخروج معه وتأييد نهضته مع ما ورد فيه من الذم. وتجسد هذا النوع من الخروج في ثورة عبدالله بن الزبير ونظرائه، وهو من ألد أعداء أهل البيت (عليهم السلام).

ذكر النصوص الدالة على ذم هذا النمط من الخروج:

ـ عن أبي الحسن (عليه السلام) أنه ذكر رجلاً يحب الرئاسة، فقال ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها بأضرّ في دين المسلم من الرئاسة.[1]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام): من طلب الرئاسة هلك.[2]

ـ عن عبدالله بن مسكان قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إيّاكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فوالله ما خففت النعال خلف رجل إلّا هلك

---

١) الكافي، ٢: ٢٩٧.

٢) الكافي، ٢: ٢٩٧.

وأهلك.[١]

ـ قال أبو عبدالله (عليه السلام): ملعون من ترأس، ملعون من همّ بها، ملعون من حدّث بها نفسه.[٢]

ـ عن أبي حمزة الثمالي قال: قال لي أبو عبدالله (عليه السلام): إيّاك والرئاسة، وإيّاك أن تطأ أعقاب الرجال، قال: قلت: جعلت فداك، أمّا الرئاسة فقد عرفتها، وأمّا أن أطأ أعقاب الرجال فما ثلثا ما في يدي إلّا مما وطئت أعقاب الرجال[٣]، فقال لي: ليس حيث تذهب، إيّاك أن تنصب رجلاً دون الحجة، فتصدّقه في كلّ ما قال.[٤]

ـ عن أبي الربيع الشامي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال لي: ويحك يا أبا الربيع لا تطلبنّ الرئاسة ولا تكن ذئباً.[٥]

ـ عن محمد بن مسلم، قال: كتب أبو عبدالله (عليه السلام) إلى الشيعة: ليعطفنّ ذو السن منكم والنهي على ذوي الجهل وطلّاب الرئاسة، أو لتصيبنكم لعنتي أجمعين.[٦]

ثالثاً: وربما يراد من النهي المذكور هو عدم الاشتراك في الفتن التي تحصل بين آونة وأخرى وبذرائع شتى، وصور وأشكال مختلفة فلا يجوز المساهمة فيها لورود النهي عنها، عن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله)،

---

١) الكافي، ٢ : ٢٩٧.
٢) الكافي، ٢ : ٢٩٨.
٣) أي مشيت خلفهم لأخذ الرواية عنهم، فأجاب (عليه السلام) بأنه ليس الغرض النهي عن ذلك، بل الغرض النهي عن جعل غير الإمام المنصوب من قبل الله تعالى بحيث تصدقه في كل ما يقول، وقيل وطؤه العقب كناية عن الاتباع في الفعال، وتصديق المقال، واكتفى في تفسير بأحدهما لاستلزامه الآخر غالباً.
٤) الكافي، ٢ : ٢٩٨.
٥) الكافي، ٢ : ٢٩٨.
٦) روضة الكافي، ١٥٢/١٣٩، ما رواه الحواريون، ٣ : ٥٦٢.

والأئمة الأطهار (عليهم السلام) وقد مرّ ذكرها ولا حاجة لنا بالاعادة، وقد لخصها الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) بقوله: كن في الفتنة كابن اللبون لا ضرع فيحلب، ولا ظهر فيركب..

رابعاً: ويحتمل قوياً ان المراد من النهي هو عدم الخروج على الحاكم الظالم في ظرف غير مناسب، أو قبل أن تستكمل الثورة شرائط نجاحها وقوتها.

فإن أحداث الثورة قبل أوانها، أو في ظرف غير مناسب يؤدي حتماً إلى إفشالها وتصفية القائمين بها دون أن تترك أي أثر ملحوض يبرر شرعية تفجيرها، أو تحدث انفراجاً في علاقة الحاكم الجائر مع الشيعة الإمامية، أو تردعه عن ارتكاب الجرائم وممارسة الرذائل. فإن ثورة كهذه تكون بمثابة الانتحار وتعريض النفس للتهلكة وهذا ما ينهانا القرآن الكريم عن تنفيذه بقوله: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة..﴾.

وفي غير هذه الصور المدرجة أعلاه يكون الخروج مع توفر الشرائط المذكورة عملاً واجباً لابد من انجازه؛ لأن سلامة الدين الأصيل المتجسد بمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وحفظ شيعتهم متوقفاً عليه. ولذا أشار الإمام أبو عبدالله (عليه السلام) لهذا بقوله: لازال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارج من آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، ولوددت أن الخارجي من آل محمد خرج وعليَّ نفقة عياله..

وبهذه الوجوه الأربعة تم رفع التعارض وإثبات صحة نظرية الانتظار الإيجابي لانسجامها مع النصوص إنسجاماً تاماً، فتأمل.

ذكر معوقات وموانع الجهاد

قال الله في محكم كتابه: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم

وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجٰرة تخشون كسـادها ومسٰكـن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله والجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ [١].

وقال عزّ من قائل: ﴿فرح المخلّفون بمقعدهم خلّف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذيـن لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله...﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتـحملهم قـلت لا أجـد مـا أحملكم عليه تولوا وعينهم تفيض من الدمع حزناً إلّا يجدوا ما ينفقون﴾ [٤].

أشارت هذه النصوص إلى الموانع التي تعترض سبيل الجهاد ولخصتها في موانع حقيقية ومفتعلة.

فأما الحقيقية فهي: الضعف والعجز والمرض وانعدام الوسائل والأسـلحة الكافية، وكذا الفقر والأنوثة، والعمى والعرج الذي أشارت لهما آيات ونصوص غير هذه.

فهذه مجمل الموانع الحقيقية التي أقرها الشارع المقدس وأسقط الجـهاد عن المتصفين بالأوصاف المذكورة أعلاه، ولكن أوجب عليهم الدفاع عن النفس ما أمكنهم فيما إذا تعرضوا لعدوان ولا يوجد من يحميهم منه.

وأما الموانع المفتعلة فهي كثيرة لا حصر لها حـيث أنـها تشـمل جـميع

---

١) سورة التوبة، آية ٢٤.
٢) سورة التوبة، آية ٨١.
٣) سورة التوبة، آية ٩١.
٤) سورة التوبة، آية ٩٢.

المنافع والمصالح الشخصية والأمور الدنيوية التي أشارت الآيات لبعضها، والتي اتخذها المتخلفون ذرائع وحجج لتبرير قعودهم وتخلفهم عن الجهاد، وأتفه هذه المعاذير ما اعتذر به البعض بأن الحر مانعهم من المشاركة به.

وقد وبخ القرآن هذه النماذج المتخاذلة ووصفها بالفسق والجهل، وحذّرها من العواقب الوخيمة التي ستقودها إلى حياة الذل والهوان، ولعلها تعرّض جميع المكاسب التي حرصت عليها للخطر.

وتحقق فعلاً ما تنبأ به القرآن الكريم حيث خسر هؤلاء المتخلفون جميع الأشياء التي اتخذوا منها ذرائع لتبرير تخلفهم وقعودهم.

ففي العراق مثلاً حين اعتلى النواصب وأعداء الدين منصة الحكم أواخر الستينات حذر العلماء المجاهدون الأحرار من الخطر العظيم الذي سيطوي التشيّع ويجتث جذوره عما قريب، من جراء استلام العصابة الطائفية الحاقدة مقاليد الحكم.

ولكن وللأسف الشديد ذهبت تحذيرات العلماء ودعواتهم الصريحة لمكافحة الخطر البعثي المحدق بالإسلام أدراج الرياح، ولم تلقى الأذن الصاغية؛ لأن الرأي العام الشيعي انخدع بشعارات السلطة البراقة المتسمة بالوطنية ومكافحة الجاسوسية، وبسياستها المرائية المبطنة التي ظاهرها رعاية الشعائر الدينية والحسينية، وباطنها الكفر والنفاق المفعم بالحقد والكراهية للإسلام والتشيّع بصورة خاصة..

فكانت السلطة البعثية الحاقدة في بداية أمرها تذيع من خلال وسائل إعلامها المسموعة والمرئية المراثي الحسينية وقصة مقتل الحسين (عليه السلام) يوم العاشر من المحرم بهدف كسب مشاعر الجماهير الشيعية، وإبعادها عن علمائها ومراجعها العظام الذين فرضت عليهم السلطة الحاقدة الاقامة الجبرية في

أماكن تواجدهم ومنعتهم من الاتصال بقواعدهم الشعبية لئلّا تنكشف مقاصدها الخبيثة، ومخططاتها الاجرامية الرهيبة الهادفة إلى تصفية معالم التشيّع في العراق من خلال اتصال القيادة بقواعدها الشعبية، ومن ثم احلال الخط الناصبي الوهابي المعادي لأهل البيت (عليهم السلام) محله.

واستمر حزب الكفر والضلال يمارس سياسته المرائية حتى تركزت دعائم حكمه، وتوسعت قاعدته الجماهيرية بشكل ملحوظ نتيجة المكر والخداع. فعندها شرع الحزب بتنفيذ مخططه الجهنمي في تصفية علماء الدين المجاهدين، والمراجع العظام، والحوزة العلمية في النجف الأشرف، والحركة الإسلامية، والشعائر الحسينية، بشكل تدريجي تحت شعار لا جاسوس على أرض العراق، ذلك الشعار الذي اتخذ غطاءً لانجاز مخططه الإجرامي السالف الذكر..

وقد أشرنا سالفاً بشكل مفصل إلى مراحل تنفيذ المخطط البعثي في تصفية جميع معالم التشيّع ضمن العوامل المساعدة على تركيز مفهوم الانتظار السلبي فلا حاجة لذكرها ثانية هنا، بل نكتفي بالإشارة إلى النتائج المأساوية التي أفرزها المخطط البعثي بصورة موجزة..

فبعد مضي عشر سنوات على بدء التنفيذ التدريجي للمخطط المذكور بدأت بوادر الشر والدمار تلوح في آفاق العراق الجريح، فهُجر مئات الآلاف من أبنائه البررة إلى إيران بحجة التبعية الإيرانية، وسقط العشرات من علمائه الأفذاذ شهداء برصاص الحقد البعثي، وفي طليعتهم الشهيد محمد باقر الصدر وأُخته العلوية الطاهرة بنت الهدى، وعدد غير قليل من شهداء آل الحكيم، والتهمت نيران الحروب التي سعّرها النظام البعثي ضد جاريته إيران والكويت أكثر من مليوني إنسان عراقي معظمهم من الشيعة الموالين لأهل البيت (عليهم السلام).

وبعد حرب الخليج مباشرة حصلت الانتفاضة الشيعية العارمة التي أججت

أحقاد النظام البعثي الدفينة ضد الشيعة الإمامية، وجعلته يستخدم أشد وسائل بطشه وحشية، وأكثرها إجراماً، وأبشعها فتكاً وتنكيلاً.

وأصبح النظام الحاقد كالثور الهائج لا يدري كيف يطفئ غليل حقده، فأخذ يقصف المدن الشيعية بصواريخه البعيدة المدى، وبمدفعيته الثقيلة ويصب عليها نار حقده بكثافة وبشكل عشوائي بحيث لم يسلم منها حتى الأطفال الأبرياء، فأحدث مجازر رهيبة لم يشهد التاريخ لها نظيراً.

وجاء الحصار الاقتصادي بعد حرب الخليج ليزيد الضحايا، ويركز مأساة الشعب العراقي أكثر فأكثر فارتفع عدد القتلى بسبب المرض والمجاعة إلى أكثر من ثلاثة ملايين شخص.

فكانت المحصلة النهاية من جراء تنفيذ المخطط البعثي الاجرامي هي، إزالة معالم التشيّع، والغاء الشعائر الحسينية، وتحطيم ركائز الاقتصاد العراقي، واستنزاف طاقاته العسكرية والبشرية بشكل لم يعد العراق قادراً على حماية حدوده والدفاع عنها..

وفي هذه الأيام يحوك حزب الكفر والضلال مؤامرة جديدة بالتعاون مع أسياده الأمريكان والصهاينة، وهي توطين ثلاثة ملايين فلسطيني في جنوب العراق وشماله ليسد بذلك الفراغ البشري الذي أحدثته الحروب والتصفيات الدموية الرهيبة، وليمكن الصهاينة من انجاز مخططاتهم التوسعية، وفرض حلولهم الاستسلامية المذلة على البلدان العربية..

وكان حاصل المتخاذلين من جراء قعودهم وتخلفهم عن الجهاد الدفاعي كما ترى خسران جميع الأشياء التي اتخذوها مبرراً لاستسلامهم وتخاذلهم. فلا تجارة، ولا مساكن فارهة، ولا أخوّة، ولا مال، ولا بنين، بل راح الكثير منهم يبحث في المزابل ليعثر على لقمة خبز يسد بها رمقه. وبهذه النتيجة المأساوية

خسر أصحاب نظرية الانتظار السلبي الدنيا والآخرة..

صحيح ان أصحاب نظرية الانتظار الإيجابي خسروا أيضاً منافعهم الدنيوية، وقدموا الكثير من الشهداء إلّا أنهم لم يتخلفوا عن أداء واجباتهم الشرعية، ووظائفهم الإنسانية والرسالية، ونالوا بذلك غفران الله ورحمته ورضوانه، وعاشوا حياة العز والسؤدد، وماتوا كراماً وسوف يحشرهم الله مع محمد وآله الأطهار (ص)، ويشملهم بلطفه ورضوانه في دار الخلد والنعيم الدائم الذي لا انقضاء له..

الركيزة الثالثة هي الصبر وتحمل الصعاب

والركيزة الثالثة لمفهوم الانتظار الإيجابي هي الصبر الذي جعله الله ضماداً للجروح النازفة التي يصاب بها المجاهدون في ساحة الجهاد، او مناديل رحمة يجفف بها دموع الثكالى اللواتي فقدن أزواجهن وأبنائهن، أو اليتامى الذين فقدوا آبائهم شهداء في سبيل الله، فكان الصبر يسلي هؤلاء جميعاً ويبعث فيهم الأمل بحسن العواقب فما هي إلّا أيام قلائل ثم يلتحقوا بأعزتهم الذين قتلوا في سبيل الله في جنات النعيم حيث الخلود الدائم الذي لا يزول..

ومثلما كان الصبر وتحمل الصعاب ركيزة لمفهوم الانتظار السلبي كما مرّ ذلك، كان أيضاً من ركائز الانتظار الإيجابي كما سنذكره في هذا البحث، فكيف أصبح هذا الأمر مشتركاً بين مفهومين متعارضين في مسارتهما النظرية والتطبيقية؟

وجواباً على هذا السؤال نقول باختصار: إن منشأ الاختلاف بينهما بالرغم من وحدة الموضوع يعود إلى اختلاف معتنقي المفهومين في فهم معنى الصبر

وتحمل الصعاب.

فأصحاب مفهوم الانتظار السلبي فسروا النصوص الداعية للصبر في زمن الغيبة الكبرى بمعنى الخنوع والاستسلام للحاكم الجائر مهما ارتكب من جرائم ومآثم؛ لأن تفشي الظلم، وانتشار الفساد كما أسلفنا يؤدي بنظرهم إلى تعجيل فرج القائم، وتمهيد الأرضية الصالحة لقيام نهضته. ولكن هذا الفهم بالإضافة إلى أنه لا ينسجم مع نصوص القرآن والسنة النبوية المتواترة، أنه فهم قاصراً لم يستوعب مفهوم الصبر كما هو، وإنما فسره المتخاذلون بما يتفق مع حالتهم النفسية المتداعية، وعزائمهم الخائرة، وكواهلهم المثقلة بمعاناة ومشاق سني الجهاد المؤلمة. فأراد هؤلاء المنهكون أن يجدوا لأنفسهم ذرائع ومبررات يبرروا بها خنوعهم واستسلامهم، فرأوا بعض الروايات الداعية إلى طاعة الحاكم الجائر وعدم الخروج عليه، والمختصة بظرف معين فعمموها على كل الظروف والأوقات واتخذها ذريعة للقعود والتخاذل. ثم عززوها بسوء فهمهم لكثير من المفاهيم الإسلامية كالصبر والتقية، ونسجوا منها لأنفسهم نظرية واهية لا تمت للإسلام بصلة ليبرروا بها حالة انزوائهم وابتعادهم عن ساحة الجهاد وترك أجل واجباتهم الشرعية، ووظائفهم الرسالية.

ولا أدري كيف استساغ هؤلاء مثل هذا المفهوم مع علمهم بأن الله عزّوجلّ إنما يثيب الصابرين على ما تحملوا من الشدائد والمصاعب والمصائب من جراء جهادهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وطاعتهم لله، وصبرهم عن معصيته، ولا يمكن أن يثيب الله من تخلى عن أهم واجباته الدينية، وأطاع ملوك زمانه في معصية الله، ولم يدفع الشر عن الإسلام والمسلمين، ولم ينصر المظلوم منهم، أو يغيث المستغيثين من شدة الظلم والجور..

فأصحاب نظرية الانتظار السلبي أساؤوا فهم الصبر وشوهوا صورته

الجميلة الحسنة بقلب معانيه رأساً على عقب. بينما فسر أصحاب نظرئة الانتظار الإيجابي الصبر تفسيراً موضوعياً ينسجم مع معانيه الحقيقة المطابقة لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المتواترة. وسترى عزيزي القارئ صدق ما ذهبنا إليه من خلال مطالعتك لمضامين بحث الركيزة الثالثة المدرج أدناه.

ذكر سمات الصابرين وصفاتهم

قال الله تعالى: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربّهم وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿الذين صبروا وعلى ربّهم يتوكّلون﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿إلّا الّذين صبروا وعملوا الصالحات...﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيّون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ [٤].

منحت هذه النصوص جملة من الصفات والسمات للصابرين فعرّفتهم بأنهم يبذلون الأنفس والأموال ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾، ويقيمون الصلاة وينفقون الصدقات سراً وعلانية ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾، ويعملون الصالحات، ويصمدوا في ساحات الجهاد، ولا يظهرون الضعف والاستكانة لما أصابهم من جراء الجهاد بل يصبرون وعلى ربهم يتوكلون.

وهذا النمط من المؤمنين حاز رضى الله وحبّه، لأنه اهتدى بهديه، واقتدى

---

١) سورة الرعد، آية ٢٢.
٢) سورة النحل، آية ٤٢.
٣) سورة هود، آية ١١.
٤) سورة آل عمران، آية ١٤٦.

بنبيه، وجاهد في سبيله، فنال الدرجات الرفيعة والمقامات السامية، وأحب الله وغمره بفيض رحمته وغفرانه.

وفي تفسير هذه النصوص قال الفيض الكاشاني: والذين صبروا على القيام بأوامر الله، ومشاق التكاليف وعلى المصائب في النفوس والأموال، وعن معاصي الله ابتغاء وجه ربهم طلباً لرضاه، وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعونها بها فيجازون الإساءة بالإحسان، ويتبعون الحسنة السيئة فتمحوها.[1]

وقال: الذين صبروا على أذى الكفر ومفارقة الوطن وعلى ربّهم يتوكلون، يفوضون إليه الأمر كله.[2]

وقال: إلّا الذين صبروا في الشدة على الضراء إيماناً بالله واستسلاماً لقضائه وعملوا الصالحات فى الرخاء شكراً لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة وأجر كبير.[3]

وقال: ... فما وهنو لما أصابهم في سبيل الله فما فتروا، ولم ينكسر جدهم من قتل من قتل منهم، وما ضعفوا في الدين وعن العدو، وما استكانوا وما خضعوا للعدو وهو تعريض بما أصابهم عند الأرجاف بقتله (ص).[4]

ونقل الفيض الكاشاني عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية بقوله: بيّن الله سبحانه أنه لو كان قتل (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كما أرجف بذلك يوم أحد لما أوجب ذلك أن يضعفوا ويهنوا كما لم يهن من كان مع الأنبياء

---

١) تفسير الصافي، ٣: ٦٧.
٢) تفسير الصافي، ٣: ١٣٦.
٣) تفسير الصافي، ٢: ٤٣٤.
٤) تفسير الصافي، ١: ٣٩٠.

بقتلهم والله يحب الصابرين فينصرهم في العاقبة ويعظم قدرهم.[١]

اختبار المؤمنين وتميز الصابرين منهم

قال الله في محكم كتابه: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون * اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولما يعلم الله الّذين جٰهدوا منكم ويعلم الصّابرين﴾[٣].

قال الفيض الكاشاني في تفسير هذه الآيات: «ولنبلونكم ولنصيبنكم إصابة المختبر هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشّر الصابرين أي بالجنة كما مرّ».

وفي نهج البلاغة إن الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب ويقلع ومقلع ويتذكر متذكّر ويزدجر مزدجر.

وفي الإكمال عن الصادق (عليه السلام) إن هذه علامات قيام القائم يكون من الله عزّ وجلّ للمؤمنين قال بشيء من الخوف من ملوك بني أمية في آخر سلطانهم والجوع بغلاء أسعارهم ونقص من الأموال فساد التجارات وقلّة الفضل ونقص من الأنفس الموت الذريع ونقص من الثمرات بقلة ريع ما يزرع وبشّر

---

١) تفسير الصافي، ١: ٣٩١.
٢) سورة البقرة، الآيات ١٥٥ـ١٥٧.
٣) سورة آل عمران، آية ١٤٢.

الصابرين عند ذلك بتعجيل خروج القائم (عليه السلام) ثم قال هذا تأويله إن الله عزّ وجلّ يقول وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم.[1]

وقال في تفسير قوله تعالى: «الذين إذا أصابتهم مصيبة في الحديث كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون».

وفي نهج البلاغة، إن قولنا إنّا لله إقرار على أنفسنا بالملك وقولنا إنّا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك.

وفي المجمع: عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلقاً صالحاً يرضيه، وقال: قال: من أصيب بمصيبة فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله يوم أصيب.

وفي الكافي، عن الباقر (عليه السلام): ما من عبد يصاب بمصيبة فيسترجع عند ذكره المصيبة ويصبر حين تفجأه إلّا غفر الله له ما تقدم من ذنبه، وكل ما ذكر مصيبة فاسترجع عند ذكره المصيبة غفر الله له كل ذنب فيما بينهما.[2]

وقال في تفسير قوله تعالى: «أم حسبتم بل أحسبتم يعني لا تحسبو أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولما يجاهد من يجاهد ويصبر من يصبر منكم».

العياشي عن الصادق (عليه السلام) في هذه الآية قال: إن الله هو أعلم بما هو مكونه قبل أن يكونه، وهم ذر، وعلم من يجاهد ممن لا يجاهد، كما أنه يميت خلقه قبل أن يميتهم ولم يرهم موتهم وهم أحياء.[3]

---

١) تفسير الصافي، ١: ٢٠٤.

٢) تفسير الصافي، ١: ٢٠٤، الكافي، ٣: ٢٤٤.

٣) تفسير الصافي، ١: ٣٨٦.

ـ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنما يبتلي المؤمن في الدنيا على قدر دينه، أو قال: على حسب دينه.[١]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: ان في كتاب علي (عليه السلام) ان أشد الناس بلاء النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل، وإنما يبتلي المؤمن على قدر أعماله الحسنة فمن صح دينه وصح عمله اشتد بلائه وذلك ان الله عزّوجلّ لم يجعل الدنيا ثواباً لمؤمن، ولا عقوبة لكافر، ومن سخف دينه وضعف عمله قلّ بلائه، والبلاء أسرع إلى المؤمن المتقي من المطر إلى قرار الأرض.[٢]

أشارت النصوص إلى أن الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين على قدر إيمانهم بشتى أنواع البلاء كالنقص بالأموال والأنفس والثمرات والخوف والجوع والمصاعب والنوائب ليمحصهم ويرسخ إيمانهم، ويجعلهم أصلب عود أو أقوى عزيمة، وأشد شكيمة، كي يؤهلهم لمواجهة المصاعب الشائكة، والشدائد المذهلة، والمصائب المفجعة، والظروف الحالكة فيصبروا عليها فيزيدهم ثواباً وأجراً، ويرفع درجاتهم حتى يضعهم في مصاف الأنبياء والأولياء والصالحين.

وتشتد الحاجة إلى الاختبار والامتحان في عصر ما قبل الظهور حيث تكثر الفتن وتكون كقطع الليل المظلم، وتنتشر البدع، ويزداد البلاء أضعاف مضاعفة، فما لم يكن المؤمن قد مرّ باختبارات وامتحانات صعبة عسيرة لا يستطيع أن يواجه الفتن والبدع وأمواج البلاء المبرم في آن واحد بقوة واقتدار.

وفي عصر ما قبل الظهور يتضائل عدد المؤمنين ويصبح المؤمن أعز من الكبريت الأحمر من جراء اشتداد الفتن وتفشي البلاء وانتشار الظلم والجور والفساد. فلم يبقى من المؤمنين إلّا من امتحن الله قلبه بالإيمان فصار كالجبل

---

١) الكافي، ٢: ٣٥٣.

٢) علل الشرائع، ٤٤، الكافي، ٢: ٢٥٩.

الأصم لا تهزه الزعازع، ولا تؤثر فيه العواصف العاتية، ولا تفت في عضده الشدائد والمصاعب مهما كثرت وتعاظم خطرها.

فهؤلاء المؤمنون الصابرون الذين عركتهم الأحداث، وعجنتهم الشدائد، واشتازوا جميع الاختبارات بنجاح تام هم الذين سيكونوا جنود القائم المنتظر (عليه السلام)، وقادة جيشه، وأركان دولته، وحماة دعوته. وهم أعلم الناس بأهل زمانهم، وأزهدهم، وأتقاهم وأرسخهم إيماناً.

ففائدة الاختبار والامتحان تعود على المؤمنين الصابرين بالدرجة الأُولى حيث توجد فيهم الكفائة التي تمكنهم من انجاز جميع واجباتهم الدينية والرسالية، وممارسة الأعمال الصالحة في الدنيا، وترفع شأنهم ومقامهم في الآخرة..

دواعي الصبر وموجباته ودرجات الصابرين

قال الله في محكم كتابه الكريم: ﴿يا أيها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلّكم تفلحون﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿يا بنيّ أقيم الصّلاة وآمر بالمعروف وانهَ عن المنكر وآصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأُمور﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿... إلّا الّذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ، وتواصوا بالصّبر﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿فاصبر على ما يقولون...﴾ [4].

---

١) سورة آل عمران، آية ٢٠٠.
٢) سورة لقمان، آية ١٧.
٣) سورة العصر، آية ٣.
٤) سورة ق، آية ٣٩، وسورة طه، آية ١٣٠.

وقال تعالى: ﴿فاصبر إنّ وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿وآمر أهلك بالصّلاة وآصطبر عليها...﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ثم انّ ربّك للّذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثمّ جٰهدوا وصبروا إن ربّك من بعدها لغفورٌ رحيم﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿إلّا الّذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة وأجر كبير﴾ [٤].

وفي تفسير هذه الآيات المباركات نقل العياشي جملة من الروايات، منها:

ـ عن مسعدة، عن صدقة، عن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿واصبروا...﴾ يقول: عن المعاصي و ﴿صابروا﴾ على الفرائض و ﴿اتقوا الله﴾ يقول: آمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ثم قال: وأيّ منكر أنكر من ظلم الأمة لنا، وقتلهم إيّانا: و ﴿رابطوا﴾ يقول: في سبيل الله ونحن السبيل فيما بين الله وخلقه، ونحن الرباط الأدنى، فمن جاهد عنّا فقد جاهد عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وما جاء به من عند الله ﴿لعلّكم تفلحون﴾ يقول: لعلّ الجنة توجب لكم ان فعلتم ذلك، ونظيرها من قول الله ﴿ومن أحسن قولاً﴾ ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، ولو كانت هذه الآية في المؤذنين كما فسّرها المفسرون لفاز القدرية وأهل البدع معهم.[٥]

ـ عن ابن أبي يعفور عن عبدالله (عليه السلام) في قول الله: ﴿يا أيها الّذين

---

١) سورة غافر، آية ٥٥ و ٧٧.
٢) سورة طه، آية ١٣٢.
٣) سورة النحل، آية ١١٠.
٤) سورة هود، آية ١١.
٥) العياشي، ١: ٢١٢، البحار، ٧: ١٣٥، البرهان، ١: ٣٣٥، الصافي، ١: ٣٢٣.

آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ قال: اصبروا على‌الفرائض، وصابروا على المصائب، ورابطوا على الأئمة.[١]

ـ عن أبي بصير، قال: سئلت أبا الحسن (عليه السلام) عن قول الله عزّوجلّ: ﴿يا أيها الّذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ قال: اصبروا على المصائب وصابروهم على التقية، ورابطوا على ما تقتدون به ﴿واتقوا الله لعلّكم تفلحون﴾ [٢].

ـ عن هشام بن الحكم، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قول الله عزّوجل: ﴿إنّما يوفّي الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ [٣].

ـ عن الأصبغ بن نباتة قال: قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): الصبر صبران: صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عليك.[٤]

ـ عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على‌المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله [له] ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة، كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى

---

١) العياشي، ١: ٢١٢، البرهان، ١: ٣٣٥، البحار، ٧: ١٣٥.
٢) البرهان، ١: ٣٣٤.
٣) الكافي، ٢: ٧٥، الوسائل، ١١: ١٨٦.
٤) الكافي، ٢: ٩٠، الوسائل، ١١: ١٨٧.

العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة مـا بـين درجـة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش.[١]

ـ عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره فى الدنيا دخل الجنة (الحديث).[٢]

ـ عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): يا حفص إنّ من صبر صبراً قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً، ثمّ قال: عليك بـالصبر فـي جـميع أمورك، فإن الله عزّوجلّ بعث محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فأمره بالصبر والرفق، فقال: ﴿وآصبر على مـا يـقولون واهـجرهم هـجراً جـميلاً * وذرنـي والمكذّبين أولى النعمة﴾[٣]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ادفـع بـالّتي هـي أحسـن [السيئة] فإذا الّذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقيها إلّا الّـذين صبروا وما يلقيها إلّا ذو حظٍّ عظيم﴾[٤]، فـصبر رسـول الله (ص) حـتى نـالوه بالعظائم ورموه بها[٥]، فضاق صدره، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك وكن من الساجدين﴾[٦]، ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فانّهم لا يكذّبونك ولكنّ الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذّبت رسل من قـبلك فصبروا على ما كذبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾[٧]، فألزم النـبي (ص) نـفسه الصبر، فتعدّوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذّبوه، فقال: قد صـبرت فـي نـفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿ولقد خـلقنا

---

١) الكافي، ٢: ٩١، الوسائل، ١١: ١٨٧.
٢) الكافي، ٢: ٨٩.
٣) سورة المزّمل، آية ١٠.
٤) سورة فصّلت، آية ٣٥.
٥) أي الكذب والجنون.
٦) سورة الحجر، الآيات ٩٧ ـ ٩٨.
٧) سورة الأنعام، آية ٣٣.

السمٰوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسّنا من لغوب * فاصبر على ما يقولون﴾ [١]، فصبر النبي (ص) في جميع أحواله ثم بشّر في عترته بـالأئمة ووصفوا بالصبر، فقال جلّ ثناؤه: **﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لمّـا صـبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾** [٢]، فعند ذلك قال (ص): الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد...[٣].

ان النصوص المذكورة ذكرت الموارد التي توجب الصبر وتحمل المشاق، كالصبر على طاعة الله وإقامة الفرائض، واجتناب معاصيه، وعدم طاعة مخلوق في معصيته، والصبر على ما يلقى المؤمنون من الأذى والمتاعب من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما تجلى ذلك في وصية لقمان لولده، وجعل الله ذلك من عزم الأمور.

وكذا يحسن الصبر على ما يواجه المؤمنون من الشدائد والمصاعب فيما إذا أرغموا بالهجرة إلى بلد آخر فراراً بدينهم وعقائدهم، أو الصبر على ما يفقدون من أعزتهم سواء في دار الهجرة أو في ساحات الجهاد في سبيل الله. ومعنى هذا ان الصبر يكون مع العمل والمثابرة، لا مع الكسل والخنوع والاستسلام، والإقرار بالواقع المر المفعم بالمآسي والمنكرات والسلبيات الغير متناهية..

فهذه الأمور المذكورة في النصوص أعلاه هي التي تستوجب الصبر لا ما يزعم أصحاب نظرية الانتظار السلبي بأن الصبر يعني الخضوع والاستسلام للحاكم الجائر، والسكوت عما يقترفه من جرائم ومآثم، وغض النظر عن المنكرات، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتخلي عن الواجبات

---

١) سورة ق، آية ٣٨.
٢) سورة السجدة، آية ٢٤.
٣) الكافي، ٢: ٨٨.

الدينية، والمهام الرسالية إذا اقتضى الأمر ذلك.

لقد جسد الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته جميع معاني الصبر تجسيداً عملياً في ساحة الجهاد البطولي ضد طاغية عصره يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، حيث قدم أنصاره، وأخوته وأبنائه بما فيهم الطفل الرضيع قرابين على مذبح الحرية وهو صابراً محتسباً. ولم تمنعه كثرة القرابين، وأعظم النوائب والمصاعب عن مواصلة جهاده الدامي، بل استمر فيه ببسالة، ورباطة جأش، وشجاعة فريدة حتى لاقى مصرعه الفجيع الذي اهتزت له أركان عرش الله أسى وحزناً، أبكى السماء والأرض دماً عبيطاً...

وكانت الحوراء زينب (عليها السلام) هي القدوة الحسنة للمرأة الصابرة المجاهدة التي واجهت المصاعب والنوائب بصمود منقطع النظير، وصبر فاق صبر الأنبياء المرسلين..

فهي شاهدت قتل أخوتها وأبنائها، وحرق خيامها، وسحق اليتاما تحت حوافر الخيول، وسلب بنات الرسالة وسبيهنّ معها في أرث وأسوأ حال، ووقوفها في دواوين الطغاة مقيدة بالحبال والأغلال، وشاهدت إمام عصرها وابن أخيها سيد الساجدين وهو مربّط على ظهر الناقة والجامعة في عنقه، فيالها من مشاهد مأساوية تبكي الصخور دماً، وتفتت عزائم الرجال الأشداء، وتهد الجبال لهولها وشدتها، ومع ذلك لم تفتر عزيمتها، ولم يضعف إيمانها، بل وقفت بكل قوة وصلابة لتحاجج أعداء الله، وتفند أكاذيبهم، وتميط اللثام عن أبشع ما ارتكبوه من الجرائم بحق أهل بيت النبوّة (عليهم السلام)، وأخس المآثم والرذائل المنكرة التي كادت أن تشوه صورة الإسلام الناصعة لولا نهضة أخيها الحسين (عليه السلام)، وجهادها البطولي، وصبرها الذي أذهل الصبر نفسه..

فالإمام الحسين (ع) وأخته الحوراء زينب كانا خير من جسّدا معاني

الصبر على صعيد الواقع العملي المحسوس.

الركيزة الرابعة لمفهوم الانتظار الإيجابي هي التقية

الركيزة الرابعة لمفهوم الانتظار الإيجابي هي التقية التي طالما اتخذها أعداء أهل البيت (عليهم السلام) ذريعة للتشهير بمذهبهم، والطعن بشيعتهم باعتبارهم منافقين يظهرون ما لا يضمرون، متناسين ان القرآن الكريم أشار صراحة إلى مفهوم التقية، وأجاز العمل به، وذكر بعض مصاديقه المتجسدة في أصحاب الكهف، وعمار بن ياسر، الذي اضطر بسبب التعذيب القاسي أن ينال من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ويظهر الكفر ويضمر الإيمان.

ثم تجاهل هؤلاء عن عمد أحكام الضرورة والاضطرار، وما أكره المؤمن على فعل ما لا يرتضيه، أقول ما لا يؤمن بصحته، كالسنة السيئة الصيت المتمثلة في شتم الإمام علي (عليه السلام) والبراءة منه التي فرضها معاوية بن أبي سفيان على المسلمين عامة والشيعة خاصة بالإكراه، وهدد من لا يعمل بها بالقتل، وقتل العشرات بل المئات من أصحاب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي طليعتهم حجر الخير وأصحابه لأنهم رفضوا العمل بسنته الباطلة المبتدعة.

وفي نفس الوقت الذي أمر فيه معاوية بالعمل بسنته المبتدعة منع الرواة من ذكر الأحاديث التي تذكر مناقب علي وأهل بيت النبوّة (عليهم السلام)، ومزاياهم الفريدة التي ذكرها الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في مواطن شتى، وأوصى الأمة باتباعهم باعتبارهم عدل القرآن ومجسديه بصورة عملية، وأنهم أعلم المسلمين بأحكامه وعلومه، وأنهم المعصومين من الزلل بنص آياته المحكمات..

وحول هذا المنع قال ابن أبي الحديد في كتابه (شرح نهج البلاغة): روى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع عماله بعد عام الجماعة[١]: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً في فضل أبي تراب وأهل بيته، فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً، ويبرؤون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذٍ أهل الكوفة، لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سميّة، وضم إليه البصرة، فكان يتتبّع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبق فيها معروف منهم.[٢]

ولم تختصر اجراءات معاوية التعسفية على ذلك فحسب، بل أمر عماله أيضاً أن لا يجيزوا للشيعة شهادة في محاكمهم القضائية، وأن يمحوا اسم كل شيعي لم يبرء من دين عليّ (ع) من ديوان العطاء، وأن ينكلوا به وبأفراد أسرته وقبيلته، وأن يهدموا عليه داره...[٣].

وواجه الشيعة مثل هذه الظروف الإرهابية في زمن خلافة العباسيين وما بعدها إلى يومنا هذا. ففي هذه الأوقات العصيبة المشحونة ظلماً وخوفاً وإرهاباً اضطر الشيعة إلى ممارسة التقية كأسلوب للعمل الرسالي والنشاط الإسلامي لئلّا يمنحوا أعدائهم فرصة التنكيل بهم وتصفية قواعدهم المجاهدة الواعية.

فالتقية ليست نفاقاً كما يصورها الكتّاب المأجورون المتصيدين في الماء

---

١) عام الجماعة: أطلق بنو أمية هذا الاسم على السنة التي بايع الفاس فيها معاوية بعد الصلح.

٢) شرح نهج البلاغة، ١١: ٤٤.

٣) الطبري، ٥: ٢٧٩، البداية والنهاية، ٨: ١٤١، الكامل في التاريخ، ٣: ٤٨٧، شرح نهج البلاغة، ١١: ـ ٤٤ ـ ٤٥، وابن الأثير أيضاً في كامله، ٣: ١٩٢، والأغاني، ١٦: ٩، والشيعة في التاريخ، ١٤٩.

العكر، الذين ما فترت أقلامهم المسمومة الحاقدة لحظة واحدة عن الطعن بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وإثارة الشبهات والشكوك من حوله، وإنما التقية كما أسلفنا أسلوب عمل يتخذه المجاهدون غطاءً لنشاطاتهم الإسلامية المحذورة في عصور القهر والإرهاب الحالكة..

ونقول بعبارة أوضح ان التقية تعني مراعات الأوضاع السياسية السائدة، والعمل بمقتضى تلك الظروف المشبعة خوفاً ورعباً، بهدف الحفاظ على خط الولاء لأهل البيت (عليهم السلام)، وإدامة نهجه، رغم كل العقبات الشائكة التي تعترض سبيله..

فالتقية بناءً على هذا تكون العمل بمقتضى الظرف، فإذا حصل إنفراجاً فيه توسع النشاط الإسلامي وأصبح علنيّاً بالحد المسموح به، وإذا تأزمت الأوضاع واتسمت بالعنف والإرهاب تقلص العمل ومال للسرية والكتمان، افي هذا العمل نفاق كما يزعم الكتّاب المأجورون؟

فالطعن بمفهوم التقية يعني الطعن بالقرآن الكريم، والسنّة النبويّة المتواترة وليس الطعن بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) فحسب.

ألا يتبصّر هؤلاء الحاقدون الذين أعمى الحقد بصائرهم وجعلهم يتخبطون خبط عشواء وينقضون ما يكتبونه في تفاسيرهم وكتب الفقه والحديث حول التقية وأحكام الإكراه والاضطرار بأنفسهم.

ولسنا الآن بصدد الردّ على هؤلاء الحاقدين، وإنما أردنا أن نعطي فكرة موجزة عن مفهوم التقية وشرعية العمل به، وشرح مضامينه وذكر موارده وكيفية استعماله من قبل أصحاب نظرية الانتظار الإيجابي في عصور القهر والإرهاب فقط لا في كل الأوقات بصورة مطلقة، ومن ثم نذكر ما يجوز ارتكابه تقية وما لا يجوز..

تعريف التقية

للتقية تعريفين لغوي واصطلاحي، فأما اللغوي فهو بمعنى الحذر، فإذا قال القائل: اتقيت الشيء وتوقيته تقاء، يعني حذرته، وخشيت منه.[١]

واستعمل لفظ التقية غالباً في الحذر من غوائل الناس، والتقوى استعمل في الخوف والخشية والحذر من عقاب الله عزّ وجلّ.

وقال الإمام علي (عليه السلام) في تعريفها لغوياً: التقية معاملة الناس بما يعرفون وترك ما ينكرون حذراً من غوائلهم.[٢]

وأما التعريف الاصطلاحي للتقية هو أن يظهر المرء خلاف الواقع في مجالي العقائد والأحكام الدينية سواء كان الخلاف فعلاً أو قولاً خوفاً وحذراً على النفس او المال او العرض.

وفيما يلي سننقل جملة من تعاريف العلماء السنّة والشيعة لها:

ـ قال الشيخ أبو زهرة في تعريفها: أن يخفي الشخص ما يعتقد دفعاً للأذي.[٣]

ـ وقال في تعريفها ابن حجر العسقلاني بأنها: الحذر من اظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير.[٤]

ـ وعرفها السرخسي بأنها: أن يقي الإنسان نفسه من العقوبة بما يظهره،

---

١) لسان العرب، ١٥: ٤٠٢.

٢) عوالي اللآلي، ١: ٤٣٢، جامع أحاديث الشيعة، ١٤: ٥١٥، مستدرك الوسائل، ١٢: ٣٣٧.

٣) محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، ٢٥٥. ٤) فتح الباري، ١٢: ٢٧٩.

وإن كان يضمر خلافه.[١]

ـ وقال الشيخ الأنصاري في تعريفها: إنها التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالفاً للحق.[٢]

ـ وعرفها محمد رشيد رضا في تفسير المنار بقوله: ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق لأجل توقي الضرر.[٣]

وخلاصة هذه التعاريف هي: أن يظهر الإنسان من العقائد والأمور الدينية خلافاً لما يضمر دفعاً للأذى والضرر عن النفس والمال والعرض.

شرعية العمل بالتقية

الأدلة القرآنية والروائية:

١ ـ قال الله في محكم كتابه: ﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾ [٤].

قال الفيض الكاشاني في تفسيره الصافي نقلاً عن القمي:

القمي: إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان فهو عمار بن ياسر أخذته قريش بمكة فعذبوه بالنار حتى أعطاهم بلسانه ما أرادوا وقلبه مطمئن بالإيمان وقوله ولكن من شرح بالكفر صدراً فهو عبدالله بن سعد بن أبي سرح بن الحارث بن لؤى قال: وكان عاملاً لعثمان بن عفّان على مصر.

ثم قال بعد نقل القول المذكور:

---

١) المبسوط، ٢٤: ٤٥.
٢) رسالة التقية، ٣٧.
٣) تفسير المنار، ٣: ٢٨.
٤) سورة النحل، آية ١٠٦.

أقول: قصة عمار على ما روته[١] المفسّرون في شأن نزول هذه الآيـة أن قريشاً أكرهوه وأبويه ياسر وسميّة على الارتداد فأبى أبواه فقتلوهما وهما أول قتيلين في الإسلام، وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرهاً فقيل يا رسول الله إن عمار كفر فقال كلّا إن عمار أملئ إيماناً من قرنه إلى مقدمه، واختلط الإيـمان بلحمه ودمه، فأتى عمار رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وهو يبكي فجعل النبي (ص) يمسح بعينيه وقال: ما لك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت.[٢]

وجاء في الكافي: عن علي بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة قال: قيل لأبي عبدالله (عليه السلام): إنّ الناس يروون أنّ عليّاً (عليه السلام) قال على منبر الكوفة: يا أيها الناس إنّكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني، ثم تدعون إلى البراءة منّي فلا تبرؤوا منّي.

فقال: ما أكثر ما يكذهب الناس على علي (عليه السلام)، ثمّ قال: إنّما قال: إنكم ستدعون إلى سبّي فسبّوني، ثم ستدعون إلى البراءة منّي وإني لعـلى ديـن محمد؛ ولم يقل: لا تبرؤوا منّي. فقال له السـائل: أرأيت إن اخـتار القـتل دون البراءة؟

فقال: والله ما ذلك عليه وما له إلّا ما مضى عليه عمار بن يـاسر حـيث أكرهه أهل مكّة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إلّا من أكره وقلبه مطمئن...﴾ فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عندها: يا عمار، إن عادوا فعد

---

١) الصحيح: ما رواها...

٢) تفسير الصافي، ٣: ١٥٧، البحار، ١٩: ٩٠، الجامع لأحكام القرآن، ١٠: ١٨٠ ـ ١٨٤، ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، ٢: ٥٨٧، الفخر الرازي في التفسير الكبير، ٢٠: ١٢١، تفسير الميزان، ١٢: ٣٥٧، مجمع البيان، ٦: ٣٨٧، الطبقات الكبرى، ٣: ٢٤٩، تاريخ بغداد، ١: ١٥٠.

فقد أنزل الله عزّ وجلّ عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا.[١]

٢ ـ وقال عزّ من قائل: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه: أتقتلون رجلاً أن يقول ربّي الله﴾[٢].

نقل الفيض الكاشاني في (الصافي) حول هذه الآية عن الرضا (عليه السلام) قوله: كان ابن خاله وفي خبر آخر كان ابن عمّه كما يأتي، يكتم إيمانه، القمي قال: كتم إيمانه ستمائة سنة.

وفي المجمع عن الصادق (عليه السلام) التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له، والتقية ترس الله في الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الإسلام لقتل.[٣]

٣ ـ وقال تعالى: ﴿لا يتخذوا المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا أن تتقوا منهم تقاة، ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[٤].

قال العلّامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان): وفي الآية دلالة ظاهرة على الرخصة في التقية على ما روي عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام).[٥]

وفي البحار الرواية التالية، عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: وأما الرخصة التي صاحبها فيها بالخيار فإن الله نهى المؤمن أن يتخذ الكافر ولياً، ثم منَّ عليه بإطلاق الرخصة له عند التقية في الظاهر، أن يصوم بصيامه ويفطر بإفطاره ويصلّي بصلاته ويعمل بعمله، ويظهر له استعمال ذلك، موسعاً عليه فيه،

---

١) الكافي، ٢: ٢١٩، قرب الاسناد، ٨، الوسائل، ١١: ٤٧٦.
٢) سورة المؤمن، آية ٢٨.
٣) تفسير الصافي، ٤: ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
٤) سورة آل عمران، آية ٢٨.
٥) تفسير الميزان، ٣: ١٥٣.

وعليه أن يدين الله تعالى في الباطن بخلاف ما يظهر لمن يخافه من المخالفين المستولين على الأمة. ثم ذكر الآية وقال: فهذه رخصة تفضل الله بها على المؤمنين رحمة لهم ليستعملوها عند التقية في الظاهر.[١]

٤ ـ ووردت في القرآن الكريم آيات غير هذه تشير إلى أن الله عزّ وجلّ رفع عن أمة محمد (ص) الحرّج وما اضطرت إليه من تناول الميتة ولحم الخنزير في سبيل الحفاظ على النفس الإنسانية من الهلكة.

وهذه النصوص هي:

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾[٢].

﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إنّ الله غفورٌ رحيم﴾[٣].

﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربّك غفورٌ رحيم﴾[٤].

﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفورٌ رحيم﴾[٥].

وأما الروايات الدالة على ذلك فكثيرة جداً نذكر بعضها:

فقد روى الصدوق بسنده عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): رفع عن أمتي تسعة: الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه، وما لا يطيقون، وما لا يعلمون، وما اضطروا إليه والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة.[٦]

وروي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: ليس شيء مما حرّم الله إلّا وقد

---

١) البحار، ٧٥: ٣٩٠.
٢) سورة الحج، آية ٧٨.
٣) سورة البقرة، آية ١٧٣.
٤) سورة الأنعام، آية ١٤٥.
٥) سورة النحل، آية ١١٥.
٦) الصدوق في التوحيد، ٣٥٣، والبحار، ٢ : ٢٨٠، الخصال، ١٧، ورواه الكليني في الكافي، ٢ : ٤٦٣، باختلاف يسير.

أحله لمن اضطر إليه.[١]

وفي الكافي عن الحسن الصقيل قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إنّا قد روّينا عن أبي جعفر في قول يوسف (عليهما السلام): «أيتها العير إنكم لسارقون»؟ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، وقال إبراهيم (عليه السلام): «بل فعله كبيرهم هذافاً سألوهم إن كانوا ينطقون».

فقال: والله ما فعلوا وما كذب، قال: فقال أبو عبدالله (عليه السلام): ما عندكم فيها يا صقيل؟

قال: فقلت: ما عندنا فيها إلّا التسليم، قال: فقال: إن الله أحبّ اثنين وأبغض اثنين: أحبّ الخطر فيما بين الصفين، وأحبّ الكذب في الاصلاح، وأبغض الخطر[٢] في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الاصلاح.

إن إبراهيم (عليه السلام) إنما قال: «بل فعله كبيرهم هذا» إرادة الاصلاح ودلالة على أنهم لا يفعلون، وقال يوسف (عليه السلام): إرادة الاصلاح.[٣]

وخلاصة هذه النصوص أمور:

١ ـ ان من أكره على فعل أو قول ما لا يعتقد بصحته كإظهار الكفر لفظاً، أو متابعة من يخشى منه على نفسه في الصيام والصلاة جائزاً له بشرط أن يضمر الإيمان، في قلبه ويعمل في الباطن خلاف ما عمله ظاهراً.

٢ ـ يجوز للفرد المؤمن أن يكتم إيمان ولا يدعو له إذا خشي على نفسه الموت، وكذا يجوز له أن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين ظاهراً. كما

---

١) كمال الدين، ٣٧٤، ابحار، ٧٥: ٤١٠، جامع أحاديث الشيعة، ١٤: ٥١٦.

٢) الخطر: يعني التبختر في المشي.

٣) الكافي، ٢: ٣٤١ـ ٣٤٢، البحار، ١٢: ٥٥.

فعل مؤمن آل فرعون وأصحاب الكهف.

٣ ـ التقية لا تعني الإقرار بالوضع القائم والخضوع له وترك العمل الجهادي، وإنما المراد منها مجارات الظروف السياسية ظاهراً، والعمل من أجل اصلاح الأمور بأسلوب سري وحسب ما تسمح به الظروف السائدة.

ذكر بقية النصوص الداعية للتقية

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: يا أبا عمر، انّ تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له.[١]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: اتقوا الله على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له، الحديث.[٢]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: التقية ترس الله بينه وبين خلقه.[٣]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال: اتقوا على دينكم فاحجبوه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقية له، الحديث.[٤]

ـ قال أبو عبدالله (عليه السلام): سمعت أبي يقول: لا والله ما على وجه الأرض شيء أحب إليَّ من التقية، يا حبيب إنه من كانت له تقية رفعه الله، يا حبيب من لم تكن له تقية وضعه الله، الحديث.[٥]

---

١) الكافي، ٢ : ٢١٧، المحاسن، ٢٥٩، الوسائل، ١١ : ٤٦٠.

٢) الكافي، ٢ : ٢١٨، المحاسن، ٢٥٢، الوسائل، ١١ : ٤٦١.

٣) الكافي، ٢ : ٢٢٠، الوسائل، ١١ : ٤٦٢.

٤) الكافي، ٢ : ٢١٨، المحاسن، ٢٥٧، الوسائل، ١١ : ٤٦١.

٥) الكافي، ٢ : ٢١٧، المحاسن، ٢٥٦، الوسائل، ١١ : ٤٦١.

آراء علماء المسلمين وصحابة الرسول (ص) في التقية

ـ ابن مسعود: ما من كلام يدرأ عني سوطين من ذي سلطان إلّا كنت متكلماً به.[١]

ـ جابر بن عبدالله الأنصاري قال: لا جناح عليَّ في طاعة الظالم إذا أكرهني عليها.[٢]

ـ الفخر الرازي والنيسابوري: تجوّز التقية لصون المال ـ على الأصح ـ كما تجوّز لصون النفس.[٣]

ـ ابن عباس: التقية باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان، ولا يبسط يده للقتل[٤].

ـ الشاطبي: أنكر على الخوارج قولهم: ان التقية لا تجوز في قول ولا فعل على الاطلاق والعموم، ووصف ذلك بأنه مخالف لكليات شرعية أصلية وعملية.[٥]

ـ وكان حذيفة يقول: فتنة السوط أشد من فتنة السيف، قال السرخسي: وكان حذيفة ممن يستعمل التقية.[٦]

ـ ابن الحنفية (الرجل من عزة): لا تفارق الأمة، اتق هؤلاء القوم بتقيتهم، ولا تقاتل معهم (قال الراوي: يعني بني أمية)، قال: قلت: وما تقيتهم؟ قال:

---

١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٠: ١٨٠، ومصنف ابن أبي شيبة، ٧: ٦٤٣.
٢) السرخسي، المبسوط، ٢٤: ٤٧.
٣) التفسير الكبير، ٨: ١٣، والنيسابوري في هامش تفسير الطبري، ٣: ١٧٨ ـ ١٧٩.
٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ١٢: ٢٧٩.
٥) الموافقات، ٤: ١٨٠.
٦) المبسوط، ٢٤: ٤٦.

تحضرهم وجهك عند دعوتهم فيدفع الله بذلك عنك عن دمك ودينك، وتصيب من مال الله الذي أنت أحق به منهم.[١]

ـ الجصاص: وقوله تعالى: ﴿إلّا أن تتقوا منهم تقاة﴾ يعني أن تخافوا تلف النفس وبعض الأعضاء، فتتقوهم باظهار الموالاة من غير اعتقاد لها، وهذا هو ظاهر ما يقتضيه اللفظ، وعليه الجمهور من أهل العلم.[٢]

ـ عن أبي ذر (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال له: كيف أنت إذا بقيت في قوم يؤخرون الصلاة؟! ثم قال: صلّ الصلاة لوقتها ثم انهض فإن كنت في المسجد حتى تقام الصلاة فصلّ معهم.[٣]

ـ الحسن البصري: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة إلّا في قتل النفس التي حرّم الله.[٤]

العقل يحكم بوجوب التقية في تفادي الضرر

ليس الشارع المقدس لوحده يقر التقية ويحث على ممارستها لحماية النفس ودفع الضرر عنها فحسب، بل العقل هو الآخر يعدّها من الضرورات الحياتية الموجبة لسلامة الإنسان وديمومة وجوده، ويلزمه بضرورة الدفاع عن نفسه باستخدام التقية إذا عجزت الوسائل المتاحة عن تحقيق ذلك.

فحكم الشرع والعقل في هذه المسألة واحد لا اختلاف فيه، والسبب في

---

١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥ : ٩٦.
٢) الجصاص، أحكام القرآن، ٢ : ٩.
٣) مسند أحمد، ١٦٨.
٤) فتح الباري، ١٢ : ٢٧٩، التفسير الكبير، ٨ : ١٣، الجامع لأحكام القرآن، ٤ : ٥٧، مصنف بن أبي شيبة، ٧ : ٦٤٣.

ذلك يعود إلى أن الإسلام دين الفطرة، والإنسان بطبعه مفطور على الهرب من مواطن الخطر، وتوقي الضرر ما أمكن من دون أن يحثه على ذلك أحد، فهذا هو سبب التوافق بين الشرع والعقل..

فإذا عجز الإنسان أن يدفع عن نفسه الضرر ويضمن سلامتها بالوسائل الميسورة، وبالعوامل الاجتماعية المؤثرة يجد نفسه ملزماً بمداراة ومجاملة من يخاف ضرره، ويخشى سطوته، ويحذر منه على نفسه، ولعلّه يتظاهر له بالخضوع والاقرار بفعل أو قول ليتقى شره وعدوانه.

وهذا ما يفعله العقلاء إذا ما استوجب الأمر ذلك. ففي العراق مثلاً لما جاءت حكومة البعث المستبدة الجائرة فرضت مبادئ حزبها على الناس بالإكراه، وامتنعت عن توظيف وتسهيل أمور المواطنين غير البعثيين، وعدم قبولهم في المدارس والكليات، مما اضطر الكثير منهم بالتظاهر بالاعتقاد بالبعثية ومجارات الأوضاع حتى يتسنى لهم تمشية أمورهم، فالبعض منهم نجح في ممارسة التقية بشكل صحيح، والبعض الآخر تخلّى عن عقائده الإسلامية وإنساق وراء البعث الجائرة بهدف تحقيق مصالحه، وإشباع شهواته الحيوانية..

فالتقية بمنطق العقل وسيرة العقلاء لا تعني عدم الدفاع عن النفس والرضوخ لمشيئة الخصم كي يفعل ما يريد كما يتصور أصحاب نظرية الانتظار السلبي، وإنما هي أيضاً تحث الإنسان على الدفاع عن نفسه ولكن بأسلوب مغاير لأسلوب القوة واستخدام العوامل الاجتماعية المؤثرة في ردع الخصم ودفع شروره.

ذكر موارد ما يجوز فيها التقية

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) في رسالته إلى أصحابه قال: وعليكم

بمجاملة أهل الباطل، وتحملوا الضيم منهم، وإياكم ومماظتهم، دينوا فيما بينكم وبينهم إذا أنتم جالستموهم وخالطتموهم ونازعتموهم الكلام بالتقية التي أمركم الله أن تأخذوا بها فيما بينكم وبينهم، الحديث.[١]

ـ وعن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال ـ في حديث له ـ: ... واستعمال التقية في دار التقية واجب، ولا حنث ولا كفارة على من يحلف تقية يدفع بذلك ظلماً عن نفسه.[٢]

ـ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به.[٣]

ـ عن محمد بن مسلم و زرارة قالا: سمعنا أبا جعفر (عليه السلام) يقول: التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم فقد أحلّه الله له.[٤]

ـ وفي تفسير العياشي: عن عمرو بن مروان الخراز قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): رفعت عن أمتي أربع خصال: ما اضطروا إليه، وما نسوا، وما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا... الحديث.[٥]

ـ عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال لأحد أصحابه: ... وآمرك أن تستعمل التقية في دينك فإن الله يقول: ﴿**لا يتخذ المؤمنون... إلّا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ وقد أذنت لكم في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه، وفي إظهار

---

١) الروضة، ٢، الوسائل، ١١: ٤٦٢.

٢) الخصال، ٢: ١٥٢، عيون الأخبار، ٩: ٥/٦، الوسائل، ١١: ٤٦٤.

٣) الوسائل، ١١: ٤٦٨، الكافي، ٢: ٢١٩.

٤) الكافي، ٢: ٢٢٠، الوسائل، ١١: ٤٦٨، مرآة العقول، ٩: ١٨٣، ما رواه الحواريون، ٣: ٥٥٣.

٥) تفسير العياشي، ١: ١٦٠، الوسائل، ١١: ٤٧٠.

البراءة إن حملك الوجل عليه، وفي ترك الصلوات[١] المكتوبات ان خشيت على حشاشة نفسك الآفات والعاهات، فإن تفضيلك أعداءنا عند خوفك لا ينفعهم ولا يضرّنا، وإن إظهارك براءتك منّا عند تقيتك لا يقدح فينا ولا ينقصنا ولئن تبرء منّا ساعة بلسانك وإنك موال لنا بجنانك لتبقى على نفسك روحها التى بها قوامها... الحديث.[٢]

ـ عن معاذ بن مسلم النحويّ، عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: بلغني أنّك تقعد في الجامع فتفتي الناس؟ قلت: نعم، وأردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج، إني أقعد في المسجد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء فإذا عرفته بالخلاف لكم أخبرته بما يفعلون، ويجيء الرجل أعرفه بمودّتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه ولا أدري من هو، فأقول: جاء عن فلان كذا وجاء عن فلان كذا، فادخل قولكم فيما بين ذلك، قال: فقال لي: اصنع كذا، فإنّي كذا أصنع.[٣]

ـ عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): إني أقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألوني فإن لم أجبهم لم يقبلوا منّي، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم، فقال لي: انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك.[٤]

ـ عن بريد بن معاوية قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحجّ، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال

---

١) المراد ترك ما زاد على الايماء، لما تقدم في صلاة الخوف وغيره، الوسائل، ١١: ٤٧٩.
٢) الاحتجاج، ١٢٤، تفسير العسكري، ٦٩، الوسائل، ١١: ٤٧٩.
٣) رجال الكشي، ١٦٤، الوسائل، ١١: ٤٨٢.
٤) رجال الكشي، ٢١٢، الوسائل، ١١: ٤٨٢.

له يزيد: أتقرّ لي أنّك عبد لي إن شئت بعتك، وإن شئت استرققتك ـ إلى أن قال ـ فقال له يزيد: إن لم تقرّ لي والله قتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إيّاي بأعظم من قتل الحسين (عليه السلام)، قال: فأمر به، فقُتل، ثمّ أرسل إلى عليّ بن الحسين (عليه السلام) فقال له مثل ما قاله للقرشيّ، فقال له علي بن الحسين (عليه السلام): أرأيت إن لم أقرّ لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس؟ فقال له يزيد: بلى، فقال له علي بن الحسين: قد أقررت لك بما سألت، أنا عبد مكره، فإن شئت فامسك، وإن شئت فبع، فقال له يزيد: أولى لك، حقنت دمك، ولم ينقصك ذلك من شرفك.[1]

ـ قال أبو عبدالله (عليه السلام): ما بغلت تقية أحد تقية أصحاب الكهف، إن كانوا يشهدون الأعياد، ويشدّون الزّنانير، فأعطاهم الله أجرهم مرّتين.[2]

ـ عن هشام الكنديّ قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: إيّاكم أن تعملوا عملاً نعير به، فإن ولد السوء يعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً، ولا تكونوا عليه شيئاً، صلّوا في عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم، والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخباء، قلت: وما الخباء؟ قال: التقية.[3]

ـ عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): خالطوهم بالبرانية،

---

١) الروضة، ٢٣٤، الوسائل، ١١: ٤٩٧.
٢) الكافي، ٢: ٢١٨، الوسائل، ١١: ٤٧١.
٣) الكافي، ٢: ٢١٩، الوسائل، ١١: ٤٧١.

وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الأمرة صبيانية.[١]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: رحم الله عبداً اجتر مودّة الناس إلى نفسه فحدّثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون.[٢]

لخصت هذه النصوص موارد جواز التقية في أمرين:

الأمر الأول: يجوز للمؤمن ذكراً كان أو أُنثى أن يظهر الكفر لفظاً بسب الأنبياء والبراءة منهم على أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان كما تقدم ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿... **إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾، ويجوز له بالإضافة إلى ذلك أن يجامل أهل الباطل ويخالطهم ويجالسهم، ويحدّثهم بما يعرفون وترك ما ينكرون أو يكرهون، وأن يحضر صلاة جماعتهم، ويعود مرضاهم، ويحضر مراسم احتفالاتهم وإن كانت باطلة مفعمة بالنصب والعداء لأهل البيت (عليهم السلام)، وأن يقيم معهم علاقة صميمية ويكسب ودهم جهد إمكانه ولا يعتزلهم، وأن يظهر لهم شيئاً من عقائده الولائية لأهل البيت (عليهم

---

١) الكافي، ٢: ٢٢٠، الوسائل، ١١: ٤٧١.

وجاء في هامش الكافي تعريف وتوضيح وشرح لألفاظ الحديث المذكور: في النهاية في حديث سلمان «من أصلح جوّانيه أصلح الله برانيه» أراد بالبراني العلانية والألف والنون من زيادات النسب كما قالوا في صنعاء صنعاني وأصله من قولهم: خرج فلان براً، أي خرج إلى البرّ والصحراء وليس من قديم الكلام وفصيحه، وقال أيضاً في حديث سلمان: إن لكل امرئ جوانياً وبرانياً: أي باطناً وظاهراً، أو سراً وعلانية وهو منسوب إلى جوالبيت وهو داخله وزيادة الألف والنون لتأكيد، انتهى. والأمرة بالكسر: الإمارة، والمراد بكونها صبيانية كون الأمير صبياً أو مثله في قلة العقل والسفاهة، أو المعنى أنه لم يكن بناء الإمارة على أمر حق بل كانت مبنية على الأهواء الباطلة كلعب الأطفال. والنسبة إلى الجمع تكون على وجهين، أحدهما أن يكون المراد النسبة إلى الجنس فيرد إلى المفرد، والثاني أن تكون الجمعية ملحوظة فلا يرد وهذا من الثاني إذ المراد التشبيه بإمارة يجمع عليها الصبيان. الكافي، ٢: ٢٢٠ ـ ٢٢١، بالهامش.

٢) الخصال، ١: ١٥، الوسائل، ١١: ٤٧١.

السلام) لئلّا يفتضح أمره بالرفض فيعتزلونه وعندئذٍ يسهل تصفيته ومن يلوذ به والتخلص منه بدون مشقة.

والعمل بهذا النمط من أنماط السلوك المستوحى من مفهوم التقية لا يكون إلّا في ظرف خاص يستوجبه، وهو حالة استثنائية غير طبيعية لا يعمل بها المؤمن إلّا إذا وجد نفسه مهدداً بالقتل إن لم يعمل بها. وهذا ليس خروج من الدين ولا مخالفة شرعية، ولا نفاقاً كما يتصوّر البعض، بل هو الدين عينه، لأن لكل الأحكام الأولية أحكاماً ثانوية مشتقة منها تراعي حالة المكلف والظروف المحيطة به.

ثم ان العمل الرسالي والدعوة إلى الحق يستوجبان النشاط الإسلامي في وسط كهذا وإن كان مغموراً بالنصب والضلال، إذ لعل المؤمن يستطيع من خلال تواجده فيه أن يهدي بعض أفراده وينتشلهم من عالم الظلمات إلى عالم النور، ويزرع نواة حية للتشيّع في قلب مجتمع غارق في الظلم والظلام. وهذا عمل في غاية الأهمية؛ لأن هداية فرد أو أفراد تكون بمثابة إحياءً لهم، ومن أحيا نفساً كمن أحيا الناس جميعاً كما وصفه القرآن الكريم. وعبّر الرسول الكريم (ص) عن أهمية هذا العمل بقوله: يا علي لو هدى الله بك شخصاً واحداً خير لك ممن طلعت عليه الشمس أو غربت، أو خير لك من حمر النعم، ولذا قال في حديث آخر في أبواب العشرة: إن أقربكم منّي غداً أقربكم من الناس.

وإن اضطر المؤمن في وسط كهذا أن يحلف بشيء كذباً لدفع الضرر والظلم عن نفسه فلا شيء عليه، ولا حنث ولا كفارة، وهذا ما يسهل عمل الداعية في مثل هذه الأوساط المعادية، أو قل الحالات الوقتية الطارئة وإن امتد أمدها.

الأمر الثاني: يجوز للمؤمن أيضاً أن يفعل ما اضطر إليه، أو أكره عليه؛ لأن الضرورات تبيح المحذورات، والإكراه حالة نادرة خارجة عن إرادته وقدرته؛ لذا

برئه الله وعفى عنه، لأنه مضطر ومكره.

وللاضطرار والإكراه أحكام مفصلة، من شاء فليراجعها لها في كتب الفقه، ليطلع على تفاصيلهما المختصة بهما. ففعل هذان الأمران تـقية لا يـعد مـخالفة شرعية، بل أنهما ضمن إطار الشرع ومطابقان له مطابقة حـرفية لا ريب فـيها. وهذا ما فعله علي بن الحسين (عليهما السلام) حيث أكره على الإقرار بالرقية لألد خصومه يزيد بن معاوية وهو قاتل أبيه، من أجل أن ينقذ نفسه من الموت المحتم. وبذا استطاع الإمام أن يحافظ على وجوده المـقدس كـإمام مـفترض الطاعة مكلف بهداية الناس لطريق الحق والصواب حـتى يـحل مـوعد أجـله وتتمهد الأرضية المناسبة للإمام الذي يليه ليحل مـحله وهكـذا دواليك. وبـذا تكون التقية واحد من العوامل المهمة التي تساهم في استمرار الديـن الأصـيل المتجسد بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وبقائه حياً إلى قيام الساعة بـرغم ظروف القهر والاستبداد.

موارد عدم جواز التقية فيها

ـ وباسناده عن الأعمش، عن جعفر بن محمد (عليه السلام) في (حديث شرايع الدين) قال: ولا يحلّ قتل أحد من الكفار والنّصاب في التقية إلّا قاتل أو ساع في فساد وذلك إذا لم تخف على نفسك وعلى أصحابك، الحديث.[1]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) ـ في حديث ـ أنه قال: لا دين لمن لا تقية له، والتقية في كل شيء إلّا في النبيذ والمسح على الخفين.[2]

ـ عن زرارة قال: قلت له: في مسح الخفين تقية؟ فقال: ثلاثة لا أتقى فيهن

---

١) الخصال ٢: ١٥٣، الوسائل، ١١: ٤٦٤.

٢) الكافي، ٢: ٢١٧، الوسائل، ١١: ٤٦٨.

أحد: شرب المسكر، ومسح الخفين، ومتعة الحج، قال زرارة: ولم يـقل الواجب عليكم أن لا تتقوا فيهنّ أحداً.[١]

ـ عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذا بلغ الدم فليس تقية.[٢]

ـ عن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو عبدالله (عليه السلام): لم تبق الأرض إلّا وفيها منّا عالم يعرف الحقّ من الباطل، وقال: إنما جعلت التقية ليـحقن بـها الدّم، فإذا بلغت التقية الدّم فلا تقية، وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا لقلتم لا نفعل إنما نتقى، ولكانت التقية أحب إليكم من آبائكم وأُمهاتكم، ولو قد قـام القـائم مـا أحتاج إلى مسائلتكم عن ذلك، ولأقام في كثير منكم من أهل النفاق حدّ الله.[٣]

صرّت هذه النصوص بجواز التقية في كـل شـيء مـاعدا شـرب النـبيذ المسكر، والمسح على الخفين في الوضوء، ومتعة الحج، وإن كانت التقية لا تقي الإنسان من القتل وسفك دمه حينئذٍ لا تقية ولا خضوع، بل يجب على المؤمن رجل كان أو امرأة أن يدافع عن نفسه ومن يـلوذ بـه، أو عـن بـيضة الإسـلام وجماعة المسلمين إذا عزم الحاكم الجائر على قتلهم وسـفك دمـائهم فـيما إذا أصرّوا على التمسك بدينهم وعقائدهم الحقة.

فللتقية حدود رسمها الشارع المقدس، فإذا اشتازها أعداء الديـن يـجب على المؤمنين مقاومتهم والوقوف بوجههم وإلّا سينالوا سخط الله وحجته عـلى خلقه. فلابد أن يعرف المؤمن مواطن التقية، وموارد عدم جوازها حتى لا يقع في

---

١) الكافي، ٣: ٣٢، الوسائل، ١١: ٤٦٩.

٢) الكافي، ٢: ٢٢٠، مرآة العقول، ٩: ١٨٢، ما رواه الحواريون، ٣: ٥٢٢، الوسائل، ١١: ٤٨٣.

٣) التهذيب، ٦: ١٧٢، الوسائل، ١١: ٤٨٣.

محذور لأن المؤمن مجاهد يجاهد أعداء الله عزّوجلّ في دولة الباطل بالتقية، وفي دولة الحق بالسيف كما أشار لذلك الإمام الصادق (عليه السلام).[١]

وانتقد الإمام الرضا (عليه السلام) جماعة من المؤمنين وحجبهم عن بابه؛ لأنهم أساؤوا فهم التقيـة، ولم يحسنـوا استعمالها، فسألـوه فقالوا: يا ابن رسول الله (ص)، ما هذا الجـفاء العـظيم والاسـتحقاق بـعد الحـجاب الصـعب؟ قـال: لدعـواكـم أنكـم شيعة أمـيـرالمـؤمنين (عـليه السـلام) وأنـتـم فـي أكـثـر أعمـالكم مخالفون ومقصّرون في كثير من الفرائض، وتتهاونون بـعظيم حـقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لابـدّ مـن التقية.[٢]

فالتقية سارية المفعول ما لم تنزل بالإسلام نازلة، فإذا هدّد الإسلام خطر جي فيجب على المؤمنين أن يبذلوا أموالهم وأنفسهم دفاعاً عنه، كما أشار لذلك أميرالمؤمنين في وصيته لأصحابه حيث قال: إذا حضرت بليّة فاجعلوا أموالكم دون أنفسكم، وإذا نزلت نازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أنّ الهالك من هلك دينه، والحريب من حرب دينه، إلّا وأنه لا فقير بعد الجنة، إلّا وأنه لا غني بعد النار، لا يفك أسيرها، ولا يبرأ ضريرها.[٣]

هذا في عصر الغيبة، أما إذا قام القائم ودعا المسلمين لنصرته فلابدّ مـن اسـتجابة ندائه والانضـواء تـحت لوائـه وإلّا سـيوصمـون بـالكفـر والنـفاق، وسيقيم المهدي (عج) الحدّ عليهم لارتدادهم عن الإسـلام ويـعدم اسـتجابتهم لداعي الله.

---

١) علل الشرائع، ١٠٦، الوسائل، ١١: ٤٦٤.
٢) الاحتجاج، ٢٤٣، الوسائل، ١١: ٤٧٠.
٣) الكافي، ٢: ٢١٦، الوسائل، ١١: ٤٥١.

كيفية ممارسة التقية من قبل الأئمة (ع) وأصحابهم

كانت السلطات الأموية والعباسية الجائرة التي اغتصبت الخلافة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تحذر منهم أشد الحذر، وتخشى من تسرّب علومهم وأفكارهم وأحاديثهم التي تبين مناقبهم وفضائلهم ومنزلتهم الرفيعة لدى الله، وأحقيتهم بمنصب الخلافة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

ولذا بذلت تلك السلطات الغاشمة كل مساعيها، وسخرت كل امكانياتها لغرض خلق الموانع وإيجاد الحجب النفسية التي تمنع جمهور المسلمين من الاتصال بالأئمة الأطهار (عليهم السلام) والاصغاء لهم لئلّا تنكشف بواطن الأمور، وتظهر الدواعي الحقيقية وراء اندفاع خلفاء السوء في اضطهاد الأئمة (ع) ومريديهم؛ لأن إظهار الحقائق التي تسلّط الأضواء على جرائم الحكام ومآثمهم، وبطلان حكومتهم وعدم شرعيتها يؤدي حتماً إلى زعزعة ثقة المسلمين بهم وعدم الانصياع لهم، وربما يترتب على تفشي هذه الحالة حصول الكثير من حركات التمرد والعصيان بين أتباعهم. ولا ريب في أن هذا يشكل خطراً على مناطق نفوذهم، ويجعل حكمهم عرضة للأخطار في كل آن.

وتفادياً لهذا الخطر المحتمل اتخذت تلك السلطات اجراءات وقائية تمثلت في شن حرب نفسية مكثفة ضد أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم، وفرض نطاق العزلة عليهم، وبث مئات الجواسيس بين صفوفهم لغرض مراقبة نشاطاتهم واحصاء أنفاسهم.

ان التهم الملفقة، والقصص المختلفة التي نسجتها وسائل الاعلام السلطوية ضمن حربها النفسية شوهت سمعة أهل البيت (عليهم السلام)، وغيّرت معالم

صورتهم النورانية إلى صورة مشوهة تثير الخوف والفزع في نفوس المسلمين، حيث وصفتهم بالخارجين على إمام زمانهم، والساعين إلى إيجاد الفتن والاضطرابات، وتفريق صفوف المسلمين، ونقض حالة الأمن والاستقرار في البلاد.

ففي مثل هذه الظروف العصيبة المفعمة بالخوف والحقد والارهاب، اضطرّ الأئمة (عليهم السلام) أن يمارسوا سياسة التقية بشكل دقيق ليتمكنوا من حفظ أصحابهم، ومواصلة نشاطهم الرسالي في التوجيه والتبليغ والإرشاد في آن واحد.

وكانت ممارساتهم لسياسة التقية تتمثل في الأمور التالية:

أولاً: أكد الأئمة الأطهار (عليهم السلام) على أصحابهم بضرورة ممارسة التقية كأسلوب للعمل في تلك الأيام الحرجة وذلك بمراعاة الظروف وعدم إظهار الولاء لهم والدعوة لمذهبهم بصورة علنية، وإخفاء نشاطاتهم التبليغية عن أعين أعوان السلطة، وكتم أمر مهم وعدم ذكره للعناصر المشكوك فيها. وهذه بعض النصوص التي أشارت لذلك:

ـ عن مولانا علي بن محمد (عليه السلام) من مسائل داود الصّرمي قال: قال لي: يا داود، لو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً.[1]

ـ وعن الإمام علي بن محمد (عليه السلام) أيضاً، عن آبائه قال: قال الصادق (عليه السلام): ليس منّا من لم يلزم التقية، ويصوننا عن سفلة الرعية.[2]

ـ وبهذا الاسناد قال: قال سيدنا الصادق (عليه السلام): عليكم بالتقية، فإنه

---

١) السرائر، ٤٧١، الوسائل، ١١: ٤٦٦.

٢) مجالس ابن الشيخ، ١٧٦، الوسائل، ١١: ٤٦٦.

ليس منّا من يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه لتكون سجيّة مع من يحذره.[١]

ـ عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: آمرك أن تصون دينك، وعلمنا الذي أودعناك، فلا تبد علومنا لمن يقابلها بالعناد، ولا تفش سرّنا إلى من يشنع علينا، وآمرك أن تستعمل التقية في دينك... الحديث.[٢]

ـ قال أبو عبدالله (عليه السلام): يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله.[٣]

ـ وعن أبي جعفر (عليه السلام) ـ في حديث له ـ أوصى به جماعة فقال: ليقو شديدكم ضعيفكم، وليعد غنيكم على فقيركم، ولا تبثوا سرّنا، ولا تذيعوا أمرنا.[٤]

ثانياً: ممارسة التقية بالفتوى طبق فتاوي العامة إذا لم يكن السائل من شيعتهم، وهذا النمط من الفتاوى خلق لنا مشكلة التمييز بين الحديث الصحيح وغيره من الأحاديث التي صدرت تقية عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في ظروف استوجبت ذلك. ولذا صار المحدثون ملزمون بملاحظة القرائن الحالية والمقالية التي تحف بالحديث كي يتمكنوا من تشخيص الروايات التي صدرت تقية وتميزها عن الروايات الصحيحة التي اعتمد عليها فقهائنا في استنباط الأحكام الشرعية.

وكان حصيلة هذا النوع من الروايات كثيرة منتشرة في كتب الحديث، ومشفوعة بتعليقات فقهائنا الدالة على أنها صدرت تقية لا يلزم العمل بها.

---

١) مجالس ابن الشيخ، ١٨٤، الوسائل، ١١: ٤٦٦.

٢) الاحتجاج، ١٢٤، تفسير العسكري، ٦٩، الوسائل، ١١: ٤٧٨.

٣) الكافي، ٢: ٢٢٢، المحاسن، ٢٥٧، الوسائل، ١١: ٤٨٣.

٤) الكافي، ٢: ٢٢٢، الوسائل، ١١: ٤٨٤.

ولم يختص الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بهذا الأمر، بل أمروا أصحابهم أيضاً بأن يفتوا الناس بما يعرفون من فتاوي فقهائهم، فكان أبان بن تغلب ومعاذ ابن مسلم النحوي وغيرهم يجلسوا في مسجد رسول الله (صلّى الله عـليه وآله وسلّم) ويعملوا ما أمرهم الإمام به.[١]

ثالثاً: أطلق الأئمة الأطهار (عليهم السلام) عـدداً مـن الروايـات فـي ذم أصحابهم المقربين بهدف دفع الأذى عنهم وحفظ نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، لأن السلطات الجائرة كانت تلاحق كل من يتصل بأهل البيت (عليهم السـلام) ويروي حديثهم.

ومن هذه الروايات:

ـ عن عامر بن عبدالله بن جذاعة، قال: قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): ان امرأتي تقول بقول زرارة ومحمد بن مسلم في الاستطاعة، وترى رأيهما؟ فقال: ما للنساء والرأي والقول لها، أنهما ليسا بشيء في ولاية...[٢].

ـ عن أبي الصباح، قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يـقول: يـا أبـا الصباح، هلك المتريسون في أديانهم، منهم: زرارة، وبريد، ومـحمد بـن مسـلم، وإسماعيل الجعفي، وذكر آخر لم أحفظ.[٣]

ـ عن ابن مسكان، قال: سمعت زرارة يقول: رحم الله أبا جعفر، وأما جعفر فإن في قلبي عليه لفتة! فقلت له: وما حمل زرارة على هذا؟

قال: حمله على هذا لأنّ أبا عبدالله (عليه السلام) أخرج مخازيه.[٤]

---

١) رجال الكشي، ٢١٢ و ١٦٤، الوسائل، ١١: ٤٨٢.

٢) رجال الكشي، ١: ٣٩٣، ما رواه الحواريون، ١: ٣٥.

٣) رجال الكشي، ١: ٣٩٤.

٤) رجال الكشي، ١٤٤.

ـ عن مسمع كردين أبي سيارة قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: لعن الله بريد أو لعن الله زرارة.[١]

ـ عن درست ابن أبي منصور الواسطي، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: إن زرارة شك في إمامتي فاستوهبته من ربّي تعالى.[٢]

ـ عن زرارة، قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن أحاديث جابراً فقال: ما رأيته عند أبي قطّ إلّا مرّة واحدة، وما دخل عليَّ قط.[٣]

رابعاً: ومارس أصحاب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) التقية بتوجيه من أئمتهم بالشكل التالي:

فمحمد ابن مسلم الذي عاصر الإمامين الباقر والصادق (عليهما السلام) كان يمارس التقية بشكل جيد ويكتم أمر أهل البيت (عليهم السلام)، ويحفظ سرّهم، ويتظاهر بالولاء لهم خوفاً من بطش طواغيت عصره، وملاحقة أعوانهم، وحفظاً للأمانة، وكتماناً للسرّ.

وأبرز مثال على استعماله للتقية هو حكاية مثوله أمام شريك القاضي لأداء شهادة.

فعندما مثل هو وصاحبه أبو كريبة الأزدي أمام شريك، نظر في وجهيهما مليّاً، ثم قال: جعفريان فاطميان!!

أجابه محمد بن مسلم وهو دامع العين: نسبتنا إلى أقوام لا يرضون بأمثالنا... الخ.[٤]

---

١) رجال الكشي، ١٤٨. ٢) رجال الكشي، ١٥٥.

٣) رجال الكشي، ١٩١.

٤) الاختصاص، ٢٠٢، الكشي، ١: ٣٨٤، البحار، ١١: ٢٢٤.

وعلي بن يقطين أيضاً مارس التقية بأمر إمامه الكاظم (عليه السلام)، بالرغم من كونه وزيراً للرشيد ويعيش معظم أوقاته في بلاطه لم يستطيع أحد أن يكتشف أمره بفضل سياسة التقية التي كان يمارسها.

ومرة قال له الكاظم (عليه السلام): توضأ بوضوء العامة، فامتثل أمره واستمر على هذا الوضوء مدة، فلما وشيه به إلى الرشيد بأنه رافضي ويعتقد بإمامة الكاظم (عليه السلام)، أراد الرشيد أن يرى وضوئه من دون أن يراه، فلما وجده توضأ بوضوئهم قال له: يا ابن يقطين لا أصدق بك واش بعد اليوم.

فبفضل سياسته التي مارسها، استطاع أن يكسب ود الرشيد، وأن يرفع الأذى عن كثير من شيعة آل محمد (ص)، وأن يمدهم بمساعدات مالية كبيرة سدّت حاجة الكثير منهم، وضمنت معيشتهم.

وكان أصحاب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) بصورة عامة يمارسون التقية فلم يتخلّف عن ممارستها أحد منهم، فكانوا في ظروف القهر والخوف والإرهاب لا يفصحون عن أسماء أئمتهم عندما ينقلون عنهم حديثاً ما، فكانوا يستعملون الإشارة أو الكنية أو ذكر صفة من صفاتهم.

فإذا قالوا: أبو زينب المراد به أميرالمؤمنين علي (عليه السلام)، أو قالوا: عن أحدهما، يعنون بذلك أحد الصادقين (ع)، أو قالوا: قال العالم، المراد به أحد الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، أو قالوا: العبد الصالح، المراد به الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، وإذا قالوا: أبا جعفر الأول، المراد به الإمام محمد الباقر (ع)، أو قالوا: أبو جعفر الثاني، المراد به محمد بن علي الجواد (ع)، وأشاروا إلى الحجة بلفظ القائم، لأنهم ممنوعين من ذكر اسمه.

فاستعمال اسلوب الكنى والألقاب والإشارة من قبل الرواة لتعيين الإمام المنقولة منه الرواية كان لغرض التمويه على خصوم أهل البيت (عليهم السلام)

كي لا يعرفوا المصدر الذي صدرت منه الرواية وبذلك يحافظوا على وجود الإمام المقدس ووجودهم، لأنهم لم يعطوا أي دليل يثبت ارتباطهم بأئمة أهل البيت (عليهم السلام).

أضف إلى ذلك أنهم كانوا يستعملون الأساليب البلاغية في أداء وإيصال المعلومات المنقولة شفوياً من الأئمة الأطهار (عليهم السلام) إلى شيعتهم من دون أن يصيبهم ضرر أو أذى ممن يحضر مجالسهم. وهذه الأساليب هي الكناية والتورية والإعارة وغيرها، وأحياناً يمارسون الكذب ويحلفون عليه لكي يخلّصوا أنفسهم من المواقف الحرجة وهم غير مأثومين، لأنهم معفوّين من الحنث والكفارة..

وقفة تأمل

المتأمل بدقة في نصوص التقية المارة الذكر يعلم أنها أسلوباً دقيقاً ناجحاً يمكن المؤمن من إنجاز واجباته الشرعية والإنسانية في أحلك الظروف ظلماً، وأشدها خوفاً وإرهاباً.

فالعامل بالتقية مجاهد علوي لكنه يجاهد بيقضة وحذر وبما يتسع له المجال، وليس قاعد متخاذل، وتارك لواجباته ومسؤولياته كما يتصوّر السذّج من المؤمنين.

وليست التقية عملاً سرياً محضاً تجعل من الشيعة حزباً أو جمعية سياسية سرية معارضة تعمل بالخفاء، وإنما هي أسلوباً للعمل بطريقة حزب الله وبصورة علنية تتناسب مع الظروف السياسية سعة وتضيّقاً، فإذا انفرجت الأوضاع السياسية، وخفّت وطأة الضغط والإرهاب اتسعت دائرة العمل الجماهيري

الإسلامي، وإذا تأزمت الأوضاع السائدة تقلص النشاط وتضيق نطاقه تبعاً لاشتداد الضغوط والإرهاب حتى يصل إلى أضيق نطاق ممكن حيث لا يتجاوز الشخصين، أو لعل المؤمن في تلك الأيام يكتفي بإرشاد نفسه وأفراد عائلته فقط.

وقد يظن البعض أن التقية تنظيماً سرياً ذات قواعد وتعاليم تعين مواصفات القيادة، وتحدد العلاقة بين قواعده وقيادته، إلّا أن النصوص المتعلقة بالتقية تخيب ظنهم حيث لا يستفاد منها هذا المعنى مطلقاً، بل كل ما يستفاد منها هو أن التقية غطاءً واقياً للنشاط الإسلامي في عصر غيبة الإمام القائم (عج)، وتحت ظل حكومات الجور والضلال.

فالتقية بهذا المعنى تعني النشاط والمثابرة وعدم ترك الواجبات الدينية والجهاد الدفاعي، والتبليغ والدعوة للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكن ربما يلجأ الخطيب والمبلّغ الرسالي أحياناً إلى تبطين الكلام وترك الصراحة وعدم وضع النقاط على الحروف كما يفعل في الظروف الطبيعية إذا احتمل ترتب ضرر على ذلك. ففي مثل هذه الظروف الملغومة يجب على المبلّغ والخطيب أن يمارس أساليب البلاغة كالتورية والكناية والإعارة وغيرها حتى يتمكن من إيصال المعاني المقصودة إلى أذهان السامعين دون أن يعطي مبرراً لخصمه يمكنه من تصفية نشاطه وإيذائه..

هذا ما نستشفه من النصوص المختصة بالتقية، وهي كما ترى عزيزي القارئ لا تشل العمل الرسالي، ولا تعطل الطاقات، ولا تدعو إلى التعايش السلمي مع الكفر العالمي والرجعية السائرة في ركابه كما يتصوّر معتنقوا نظرية الانتظار السلبي، بل التقية تنقض مفاهيمهم الاستسلامية التخاذلية، وتثبت صحة نظرية الانتظار الإيجابي لانسجامها مع تعاليم الإسلام ومفاهيمه إنسجاماً حرفياً.

نتيجة البحث وخلاصته

قبل أن ندرج النتيجة المستهدفة من وراء استعمال التقية في عصر غـيبة الإمام القائم (عج)، أو في ظل دولة الباطل لابدّ من ذكر بعض النصوص التـي تشير لذلك:

ـ عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: سلامة الدين وصحة البدن خير مـن المال، والمال زينة من زينة الدنيا حسنة.[١]

ـ قال أبو عبدالله (عليه السلام): كان في وصية أميرالمؤمنين (عليه السلام) لأصحابه: إذا حضرت بليّة فاجعلوا أموالكـم دون أنـفسكم، وإذا نـزلت نـازلة فاجعلوا أنفسكم دون دينكم، واعلموا أن الهالك من هلك دينه... الحديث.[٢]

ـ عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: وآمرك أن تصون ديـنك وعـلمنا الذي أودعناك... الحديث.[٣]

ـ وعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أنه قـال: ولو شـاء لحـرّم عليكم التقية، وأمركم بالصبر على ما ينالكم من أعدائكم عند إظهاركم الحق، ألا فأعظم فرائض الله عليكم بعد فرض موالاتنا ومعاداة أعدائكم اسـتعمال التـقية على أنفسكم وأموالكم ومعارفكم... الحديث.[٤]

أكدت هذه النصوص على ضرورة حفظ الدين والتمسك به، وأنه خير من المال والنفس وبيّنت مراتب الأهمية لكل واحد منهما، فقالت إذا حضرت بـلية

---

١) الكافي، ٢ : ٢١٦، الوسائل، ١١ : ٤٥١.
٢) الكافي، ٢ : ٢١٦، الوسائل، ١١ : ٤٥١.
٣) الاحتجاج، ١٢٤، الوسائل، ١١ : ٤٧٨، تفسير العسكري، ٦٦.
٤) تفسير العسكري، ٢٣٩، الوسائل، ١١ : ٤٧٥.

فعلينا أن نبذل المال دون النفس، والنفس دون الدين؛ لأن الهالك من هلك دينه لا من هلك هو، لذا أوجبت على المؤمنين الجهاد دفاعاً عن الدين حتى في زمن الغيبة، لأن المهم صيانة الدين، ولا خير فى الحياة بدون دين، ولكن يلزم أن يكون الجهاد فى تلك الفترة مقترنة بالتقية لكى يتمكن المجاهدون من إظهار الحق باستمرار وبشكل لا يجلب الضرر لهم.

ونتيجة بحثنا لموضوع التقية هي أن الغاية الأساسية التي استهدفتها التقية هي حفظ الدين الأصيل السالم من التحريف والتشويه المتجسّد بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) وصيانته من الانحلال والاضمحلال من خلال حفظ المجتمع الإسلامي الشيعي بالمواصفات المطلوبة التي ذكرها الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والأئمة الأطهار من أهل بيته (عليهم السلام).

وهذا ما أشار إليه السيد روح الله الموسوي الخميني (ره) في كتابه «الحكومة الإسلامية» بقوله: هذه التقية التي كانت تتخذ لحفظ المذهب من الاندراس، لا لحفظ النفس خاصة.[1]

ومن قول السيد هذا نفهم أن الخميني (ره) من المؤمنين بمفهوم الانتظار الإيجابي والمنظرين له، لأنه آمن بالتقية التي تدعو للجهاد الدفاعي مع التحفظ والحذر، لا بالتقية الداعية إلى الكسل والخنوع، وسعى بجد إلى إيجاد الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة الكبرى ليمهد بذلك لظهور القائم المنتظر (عليه السلام) بصورة عملية.

وقد أفلحت جهوده فعلاً حيث تمكن بعد جهاد طويل دامي من إسقاط أقوى حكومة استبدادية عميلة في منطقة الشرق الأوسط، وأقام محلها حكومة

---

١) الحكومة الاسلامية، ٦١.

إسلامية تسعى لإنجاز نظم الحق والعدل، مضى على تأسيسها أكثر عشرين عاماً.

الركيزة الخامسة لمفهوم الانتظار الإيجابي
هي السعي لإيجاد الحكومة الإسلامية

هذه الركيزة هي آخر ركائز مفهوم الانتظار الإيجابي المراد ذكرها وشرح فقراتها بالتفصيل في هذا البحث. وتمثلت هذه الركيزة بوجوب السعي إلى إيجاد حكومة إسلامية في زمن الغيبة الكبرى تقوم بإنجاز شريعة الله، وإقامة أحكامه، ورفع الظلم والفساد عن عباده، لأن ضمان استمرارية مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وإدامة بقائه حتى ظهور القائم المنتظر (عج) يستوجب إيجادها، إذ لولا وجودها لا يمكن أن نتصوّر لوجوده أي أثر ضمن هذه الأجواء والظروف المشحونة حقداً وعداءً لأهل البيت (عليهم السلام)، والمساعي المحمومة الحثيثة التي يبذلها أعداء الدين بهدف اجتثاث جذور مذهبهم ومحو آثاره قائمة على قدم وساق!!

وبناءً على ما تقدم تكون مسألة إيجاد حكومة إسلامية كمرحلة تمهيدية يتم خلالها اعداد المجتمع الإسلامي الأصيل، وتمهيد الأرضية الصالحة لظهور القائم المنتظر (عليه السلام)، لأن نهضته تعتمد كلياً على وجود جيش عقائدي صلب كامل العدة والعدد، معد مسبقاً، وحاضراً لنصرته حال ظهوره، وإلّا فلا يمكن أن نتصور إيجاد جيش قوي قوامه مئات الآلاف، ومجهز بأحدث الأسلحة، ومدرب عليها تدريب جيد يمكنه من استعمالها بكفائة واقتدار، في غضون لحظات وجيزة.

ثم كيف تسمح قوى الشر والضلال أن يؤلف المهدي (عليه السلام) جيشه

الذي يستهدف سحقها وهي تقف مكتوفة الأيدي تنظر بأم عينها كيف يخطط لأبادتها ومحو وجودها.

إن هذا النوع من التصور غير قابل للتصديق، لأنه عبارة عن أمور خيالية لا يحتمل حصولها بدون اعداد وتمهيد مسبق.

وإذا قيل لنا أن الله تعالى يرعاه بالعامل الغيبي، ويحضر أصحابه المعينين من قبل الله مسبقاً وعددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في ظرف وجيز جداً.

نقول هذا صحيح لا ريب ولا إشكال فيه، حيث أشار الله تعالى له بقوله: ﴿أين ما تكونوا يأتي بكم الله﴾ وصدّقته الروايات المتواترة عن الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام). ولكن الرعاية الغيبية، وإحضار الصحابة شيء، وتأليف جيش قوي مجهز بأحدث الأسلحة وقوامه مئات الآلاف شيء آخر، لأن إيجاد جيش كهذا يتوقف على إيجاد مقوماته ومواد بنائه. فالعامل الغيبي المشار إليه يتعهد بتسديد الجيش وتقوية معنوياته وزرع الخوف والرعب في قلوب أعدائه، وتمهيد الأرضية اللازمة لانتصاره، لا بايجاده وتكوينه من لا شيء كما يتصور البعض من السذّج الذين لم يعوا أبعاد القضية المهدوية بصورة شمولية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى ان حصول هذا الشيء من لا شيء أمر مناف لقانون السببية، ثم لم يسبق له نظير، ولا توجد رواية واحدة تشير إلى أن جيش المهدي (عج) سيؤلف فجئة بطرق الاعجاز في غضون فترة وجيزة.

ثم إذا كان جيش المهدي (عليه السلام) يكون بالاعجاز الإلهي فبماذا نعلل مئات الروايات المستفيضة الصادرة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، والتي تحثنا على ضرورة اعداد ما نستطيع اعداده لاستقبال القائم المنتظر (عليه السلام)؟!

إذن لابدّ من وجود جيش معد مسبقاً قبل ظهوره المبارك (عليه السلام)، ولا يمكن أن نحتمل وجود مثل هذا الجيش خارج إطار حكومة إسلامية ترعاه، وتسعى باستمرار إلى تقوية قدراته القتالية، وتجهيزه بما يحتاجه من المعدات الحديثة المتطورة..

أضف إلى ذلك دليل آخر يوجب وجود حكومة إسلامية في عصر الغيبة أيضاً وهو لو افترضنا أن جهود وجهاد معتنقي مفهوم الانتظار الإيجابي قد أثمرت، وتمكّن هؤلاء المجاهدون من إسقاط حكومة الظلم والضلال، ماذا ستكون الخطوة اللاحقة بعد الإسقاط؟ أيتركوا المجتمع المسلم الموالي لأهل البيت (عليهم السلام) الذين حرصوا على إيجاده يعيش حالة الهرج والمرج والاضطراب بدون حكومة ترعاه وتحقق له الأمن والاستقرار، أم يوجدوا له حكومة؟

فإذا كانت الضرورة الحياتية تقتضي إيجاد حكومة تسعى إلى تطبيق القوانين، وضبط الأمن الداخلي، وحراسة حدود البلد، ورعاية مصالحه، فما نوع تلك الحكومة؟ أهي حكومة علمانية لا دينية على غرار تلك الحكومة التي تم إسقاطها، أم هي حكومة إسلامية عادلة؟

فلو افترضنا أنها حكومة علمانية لا دينية، فسوف يمتنع العقل عن قبول مثل هذا الافتراض؛ لأنه شيء غير معقول مطلقاً، حيث أنه سيجعل دماء الشهداء، وجهود العلماء، وجهاد المجاهدين في مهب الرياح إذ لا تثمر شيئاً يذكر.

فلا يجوز شرعاً وعقلاً أن يهدروا دماء مئات الآلاف من الشهداء الذين بذلوا مهجهم في سبيل نصرة الإسلام بدون أن يحققوا ما كان يصبوا له الشهداء في إيجاد حكومة إسلامية عادلة.

ثم ما جدوى ذلك الجهاد الدامي الذي استغرق مدة طويلة، واستنزف

الكثير من الطاقات إذا كانت نتيجته إبدال حكومة علمانية بأخرى نـظيرها، أو أسوأ حالاً من سابقتها لأنها دولة فتية أكثر قدرة على إفشاء الظلم ونشر الفساد.

فهل هناك إنسان يملك ذرة من العقل يسمح لنـفسه أن يـرتكب حـماقة خرقاء كهذه، حيث يـبدّل سـوءاً بشـيء أسـوأ مـنه، أو نـظيره عـلى أحسـن الاحتمالات؟

فإذا ثبت بطلان الاحتمـال الأول لعـدم إنسجامـه مـع الشـرع والعـقل، فلابدّ من تصويب وإيجاب الاحتمال الثاني وهو إقامة حكومة إسلاميـة عادلة لا غير.

ثم هناك دليل ثالث يجب الإشارة إليه، وهو قيام حكومات شيعية كثيرة في عصر الغيبة، كالبويهية والحمدانية وآخرها جمهورية إيران الإسـلامية التـي ولدت قبل أكثر من عشرين عاماً. فإن كان هذا الأمر منهى عـنه كـما يـتصور البعض من السذّج فلم لا ينتقد أحد من فقهائنا قيام تلك الحكومات في زمـن الغيبة؟ بل على العكس من ذلك نجد أن الفقهاء الأتقياء مجمعون على تأييدها، لا سيما الشهيد آية الله محمد باقر الصدر الذي حثنا على الذوبان في شخصية الخميني المفدى لأنه ذاب في الإسلام، وطلب منّا بذل الغالي والنفيس في سبيل نصرة الثورة الإسلامية وتركيز دعائمها.

فإذا ثبت ضرورة قيام حكومة إسلامية في عـصر الغـيبة إذا مـا تـمكن المجاهدون من إسقاط حكومة الجور والضلال، فماهي الأدلة القرآنية والروائية التي تدل على شرعية قيامها في غياب الإمام المعصوم (ع)، وماهي مواصفات الحاكم الذي يترأسها ويسيّر أمورها ويدبّر شؤونها؟

هذا ما سيتم الإجابة عليه من خلال سرد فقرات بحثنا هـذا إن شـاء الله تعالى..

أدلة شرعية قيام الحكومة الإسلامية

الدليل الأول: إن الغاية الأساسية من بعثة الأنبياء هداية الناس، وإنقاذهم من الظلم والضلال في آن واحد، وتعليمهم لمضامين الشريعة، وإقامة مجتمع المساواة على ضوء تلك التعاليم السماوية، وتنظيم كل شؤونه الحياتية وفق الموازين الشرعية، وإجراء الأحكام الحقوقية والجزائية، وفض النزاعات والاختلافات الحاصلة بين الناس بالعدل، ومنع التجاوزات وأنصاف المظلومين، وإعطاء كل ذي حق حقه، ثم إيجاد القوة الاجرائية الحريصة على إجراء القوانين وتنفيذها، وحماية أمن المجتمع ورعايته، وإيجاد جيش قوي يحرس حدود البلد، ويردع المعتدين.

ومعلوم لدى الجميع أن تحقيق الأهداف المذكورة يستلزم إيجاد حكومة إسلامية عادلة بمؤسساتها التشريعية والقضائية والتنفيذية، وإلّا لا يمكن تطبيق تعاليم السماء وإنجاز أهداف الأنبياء، وتحويلها إلى واقع ملموس.

والنصوص التي تدل على صحة ما ذهبنا إليه قوله تعالى: ﴿ولقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ [1].

ـ قال أبو محمد الفضل بن شاذان النيسابوري ـ في حديث علل الشرائع ـ: فإن قال قائل: ولم جعل أولى الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل لعلل كثيرة.

منها: أن الخلق لما وقفوا على حد محدود، وأمروا أن لا يتعدوا تلك الحدود لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلّا بأن يجعل عليهم فيها أميناً يأخذهم بالوقت عندما أبيح لهم، ويمنعهم من التعدي على ما حظر عليهم

---

١) سورة الحديد، آية ٢٥.

لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيم يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها: أن لا نجد فرقة من الفرق، ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلّا بقيم ورئيس لما لابدّ لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم ـ يعني الله ـ أن يترك الخلق مما يعلم أنه لابدّ لهم منه، ولا قوام لهم إلّا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فيئهم، ويقيمون به جمعتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قيّماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة، وذهب الدين، وغيرت السنن والأحكام، ولزاد فيه المبتدعون، ونقص منه الملحدون، وشبهوا ذلك على المسلمين إذ قد وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم، وتشتت حالاتهم، فلو لم يجعل فيها قيّماً حافظاً لما جاء به الرسول الأول لفسدوا على نحو ما بيّناه، وغيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين...[1].

ولخص الإمام أميرالمؤمنين (ع) شرعية الحكومة الإسلامية وحدد أهدافها بكلمة قصيرة بليغة وهي: قال مرة لابن عباس ـ وقد كان بيد الإمام (عليه السلام) نعل يخصفه ـ : ما قيمة هذه النعل؟ قال ابن عباس: لا قيمة لها. قال الإمام (عليه السلام): والله لهي أحب إليَّ من أمرتكم إلّا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً.[2]

وقال السيد روح الله الموسوي الخميني (رﻫ) مؤسس جمهورية إيران الإسلامية:

---

١) علل الشرائع، ٢٥٣.

٢) نهج البلاغة، ١: ٨٠.

فقد كان الهدف الحقيقي من بعثة الأنبياء هو إقامة العدل والقسط في الناس، وتنظيم حياتهم بموجب الموازين الشرعية، ولا يتم ذلك إلّا بالحكومة التي تنفذ الأحكام وهذه الحكومة كما تتمثل في شخص النبي أو الرسول، تتمثل كذلك في الأئمة (عليهم السلام)، وفي الفقهاء العلماء المؤمنين العدول من بعدهم، لأن القيام على الناس وإقرار الحق والنظام العادل فيهم مطلوب على كل حال.[1]

وقال الخميني (ره) بعد ذكر حديث الشرائع: فأنتم ترون أن الإمام يستدل بوجوه عدة على ضرورة وجود ولي الأمر الذي يقوم بحكومة الناس، وتلك العلل التي ذكرها موجودة في كل زمان، ويترتب على ذلك ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية في كل وقت، لأن التعدي عن حدود الله، والسعي وراء اللذة الشخصية، ونشر الفساد في الأرض، وهضم حقوق الضعفاء، كل ذلك موجود في كل زمان، وليس في زمان دون زمان، فاقتضت الحكمة الإلهية أن يعيش الناس بالعدل في الحدود التي حدّها الله لهم، وهذه الحكمة مستمرة وأبدية، وعلى هذا فوجود ولي الأمر القائم على النظم والقوانين الإسلامية ضروري، لأنه يمنع الظلم والتجاوز والفساد...[2].

الدليل الثاني: ان الله أمر عباده الصالحين بمكافحة الطاغوت والكفر به وعدم الاحتكام إليه؛ لأنه لا يحكم بما أنزل الله، ولا يعدل بين الناس، بل يحكم بما ينسجم مع مصالحه وأهوائه بالشكل الذي يحفظ به نظام حكمه ولو على حساب ظلم وقتل وإضطهاد وتشريد الآخرين واغتصاب حقوقهم، وإفشاء الفساد والدمار في الأرض.

فقال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: **﴿ألم ترَ إلى الّذين يزعمون أنهم،**

---

١) الحكومة الإسلامية، ٦٨.

٢) الحكومة الإسلامية، ٣٨ـ٣٩.

آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريدُ الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ [١].

والمعنى اللغوي لطغى وطغيان وطاغوت وطاغية هو: كل شيء يجاوز القدر فقد طغى مثل ما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود. والطاغية: الجبار العنيد. والطاغوت: هو اسم الواجد.[٢]

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى: **﴿كلّا إنّ الإنسان ليطغىٰ * أن رءاه استغنىٰ﴾** [٣]. وذكر القرآن أيضاً ان المراد من الطاغوت هي الأوثان البشرية التي تعبد من دون الله، وإن الغاية الجوهرية من بعثة الرسل هي تعبيد الناس لله، واجتناب طاعة الطاغوت والخضوع له، قال الله تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾** [٤].

قال الفيض الكاشاني في تفسير (الصافي): كلّا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه إن الإنسان ليطغىٰ، أن رآه استغنىٰ أي رأى نفسه مستغنية.

القمي قال: إن الإنسان إذا استغنى يكفر ويطغى وينكر إلى ربّه الرجعى.[٥]

فالمستفاد من التفسير اللغوي والقرآني ان المراد من الطاغية والطاغوت هو السلطان الكافر الجائر الذي تجاوز الحد في ظلمه وطغيانه، فعلى في الأرض وأحدث فيها الفساد. والذي حمله على الكفر والطغيان هو توفر الامكانات المادية: كالقوة والمال والجاه والسلطان وغيرها من الأمور التي مكنته من التسلّط على رقاب الناس واستضعافهم وفرض ربوبيته عليهم. كهامان وفرعون

---

١) سورة النساء، آية ٦٠.
٢) كتاب العين، ٢: ١٠٨٤.
٣) سورة العلق، الآيات ٦ و ٧.
٤) سورة النحل، آية ٣٦.
٥) تفسير الصافي، ٥: ٣٤٨.

وكل من لم يحكم بما أنز الله من طواغيت العصور الغابرة والحاضرة.

ولذا أرسل الله تعالى أنبيائه لمكافحة الطاغوت وإنقاذ عباده من كـفرهم وظلمهم الذي تجاوز حد الافراط أيضاً. فقال تعالى: ﴿... اذهب إلى فرعون انّه طغىٰ﴾[1].

وقد فسّرت الروايات هذه الآية بأن المراد من الطاغوت المذكور فيها هو السلطان الجائر الذي لا يحكم بالعدل والإحسان كما أمر الله رسله وأوصياؤهم بذلك.

فجاء في تفسير الصافي عن الكافي، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه سئل عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين، أو ميراث فتحاكما إلى السلطان ـ وسلطان ذلك الوقت هو المنصور العباسي ـ أو إلى القضاة أيحل ذلك؟

فقال: من تحاكم إلى الطاغوت فحكم له فإنما يأخذ سحتاً[2] وإن كان حقه ثابتاً؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت وقد أمر الله أن يكفر به.

قيل كيف يصنعان؟ قال: انظروا إلى من كان منكم قد روى حديثاً، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا فارضوا به حكماً فإني قد جعلته عـليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما بحكم الله اسـتخف، وعـلينا رد والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله.[3]

ـ وعن الصادق (ع) أيضاً أنه قال: إياكم أن يحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور، ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم، فإني

---

١) النازعات، آية ١٧.

٢) السحت: هو كل ما لا يحل كسبه.

٣) تفسير الصافي، ١: ٤٦٦، الكافي، ٧: ٤١٢، وتهذيب الأحكام، ٦: ٢١٨، الوسائل، ١٨: ٣ـ ٤.

قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه.[١]

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: أيما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومه إلى قاضي، أو سلطان جائر فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم.[٢]

دلت هذه النصوص مجتمعاً على الأمور التالية:

أولاً: إن وجوب مقارعة الطاغوت، وعدم جواز الاحتكام إليه لم تختص بزمان معيّن، بل تستمر المقارعة مادام الطاغوت موجوداً، فكلما قامت حكومة طاغوتية جائرة وجب مقارعتها وعدم الاحتكام إليها.

ثانياً: وبموجب الأمر الإلهي يجب على المؤمنين القيام بمهمة مقارعة الطاغوت في زمن غيبة المعصوم بقيادة الفقهاء العدول، ولزوم الرجوع إليهم في فض نزاعاتهم واختلافاتهم في شتى المسائل الوراثية والحقوقية المختلف عليها؛ لأن ما يأخذونه بأمر الطاغوت أو قضاته حتى إذا كان حقاً ثابتاً لهم فهو سحت.

ثالثاً: إذا حكم الفقهاء العدول، أو من يعيّنونه في هذه المسائل بحكم وجب الالتزام به، والعمل بموجبه لأن الراد عليهم والمستخف بحكمهم كمن استخف بحكم الله وردّ عليه.

رابعاً: ولو التزم المؤمنون جميعاً بوجوب الرجوع إلى الفقهاء العدول في فض نزاعاتهم، سوف لا يتسع وقتهم للنظر في جميع قضاياهم إلّا إذا لجأوا إلى تشكيل لجنان متعددة كاللجنة الوراثية واللجنة الحقوقية واللجنة القضائية كي يتمكنوا من فض نزاعاتهم جميعاً. لكن الرجوع إلى مثل هذه اللجنان في ظل حكم طاغوتي يلزم الخوف والحرج، لأن النظام السلطوي المستبد سوف لا

---

١) الكافي، ٧: ٤١٢، الفقيه، ٣: ٢، التهذيب، ٦: ٢١٩، الوسائل، ١٨: ٤.

٢) الكافي، ٧: ٤١١، الفقيه، ٣: ٣، التهذيب، ٦: ٢١٨، الوسائل، ١٨: ٢.

يمنحها حرية العمل إذا ما علم بوجودها، بل سيقوم حتماً بتصفيتها وإعدام أعضائها؛ لأنه يعتبرها تحدّياً صريحاً له، ومخالفة عمدية لقوانينه المرعية.

ففي مثل هذه الظروف الصعبة إذا أراد الفقهاء العمل بوظيفتهم الشرعية في رفع الحرج والخوف، والعمل بمقتضى قوانين الإسلام لابدّ لهم من السعي الحثيث إلى إيجاد حكومة إسلامية عادلة حتى يتمكنوا من إنجاز أحكام الله بحرية تامة وبدون خوف أو حرج.

الدليل الثالث: هو رفع الحرمان، وحفظ المجتمع المسلم، وتحقيق العدل:

إن الواقع الاقتصادي الذي يعيشه المسلمون في الوقت الحاضر واقعاً مأساوياً مفعم بالبؤس والتعاسة، بسبب اشتداد التفاوت بين الغنى الفاحش والفقر المدقع، حيث ترى في جانب عدداً قليلاً من عملاء الاستعمار المؤيدين لحكوماته العميلة المسلطة على رقاب المسلمين يتمتعون بامتيازات كثيرة لأحد لها، وثروة عظيمة حصلوا عليها بطرق غير مشروعة مكنتهم من استغلال المستضعفين من الناس، واستنزاف طاقاتهم بأبشع صورة تذكر. وهؤلاء تراهم يهيمنون على معظم مؤسسات البلاد الاقتصادية كالمعامل الصناعية، والشركات التجارية، والبنوك والمصارف المالية، وهم في غاية الثروة والرفاه، حتى ان كلابهم تشكو من كثرة الافراط للأكل، وتكاد تموت من أثر التخمة الملازمة لها.

هذا في جانب، وفي جانب آخر ترى المآسي والمعانات الشاقة التي تغمر الملايين من المسلمين المستثمرين استثماراً بشعاً، وهم يفتقرون لأبسط وسائل العيش كالمسكن والصحة والتعليم، ولا يجدون ما يسدون به رمقهم إلّا بشق الأنفس، واضمحلال القوى. ويموت من هؤلاء بسبب بؤسهم ومعاناتهم وشقائهم

سنوياً عشرات الملايين جوعاً ومرضاً. ناهيك عما يترتب على ذلك من الفساد الاجتماعي والأخلاقي، بالإضافة إلى ازدياد عدد السرقات وتفشي العادات السيئة كتناول المشروبات الكحولية، والاعتياد على تناول المخدرات، واختلال الأمن تبعاً لذلك يؤدي إلى شيوع الجرائم الوحشية وغير ذلك من الأمور التي لا يحمد عقباها، والتي ستقود المجتمع المسلم إلى الحضيض والانحلال والتفكك لا محال.

إن الإخلال بالتوازن الاقتصادي وخلق المآسي الإنسانية، وما يترتب عليهما من إشاعة الفحشاء والمنكر أمور لا يرتضيها الله، ولا يقر بها، بل وظّف أنبيائه وعباده الصالحين بمكافحتها وإزالة آثارها، لأنها تنافي قوانينه وتعاليمه الداعية إلى إيجاد مجتمع السعادة والعدالة الاجتماعية على أحسن وجه.

قال الله في محكم كتابه: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿والّذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهّرهم وتزكّيهم...﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرّسول ولذي القربى...﴾ [٥].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الّذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط ولا

---

١) سورة النحل، آية ٩٠.
٢) سورة المعارج، آية ٢٥.
٣) سورة التوبة، آية ٣٤.
٤) سورة التوبة، آية ١٠٤.
٥) سورة الأنفال، آية ٤١.

يجرمنّكم شنئان قوم على ألّا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله...﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمٰنٰت إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إنّ الله نعما يعظكم به...﴾ [٢].

هذه بعض الآيات التي تدعو ولاة الأمر المنصوص على ولايتهم أو من يقوم مقامهم من الفقهاء العدول أن يأخذوا من أموال الأغنياء من الزكاة والأخماس ما يفي بسد حاجة الفقراء من العوام والهاشميين طرف الأب كي يحققوا بذلك العدل والمساواة، وإلغاء التفاوت الفاحش بين الغنى والفقر، وإيجاد التوازن الاقتصادي المطلوب.

وسنذكر فيما يلي بعض النصوص التي أشارت لذلك:

منها: ما جاء في وصية أميرالمؤمنين (عليه السلام) لولديه: «وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً» [٣].

وقال أيضاً: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، وسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» [٤].

منها: وقال الصادق (عليه السلام): إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء، ومعونة للفقراء، ولو أن الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً، ولا ستغنى بما فرض الله له، وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا

---

١) سورة المائدة، آية ٨.
٢) سورة النساء، آية ٥٨.
٣) الحكومة الإسلامية، ٣٦.
٤) نهج البلاغة، ١: ٤١.

إلّا بذنوب الأغنياء...[١].

ومنها: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إن الله عزّوجلّ جعل للفقراء في أموال الأغنياء ما يكفيهم، ولولا ذلك لزادهم...[٢].

ومنها: عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فالمنجيات خشية الله في السرّ والعلانية، والقصر في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب... الحديث.[٣]

وقال أيضاً (ص): إياكم والفحش، فإن الله لا يحبّ الفاحش المتفحش، وإياكم والظلم فإن الظلم عند الله هو الظلمات يوم القيامة، وإياكم والشحّ فإنه دعا الذين من قبلكم حتى سفكوا دمائهم، ودعاهم حتى قطعوا أرحامهم، ودعاهم حتى انتهكوا واستحلّوا محارمهم.[٤]

ومنها: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال ـ في حديث ـ : ولكن الله عزّوجلّ فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة، فقال عزّوجلّ: ﴿والّذين في أموالهم حق معلوم للسائل﴾، فالحق المعلوم غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه إن شاء في كل يوم، وإن شاء في كلّ جمعة، وإن شاء في كل شهر... الحديث.[٥]

ـ وعن أبي عبدالله (عليه السلام) في قول الله عزّوجلّ: ﴿للسائل والمحروم﴾ قال: المحروم المحارف الذي قد حرم كدّ يده في الشراء والبيع.[٦]

---

١) الفقيه، ٢: ٤، الوسائل، ٦: ٤.
٢) الكافي، ٣: ٤٩٧، الوسائل، ٦: ٥.
٣) الخصال، ١: ٤٢، الوسائل، ٦: ٢٤.
٤) الخصال، ١: ٨٣، الوسائل، ٦: ٢٥.
٥) الكافي، ٣: ٣٩٨، الوسائل، ٦: ٢٧:
٦) الكافي، ٣: ٥٠٠، التهذيب، ٦: ١٠٨، الوسائل، ٦: ٣٠.

ومنها: ما جاء عن علي (عليه السلام) قال: وأما ما جاء في القرآن من ذكر معايش الخلق وأسبابها فقد أعلمنا سبحانه ذلك من خمسة أوجه: وجه الإمارة، ووجه العمارة، ووجه الإجارة، ووجه التجارة، ووجه الصدقات، فأما وجه الإمارة فقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرّسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين﴾ [1] فجعل لله خمس الغنائم... الحديث.[2]

ومنها: عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: إن الله لا إله إلّا هو لمّا حرّم علينا الصدقة أنزل لنا الخمس، فالصّدقة علينا حرام، والخمس لنا فريضة، والكرامة لنا حلال.[3]

ومنها: عن الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) أنه قال لشيعته ـ في حديث ـ: ... فإن صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم.[4]

ومنها: ومن كلام للإمام علي (عليه السلام) فيما رده على المسلمين من قطايع عثمان (رض): والله لو وجدته قد تزوج به النساء ـ يعني المال ـ وملك به الأماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق.[5]

ومنها قوله (عليه السلام): لو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله... الحديث.[6]

وقال (ع) أيضاً: أيها الناس، أعينوني على أنفسكم وأيم الله لأنصفنّ

---

١) سورة الأنفال، آية ٤١.

٢) رسالة المحكم والمتشابه، ٥٧، الوسائل، ٦: ٣٤١.

٣) الفقيه ٢: ٢١، الخصال، ١: ١٣٩، تفسير العياشي، الوسائل، ٦: ٣٣٧.

٤) المجالس، ٢٠٣، م ٥٤، الوسائل، ١١: ٤٧٢.

٥) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ٥٧.

٦) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ١٨٣.

المظلوم من ظالمه، ولأقودنّ الظالم بخزامته، حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً.[١]

ومنها: عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل.[٢]

وقال أيضاً: اتقوا الله واعدلوا، فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون.[٣]

ـ وعن الباقر (عليه السلام) في هذه الآية: إنّ الله حرم كنز الذهب والفضة وأمر بانفاقه في سبيل الله، قال: كان أبو ذرّ الغفاري يغدو كلّ يوم وهو بالشام فينادي بأعلى صوته بشر أهل الكنوز بكي في الجباه، وفي الجنوب، وكيّ في الظهور حتى يتردد الحرّ في أجوافهم.[٤]

ـ وفي الخصال عن النبي (ص): الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم.

والقمي ـ في حديث قد سبق في سورة البقرة ـ: نظر عثمان بن عفّان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا إسحاق، ما تقول في رجل أدى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء، فقال: لا، ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنتاً من فضة ما وجب عليه شيء، فرفع أبو ذرّ عصاه فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا ابن اليهودية الكافرة، ما أنت والنظر في أحكام المسلمين، قول الله أصدق من قولك حيث قال: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة﴾ الآية.[٥]

هذه بعض الروايات التي عالجت موضوع العدل والحقوق الشرعية في أن

---

١) نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح، ١٩٤.
٢) الكافي، ٢: ١٤٦.
٣) الكافي، ٢: ١٤٧.
٤) تفسير الصافي، ٢: ٣٤٠.
٥) تفسير الصافي، ٢: ٣٤٠.

واحد. والمستفاد منها أمور:

أولاً: إن العدل أساس الحكومة الإسلامية وموجب قيامها، وأنه يشمل جميع نواحي الحياة ولم يختص بالناحية الاقتصادية فقط، وإن الحاكم العادل بمثابة الأب الرؤوف الرحيم يلزم أن ندعو له بالخير والبقاء، وأن نحب له ما نحب لأنفسنا، وأن نكره له ما نكره لها.

ثانياً: إن الفقهاء العدول ملزمون شرعاً في زمن غيبة الإمام المعصوم بانقاذ المسلمين المستضعفين من الظلم والاستغلال والحرمان، لأن التزام الصمت وعدم السعي لانقاذهم يعني التخلي عن مسؤولياتهم وعدم اهتمامهم بشؤون المسلمين، وإن موقفهم السلبي هذا سيقوض مقومات المجتمع المسلم ويؤدي إلى انهياره.

ثالثاً: يجب على الفقهاء العدول المتصدين للمرجعية أن يجمعوا الحقوق الشرعية كالزكاة والخمس من أغنياء المسلمين وتوزيعها على فقرائهم بشكل عادل وشامل، وهذا لا يتم إلّا باحصاء عدد الفقراء وضبط أسمائهم في سجلات معدة لذلك وذكر أماكن تواجدهم، ومعرفة المبالغ التي تجمع شهرياً ليتم تقسيمها عليهم بالتساوي وفق الموازين الشرعية.

وإنجاز هذا الأمر يستوجب وجود لجان مختصة بالأمور المالية موزعة على جميع مناطق العالم الشيعي تعمل تحت إشراف المتصدين للمرجعية كما أسلفنا.

وإن إنجاز النظام المالي الإسلامي لا يتم إلّا بوجود قوة إجرائية ونظام مالي مدون مسبقاً يتم بموجبه محاسبة المتخلّفين عن أداء الحقوق الشرعية التي بذمتهم، وهذا لا يتم إلّا بوجود حكومة إسلامية كما أشار لذلك السيد الخميني (رحمه الله) بقوله:

أما نحن فمكلفون بانقاذ المحرومين المظلومين، نحن مأمورون بأعانة

المظلومين ومناوأة الظالمين كما ورد ذلك في وصية أميرالمؤمنين (عليه السلام) لولديه: «وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

وعلماء الإسلام مكلفون بمناضلة المستغلين الجشعين لئلّا يكون في المجتمع سائل محروم مقابل مرفه جشع أصابه بطر...

كيف يسوغ لنا اليوم، أن نسكت عن بضعة أشخاص من المستغلين والأجانب المسيطرين بقوة السلاح، وهم قد حرموا مئات الملايين من الاستمتاع بأقل قدر من مباهج الحياة ونعمها..

فواجب العلماء وجميع المسلمين أن يضعوا حداً لهذا الظلم، وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس، في تحطيم الحكومات الجائرة وإزالتها، بتأسيس حكومة إسلامية عاملة مخلصة.[1]

الدليل الرابع: إجراء الأحكام، وإقامة الحدود، وحماية الإسلام:

إن الله تبارك وتعالى لمّا أنزل كتابه المجيد وفيه جميع ما يحتاجه الإنسان المؤمن من النظم اللازمة لتنظيم كل شؤون حياته دون استثناء، أراد من أنبيائه وخلفائهم ومن يقوم مقامهم إنجاز تلك القوانين بعد إيجاد الأرضية الصالحة لإنجازها، ولم يسمح بايقاف تنفيذها أو تعطيلها أبداً، لأن حياة المجتمع المسلم وسلامته من الإنحراف والإنحلال تتوقف على تطبيقها والعمل بموجبها، كما أشار لذلك بقوله: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أُولي الألباب﴾[2].

وعن أبي إبراهيم (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ: ﴿يحيى الأرض بعد موتها﴾[3]، قال: ليس يحييها بالقطر، ولكن يبعث الله رجالاً فيحيون العدل فتحيي

---

١) الحكومة الإسلامية، ٣٦ـ٣٧.
٢) سورة البقرة، آية ١٧٩.
٣) سورة الروم، آية ١٩.

الأرض لاحياء العدل ولا قامة الحدّ لله أنفع في الأرض من القطر أربعين صباحاً[١]. وقال رسول الله (ص): إقامة حدّ خير من مطر أربعين صباحاً.[٢]

ومن أجل حماية القانون ومعاقبة المتخلفين عن تنفيذه وردعهم، جعل الله لكل شيء حداً، وعيّن عقوبة محددة لمن تجاوزه واستهان به.

ـ عن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) لسعد بن عبادة: إن الله جعل لكل شيء حداً، وجعل على كل من تعدّى حدّاً من حدود الله عزّوجلّ حداً، وجعل ما دون الأربعة الشهداء مستوراً على المسلمين.[٣]

ـ وعن أبي عبدالله (عليه السلام) قال: إنّ لكل شيء حداً ومن تعدّى ذلك الحدّ كان له حدّ.[٤]

وإذا علمنا بان القانون الإلهي لم يختص بزمان معيّن أو فترة محدودة، بل يجب إنجازه في كل زمان ومكان تواجد فيه المجتمع المسلم. ومهمة إنجازه كما هو معلوم تقع على عاتق الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، أو من ينص على خلافته له، وفي زمن غيبة الإمام المعصوم المكلف بإنجاز القانون من ينوب عنه من الفقهاء العدول. ولكن إنجاز القانون ليس بمقدورهم إلّا بإيجاد السلطات الثلاث وهيك التشريعية والقضائية والتنفيذية، وهذه لا يمكن إيجادها خارج إطار حكومة إسلامية.

إذن إن مهمة إنجاز الدستور الإسلامي أوجب على الفقهاء واجب آخر وهو تمهيد الأرضية المناسبة لإنجازه، وذلك يتم بإيجاد دولة إسلامية عادلة.

---

١) الكافي، ٧: ١٧٤، الوسائل، ١٨: ٣٠٨.
٢) الكافي، ٧: ١٧٤، الوسائل، ١٨: ٣٠٨.
٣) الكافي، ٢: ١٧٤.
٤) الكافي، ٢: ١٧٥.

فإذا اعترض سبيل أقامتها حكومة كافرة فاسقة جائرة يجب مـجاهدتها وإسقاطها إن أمكن، كي يتسنى للفقهاء المتصدين إقامة الحكم الإسلامي عـلى إنقاضها وتنفيذ القانون الإلهي المكلفون بتنفيذه.

ثم إن حماية الإسلام مـن التـحريف والتشـويه، والحـفاظ عـلى الدولة الإسلامية الفتية، وحراسـة حـدود الوطـن الإسـلامي تكـون بـعهدة المـؤمنين المكلفين وفي طليعتهم الفقهاء العدول باعتبارهم خلفاء النبي (صـلّى الله عـليه وآله وسلّم)، وأمناء الرسل، وحصون الإسلام. ولكن ليس باستطاعة هؤلاء توفير الحماية اللازمة ما لم يكون هناك جيش كامل العدة والعـدد، مسـلح بـالعقيدة والإيمان يعينهم على صيانة الإسلام، ورد كيد المعتدين إلى نحورهم.

هذه مجمل الأدلة التي دلت على شرعية قـيام الدولة الإسـلامية إذا مـا توفرت العوامل المساعدة على قيامها. ولكن من سيحكم هذه الدولة؟ ومـاهي مواصفاته ومؤهلاته؟

فالجواب على هذين السؤالين يتم في البحث القادم.

ذكر الحاكم الإسلامي وبيان صفاته

معلوم لدى الجميع إن الحاكم الشرعي المجعول من قبل الله تـعالى بـعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) هـو الإمـام المـعصوم الذي تـتوفر فـيه مؤهلات الحاكم الكفوء من حيث العدالة والتـقوى والورع، والإحـاطة التـامة بمضامين الدستور الإسلامي المتمثل بالقرآن الكريم.

ولم يكتفي الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بتعيّن الإمام عليّ (عليه السلام) فحسب، بل عيّن بوحي الله عزّ وجلّ أسماء أحد عشر خليفة له من

أبنائه يخلفونه بقيادة المسلمين السياسية والدينية والإجتماعية على التعاقب.

وكان آخر هؤلاء الخلفاء المنصوص عليهم هو القائم المهدي (عليه السلام) المنتظر، الذي غاب عن الأبصار غيبته الكبرى لظروف قهرية أوجبت ذلك، فألغى السفارة بعد موت السمري ولم يعين من يقوم مقامة في توجيه المسلمين الموالين له أحداً في زمن غيبته (عليه السلام)، عدا أنه منح الفقهاء العدول، ورواة حديثهم وكالة عامة ليس إلّا.

فإذا تمكن الشيعة الموالون له بقيادة الفقهاء العدول من إيجاد حكومة إسلامية في زمن غيبته، فمن سيكون حاكمها ومسير أمورها؟ وهل ستكون قيادة جماعية ممثلة بمجلس فقهاء مثلاً، أو قيادة فردية تختص بواحد منهم منتخباً من بينهم؟

الفقهاء العدول هم قادة المسيرة في زمن الغيبة

وقبل أن نجيب على السؤال المذكور، نقول: سبق أن أشرنا ضمن الأدلة الشرعية لقيام الحكومة الإسلامية إن الله تعالى كلف الفقهاء العدول بأخذ الزكاة والأخماس، وفض اختلافات المؤمنين، وحماية الإسلام، والمحافظة عليه سالماً من التحريف والتشويه، لئلّا يندرس بمرور الزمن وتزول آثاره، ثم الدفاع عن المجتمع المسلم إذا ما تعرض لعدوان المعتدين.

ولا ننسى أن مهمة التصدي لمرجعية الشيعة في زمن غيبة المعصوم تكون في عهدة الفقهاء العدول أيضاً. فهم يتصدرون مراكز التوجيه والإرشاد وصدور الفتاوي الشرعية التي تشمل العبادات والمعاملات وجميع شؤون الحياة.

وقد أشار الشهيد محمد الصدر في كتابه (الغيبة الصغرى) إلى ضرورة

وجودالقيادة العلمائية في زمن الغيبة، وذكر بعض أدلتها الواردة عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) فقال:

إعطاء القيادة العامة في زمن الغيبة إلى العلماء بالله، الذين يمثلون خط الإمام (عليه السلام).. ذلك المفهوم الذي أعطاه الإمام الصادق (عليه السلام) صيغته التشريعية بقوله: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه، فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد، والراد علينا راد على الله وهو على حد الشرك بالله.[1]

أوضحه وأعطاه ضيغته الإجتماعية الكاملة الإمام الهادي (عليه السلام) حين قال: لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم (عليه السلام) من العلماء الداعين إليه والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلّا ارتد عن دين الله.. ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء شيعتنا كما يمسك صاحب السفينة سكانها، اولئك هم الأفضلون عند الله عزّ وجلّ.[2]

والأساس العام الذي تقوم عليه هذه البيانات، هو: إن المسلمين الممثلين لخط الأئمة (عليهم السلام) وقواعدهم الشعبية الكبرى يجب أن لا تبقى ـ في زمن الغيبة وانقطاع القيادة المعصومة ومصدر التشريع ـ خالية عن المرشد والموجه والفكر المدبر.. يعطيهم تعاليم دينهم ويرتفع بمستوى إيمانهم وعقيدتهم، ويشرح لهم إسلامهم، ويوجههم في سلوكهم إلى العدل والصلاح ورضا الله

---

١) الكافي، ٧: ٤١٢، التهذيب، ٦: ٢١٨، الوسائل، ١٨: ٣، الغيبة الصغرى، ٢١٩.

٢) الاحتجاج، ٢: ٢٦٠، الغيبة الصغرى، ٢١٩.

عزّوجلّ. فإن من هذه الجماهير - إن لم يكن الأكثر ـ من يكون ضعيف الإيمان والإرادة، يحتاج في تصعيد مستواه الروحي وعمله الإيماني إلى مرشد وموجه، وإلّا كان لقمة سائغة لمردة إبليس وشباكه من أعداء الدين والمنحرفين وذوي الأغراض الشخصية والمصالح الظالمة.[1]

ومما تقدم ثبت بأن الشيعة في زمن غيبة الإمام القائم (عليه السلام) لم يتركوا سدى بدون موجه ومرشد يرشدهم إلى طريق الحق والهداية، بل عيّن لهم الأئمة الأطهار (عليهم السلام) قيادة علمائية تقية ورعة تتجسد بالفقهاء العدول الذين حازوا شرائط المرجعية الصالحة.

فإذا تظافرت جهود هذه القيادة الموزعة على معظم بلدان العالم الإسلامي الشيعي كان باستطاعتها إيجاد حكومة إسلامية عالمية عادلة تكون منقطعة النظير كما وصفها الإمام الراحل في كتابه (الحكومة الإسلامية).[2]

وأما إذا انفرد واحد من هؤلاء الفقهاء في بلده بقيادة شعبه، وجاهد الطاغوت الجاثم على صدره، واستطاع بعد جهاد دامي أن يسقط الحكومة المستبدة الجائرة وينشئ حكومة إسلامية تحل محلها، فلابدّ في هذه الصورة أن يكون هو الحاكم والمشرف على إدارة شؤونها؛ لأنه هو أعرف من غيره بما يصلح بلده وشبعه. وهذا ما حصل فعلاً في إيران الإسلام حيث انتصر الإمام الخميني العظيم على الحكومة الشاهنشاهية العميلة للإستكبار العالمي وأنشأ حكومة إسلامية اشرف بنفسه على إدارة شؤونها..

وبعد رحيله (رحمه الله) انتخب مجلس الفقهاء العدول فقيهاً آخر وهو السيد علي الخامنئي ليحل محله في الإشراف والتوجيه.

---

١) الغيبة الصغرى، ٢١٨ ـ ٢١٩.

٢) الحكومة الإسلامية، ٤٩.

وخلاصة ما تقدم هو أنه إذا ما نهض أحد الفقهاء العدول في أي بلد كان، وتمكن من إيجاد حكومة إسلامية يكون هو المشرف على إدارة شؤونها، بعد أن يضع الخطوط الرئيسية لسياستها الداخلية والخارجية على ضوء قواعد العمل السياسي والإجتماعي في الإسلام، وعلى الأمة المسلمة أن تطيع أمره وتخضع لسلطته باعتباره ولي أمرها الشرعي، وقائد مسيرتها الذي أوجب الله تعالى طاعته.

وعلى بقية الفقهاء العدول المحيطين به إسناد حكومته ومشاركته في إدارة شؤونها، ومساعدته على حل ما يواجهه من الصعوبات والمعضلات الفقهية في مجالات التقنين والقضاء والإدارة مادام حائزاً على صفتي العلم والعدالة، لأن مصلحة الإسلام العليا، والحفاظ على الحكومة الإسلامية وضمان استمرارها يلزمهم جميعاً بوجوب تأييد وإسناد الفقيه العادل المنبسط اليد.

وبهذا الأسلوب الصحيح المستوحى من التجربة والنصوص يسهل معرفة الحاكم الإسلامي المكلف بإدارة شؤون الحكومة الإسلامية في زمن غيبة الإمام القائم المنتظر (عليه السلام).

وفي غير هذه الصورة لا يمكن إيجاد الحاكم الشرعي، أو تعيين من سيخلفه في إدارة شؤون الدولة وتسيّر أمورها؛ لأن الناس ماعدا أهل الحل والعقد ليس باستطاعتهم أن ينتخبوا الحاكم الشرعي لافتقارهم إلى الصلاحية والاختصاص ولأن معظمهم يتمايلون مع الأهواء والتيارات السياسية السائدة.

نعم، باستطاعة الناس إنتخاب رئيس الجمهورية الإسلامية، وأعضاء مجلس الشورى والمجالس البلدية وغيرها باشراف الولي الفقيه، ولكن ليس بمقدورهم إنتخاب الولي الفقيه نفسه، لأن هذا الأمر مختص بالفقهاء العدول وذوي الاختصاص فقط.

شرائط صلاحية الحاكم ومجمل وظائفه

يشترط في الحاكم الأسلامي بعد الإيمان والعقل والبلوغ وحسن التدبير، العلم، والإجتهاد، والعدالة، والتقوى، والعلم بالواقع المعاش.

والمراد بالعلم هو الإحاطة التامة بالعلوم والمعارف الإسلامية بصورة عامة، وفهم واستيعاب مفردات القانون الإسلامي ومشتقاته فهماً دقيقاً يمكنه من تطبيق أحكامه على موضوعاتها بكفائة وبدون تعثر واضطراب بصورة خاصة.

ونعني بالإجتهاد هو النظر في الأدلة الشرعية لتحصيل معرفة الأحكام الفرعية التي جاء بها سيد المرسلين المتعلقة بكافة شؤون الرعية في مجالي العبادات والمعاملات وتنظيم الروابط والعلائق الفردية والإجتماعية.

وإذا ما واجه الحاكم مسائل مستجدة فعليه استنباط أحكامها من الأدلة الشرعية وهي الكتاب الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والاجماع، والعقل، ولا يجوز له مطلقاً العمل بالهوى والقياس على تفصيل مذكور في كتب أصول الفقه. ولا يجوز له أيضاً تغير الأحكام وتبديلها بأي شكل من الأشكال، لأن حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة.

ونعني بالعدالة هي سلامة عقائد الحاكم من التحريف والتشويه، أي يكون شيعياً إثنى عشري يعتقد بولاية الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وبعصمتهم المطلقة. ويحافظ على استقامته وتمسكه بها، ولا ينحرف عنها يميناً وشمالاً بأن يرتكب المعاصي بترك الواجبات وفعل المحرمات بدون عذر شرعي معقول، ولا فرق في المعاصي بين الصغيرة والكبيرة.. وأن يكون الحاكم عادلاً في تطبيق الأحكام، وتوزيع الحقوق.

وقد أعطى السيد روح الله الموسوي الخميني (رحمه الله) وصفاً دقيقاً لصفة العدالة بقوله: وعلى الحاكم أن يتحلى بأقصى حد من كمال العقيدة، وحسن الأخلاق مع العدل والنزاه من الآثام، لأن من يتصدى لإقامة الحدود وإنفاذ الحقوق، وينظم موارد بيت المال ومصارفه، لا ينبغي أن يكون ظالماً، لأن الله تعالى يقول في كتابِه العزيز: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾. فالحاكم إذا لم يكن عادلاً فإنه لا يؤمن أن يخون الأمانة، ويحمل نفسه وذويه وآله على رقاب الناس.

فرأي الشيعة فيمن يحق له أن يلي الناس معروف منذ وفاة رسول الله (ص) وحتى زمان الغيبة، فالإمام ـ يعني به الحاكم ـ عندهم فاضل عالم بالأحكام والقوانين، وعادل في إنفاذها، لا تأخذه في الله لومة لائم.[1]

ونعني بالتقوى هي الملكة الراسخة في نفس الإنسان المؤمن التي تحثه على ممارسة الطاعات والمداولة عليها، وتمنعه عن إرتكاب المعاصي.

وهذه الحالة النفسية التي تترك آثارها الإيجابية على مجمل سيرة الإنسان المؤمن وتضبط جميع تصرفته وأقواله بالضوابط الشرعية، لا يكتسبها المؤمن بصورة مفاجئة وإنما تأتي نتيجة ممارسة العبادت الواجبة والمندوبة، والرياضات الروحية باستمرار حتى يكون في غاية القرب من الله تعالى والحب له.

فلابدّ للحاكم الإسلامي أن يتصف بهذه الصفة المهمة التي تقلل من نسبة أخطائه، وتمنعه عن الوقوع بالغفلة الموجبة لارتكاب الخطأ والمعصية.

فإذا كان الحاكم تقياً ورعاً، يتقي الله ويخشاه لعلمه بأنه في محضره دائماً، وإنه يشهد جميع حركاته وسكناته، ويعلم بخواطره ونواياه ولا يخفى عليه شيء،

---

١) الحكومة الإسلامية، ٤٧.

إذا كان كذلك يأمن الخلق من بوائقه وأخطائه وآثامه.

وآخر صفة يلزم أن يتصف بها الحاكم المسلم هي العلم بالواقع المعاش، ونعني به الإحاطة بالقوانين والمبادئ والأفكار الوضعية، ومعرفة عادات الناس وتقاليدهم ودياناتهم المختلفة ولو بصورة مجملة؛ لأن الحاكم المسلم يلزم أن يكون أعرف الناس بأهل زمانه كي يتمكن من حل جميع المشكلات التي يفرزها الواقع المعاش بسهولة، ويردّ على أفكار ومبادئ مناوئيه بالعلم والحجج القاطعة.

هذه هي الشرائط أو الصفات التي يلزم أن يتمتع بها الحاكم المسلم كي يكون مؤهلاً لإدارة شؤون الدولة وتسيير أمورها في عصر غيبة الإمام المعصوم (عليه السلام)..

ولعل سائل يسأل: لماذا لم يضيفوا صفة العصمة المطلقة للصفات المذكورة، وتشترطوها بالحاكم المسلم، كما اشترطتموها في الأئمة الأطهار (عليهم السلام) الذين يخلفون رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالحكم؟

فنقول جواباً على هذا السؤال: إن المعصومين الذين يتصفون بالعصمة المطلقة أربعة عشر معصوماً عدا الأنبياء والمرسلين، كما ذكرهم القرآن الكريم، والرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وربما ينال درجة العصمة بعض الأوصياء والأولياء، إذا اجتهدوا بالطاعة والعبادة.

وبما أن العدد محصور بهؤلاء المنصوص عليهم، فلا يمكن اشتراط العصمة في غيرهم وإن كان نائب الإمام المعصوم. ولكن الحاكم المسلم إذا اتصف بالصفات المذكورة، وشاور إخوته الفقهاء العدول المحتفين به، وأخلص نيته لله، وطهرها من جميع الشوائب، ستقل نسبة أخطائه بالتدريج حتى يصل إلى درجة العصمة المطلقة، أو دونها بقليل. وهذا ما أشار له الله في محكم كتابه، فقال تعالى:

﴿ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سُبُلنا﴾ [٢].

هذا ما يتعلق بصفات الحاكم المسلم، وأما صلاحياته ووظائفه فهي كما تعلمون أن الحاكم المسلم في عقيدتنا هو نائب للإمام المعصوم (عليه السلام) في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل، في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله، كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت (عليهم السلام).

فليس الحاكم المجتهد الجامع للشرئط مرجعاً في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء، وذلك من مختصاته، لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه، كما لا يجوز إقامة الحدود والتغريرات إلّا بأمره وحكمه.[٣]

ويرجع إليه أيضاً في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته. وهذه المنزلة أو الرئاسة العامة أعطاها الإمام (عليه السلام) للمجتهد الجامع للشرائط ليكون نائباً عنه في حال الغيبة، ولذلك يسمى (نائب الإمام) [٤].

وذكر الإمام الخميني (ره) صلاحيات الحاكم المسلم ووظائفه بقوله: ويملك هذا الحاكم من أمر الإدارة والرعاية والسياسة للناس ما كان يملكه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وأميرالمؤمنين (عليه السلام) على ما يمتاز به الرسول والإمام من فضائل ومناقب خاصة، لأن فضائلهم لم تكن تخولهم أن

---

١) سورة الطلاق، آية ٢.
٢) سورة العنكبوت، آية ٦٩.
٣) عقائدنا، للشيخ المظفر، ٣٤ـ ٣٥.
٤) عقائدنا، للشيخ المظفر، ٣٥.

يخالفوا تعاليم الشرع، أو يتحكموا في الناس بعيداً عن أمر الله. وقد فـوض الله الحكومة الإسلامية الفعلية المفروض تشكيلها في زمن الغيبة نفس ما فوضه إلى النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأميرالمؤمنين (عليه السلام) من أمر الحكـم والقضاء والفصل في المنازعات، وتعيين الولاة العمال، وجباية الخراج، وتـعمير البلاد، غاية الأمر إن تعيين شخص الحاكم الآن مرهون بمن جمع في نفسه العلم والعدل.[1]

الخاتمة

اشتملت نظرية الانتظار الإيجابي على خمس ركائز أساسية مستنبطة من النصوص القرآنية والروائية، ومنسجمة مع الغاية الجـوهرية مـن بـعثة الأنـبياء والرسل، بل مجسدة لأسمى هدف من أهدافها وهو الكفر بعبادة الأوثان الحجرية والبشرية المتجسدة بـالطاغوت بكـل أشكـاله وحكـومات الجـور والضـلال، والإيمان بعبادة الله الواحد القهار، ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...﴾[2]، وإنجاز رسالته الداعية إلى العدل والإحسان والمساواة على أحسن وجه.

وهذه الركائز هي: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد دفاعاً عن الإسلام وصيانة أحكامه من التحريف والتسويف، والصبر على ما يفرزه الجهاد من المشاق، والصعوبات كالهجرة والتغرّب والتشريد، ومـا يـتطلبه مـن البـذل والتضحية، ثم ممارسة التقية بشكل صحيح بهدف مواصلة الجهاد حتى في أشد الظروف خوفاً وإرهاباً، كي تتمهد الأرضية الصالحة لإيـجاد حكـومة إسـلامية

---

١) الحكومة الإسلامية، ٤٩.

٢) سورة النحل، آية ٣٦.

تمهد السبيل لظهور القائم المنتظر (عليه السلام).

وأقصى ما تستهدفه هذه النظرية هو إخراج المؤمنين من حالة الكسل والتخاذل والإقرار بالواقع المرير المفعم بالبؤس والمأساة، إلى حالة الجهاد والعمل والمثابرة، ومقارعة قوى الشر والطغيان. فبدلاً من أن يقف المؤمنون موقف المتفرج الغير مسؤول على ما يعاني المسلمون من آثار الظلم والعدوان، تحولوا بفضل تنفيذ هذه النظرية الجهادية إلى عناصر فاعلة ساهمت بشكل فعال في إنقاذ المستضعفين من الاستغلال والإضطهاد. وبذا استطاعت أن تبعث الهمم وتزرع الأمل في نفوسهم، وتجتث منها جذور اليأس والقنوط، وتعدّهم إعداداً رسالياً من خلال ممارسة الجهاد بكلا شقيه، وإنجاز الواجبات الدينية، والوظائف الإنسانية، وبناء الشخصية الرسالية بناءً صحيحاً ينسجم مع تعاليم الإسلام القيمة، ومبادئه السامية، بالإضافة إلى الإعداد المادي، امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوّة...**﴾، وإيجاد العدد الكافي من المؤمنين الصالحين المنتظرين لإمامهم المهدي (عليه السلام) بشوق ولهفة وهم على أتم الاستعداد للبذل والتضحية في سبيل نصرته والاستشهاد دونه حتى يتمكن من إنجاز الوعد الإلهي في إزالة آثار الظلم والفساد والضلال، وإيجاد حكومة إسلامية عالمية عادلة..

وربما يتصور المرء أن الركيزة الخامسة ـ وهي إيجاد الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة ـ أمراً وجوبياً يلزم تنفيذه على كل حال، وإن مسألة ظهور المنتظر روحي فداه متوقف على إيجادها.

يخطأ من يتصور ذلك، لأن وجوب إقامة الحكومة لا يتحقق ما لم تتوفر عوامل قيامها، وإن ظهور القائم (عليه السلام) غير مرتبط بها إرتباطاً مصيرياً بحيث لو لم تقوم الحكومة الإسلامية لم يحصل الظهور.

كلّا، ليس هذا هو المقصود من وجوب قيام الحكومة الإسلامية، وإنما المقصود هو إن إيجاد الحكومة هدف من أهداف حركة الجهاد التي قادها معتنقوا نظرية الانتظار الإيجابي، ولابدّ من تحقيقه إذا ما توفرت الظروف المناسبة لإنجازه. وإن تحقيق هذا الهدف يعد واحد من أهم عوامل تمهيد الظهور، لأن ظهوره المبارك (عليه السلام) وعد إلهي حتمي لابدّ من تنفيذه في أوانه سواء قامت الحكومة الإسلامية أو لم تقم. وإنما الشيء المهم الذي يراد إنجازه على كل حال هو إعداد المؤمنين إعداداً معنوياً ومادياً، ورفع مستواهم الإيماني، وجعلهم على أعلى مستوى من الشعور بالمسؤولية من حيث القول والعمل، وإيجاد ما يكفى من المؤمنين المجاهدين الصالحين لتشكيل جيش الإمام المهدي (عليه السلام)، وإنجاز الوعد الإلهي المحتوم، وهذا أهم هدف يسعى معتنقوا مفهوم الانتظار الإيجابي إلى تحقيقه..

وهذا ما أشار له آية الله السيد محمد الصدر في كتابه (الغيبة الكبرى)، فقال حول تمهيد الأرضية لظهور القائم المنتظر (عليه السلام): أن تكون الأمة ساعة الظهور على مستوى عال من الشعور بالمسؤولية الإسلامية، والاستعداد للتضحية في سبيل الله عزّوجلّ. أو على الأقل، أن يكون فيها العدد الكافي ممن يحمل هذا الشعور ليكون هو الجندي الصالح الذي يضرب بين يدي المهدي (عليه السلام) ضد الكفر والانحراف، ويبني بساعده المفتول الغد الإسلامي المشرق، ويكون الجيش المكون من مثل هذا الشخص الرائد الواعي الذي يملأ الأرض بقيادة المهدي (عليه السلام) قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً...[1].

وقال السيد محمد الصدر (رحمه الله) أيضاً في كتابه (الغيبة الصغرى) في

---

١) الغيبة الكبرى، ٥٧.

تقييمه لمفهوم الانتظار الإيجابي: ولا يخفى ما في الانتظار المنسجم مع المبادئ الإسلامية العليا، من الأثر الإيجابي على نفس المؤمن وسلوكه. إذا تصورنا ما في الياس والقنوط من أثر سلبي عليه، في إضعاف معنوياته وكبح جماحه والكف عن نشاطه إذا لم يكن لنشاطه أمل يرجى، أو نتيجة تقصد، على حين أن هـذا الانتظار أو الأمل يعطيه الدفع الثوري، الكافي إيماناً وسلوكاً لكي ينخرط الفرد في سلك الأنبياء والشهداء والصالحين.. ويشارك بمقدار جهده بتمهيد المقدمات ليوم الله الموعود..[1]

وبذا نختم كتابنا هذا، راجين من الله العليّ القدير أن يتقبّل منّا هذا بأحسن قبوله إنه السميع المجيب.

تمّ الكتاب بعون الله وتوفيقه في ٢٤ محرم الحرام سنة ١٤٢١ هـ.

المؤلّف

---

١) الغيبة الصغرى، ٢١٨.

فهرس الكتاب

المقدمة ٥
ـ منشأ الاختلاف في مفهوم الانتظار.. ـ ١٣
ـ نماذج من النصوص الداعية إلى الصبر في زمن ١٤
الغيبة الكبرى واعتزال الناس ١٤
وعدم الخروج على السلطان ١٤
حتى قيام القائم ١٤
ـ نماذج من النصوص التي تحرم طاعة السلطان الجائر ـ ١٥
وضرورة اعداد النفس والسلاح ١٥
ليوم ظهور القائم ١٥
منهجيتنا في تأليف الكتاب ١٧

الفصل الأول
الانتظار السلبي للمهدي المنتظر (عج)

مرتكزات نظرية الانتظار السلبي ٢١
نماذج من الروايات الداعية إلى اعتزال الناس وترك الجهاد، ٢٤
وعدم الخروج على السلطان ٢٤
أولاً: الصبر وعدم القاء النفس بالتهلكة ٢٩
ثانياً: التقية في زمن الغيبة الكبرى ٣٢
ثالثاً: الاستدلال بمقاطع من سيرة الأئمة (ع) على صحة نظريتهم ٣٦
العوامل المساعدة على تركيز الانتظار السلبي ٤٠
أولاً: العداء الصارخ لآل البيت (ع) ٤٠
الأمة ستغدر بعلي (عليه السلام) ٤١
بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ٤١
النبي (ص) يأمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ٤٣
النبي (ص) يخبر بما يجري على فاطمة (ع) وعترته ٤٦
جبرائيل يخبر النبي (ص) بخبر قتل أمته لولده الحسين (ع) ٤٨
حادثة الهجوم على دار الزهراء (ع) وأضرام النار فيها ٥١
أرغام علي (ع) على البيعة لأبي بكر ٥٣
اتهام علي (ع) بقتل عثمان ومطالبته بدمه ٥٧
معاوية يمارس سياسة الخداع والتضليل ونقض العهود والمواثيق ٥٩
استشهاد الإمام الحسن (ع) ورمي جنازته بالسهام ٦١
خروج الحسين (ع) واستشهاده في كربلاء ٦١
العداء العباسي لأهل البيت (ع) ٦٩
المكر والخداع والنفاق السياسي اتخذ غطاء لجرائم المأمون ٨٢
المتوكل العباسي يكرب قبر الحسين ويعفي أثره ٨٤
معاناة الإمام الهادي (ع) من سوء معاملة المتوكل له ٨٧
ثانياً: التصفيات الدموية لشيعة آل محمد (ص) ٩٢
المرحلة الأولى من التصفيات الدموية ٩٥
المرحلة الثانية من التصفيات الدموية ١٠١
المرحلة الثالثة من التصفيات الدموية ١١٠
ثالثاً: الجهل والتحريف ١٢٧
نقض نظرية الانتظار السلبي بوجوه ١٣٦
الوجه الأول: ١٣٧
بيان التعارض الصريح بين النصوص ١٣٨
ذكر النصوص المعارضة ١٤١
رفع التعارض الموجود بين النصوص ١٤٤
الوجه الثاني: ١٤٦
الوجه الثالث: ١٥٠

الفصل الثاني

الانتظار الإيجابي للمهدي المنتظر (عج)

أفضل العبادة انتظار الفرج ١٥٨
ركائز نظرية الانتظار الإيجابي للقائم المنتظر (عج) ١٦٥
الركيزة الأولى: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٨
تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٦٩
وبيان أهميتهما وذكر صورهما ١٦٩
وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧١
نوعية الوجوب هل أنهما واجبان كفائيان أم عينيان ؟ ١٧٤
شرائط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٧٦
أولاً: العلم بالمعروف والمنكر ١٧٦
ثانياً: احتمال التأثير ١٧٦
ثالثاً: أن يكون العاصي مصرّاً على الاستمرار، فلو علم منه الترك سقط ١٧٧
رابعاً: أن يكون المعروف والمنكر منجزاً في حق الفاعل ١٧٧
خامساً: أن لا يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر ١٧٨
سادساً: يجب على الآمر أن يكون عاملاً بالمعروف منته عن المنكر ١٧٨
بقية النصوص التي استنبطت منها الشرائط ١٧٩
الركيزة الثانية هي الجهاد بكلا شقيه: جهاد النفس وجهاد العدو ١٨٠
النصوص الدالة على الجهاد من القرآن والسنة النبوية ١٨٢
ثواب المجاهدين ودرجاتهم الرفيعة ١٨٤
وجوب الدفاع عن النفس والمال والعرض، ١٨٦
وأن من مات دون مظلمته مات شهيداً ١٨٦
تحريم الظلم ووجوب محاربة الظالم ونصرة المظلوم ١٨٧
وعدم إعانة الظالم على ظلمه ١٨٧
عواقب ترك الجهاد وآثاره السيئة ١٨٩
شرائط القائم قبل قيام المنتظر (عج) ١٩٠
ذكر معوقات وموانع الجهاد ١٩٥
الركيزة الثالثة هي الصبر وتحمل الصعاب ٢٠٠
ذكر سمات الصابرين وصفاتهم ٢٠٢
اختبار المؤمنين وتميز الصابرين منهم ٢٠٤
دواعي الصبر وموجباته ودرجات الصابرين ٢٠٧
الركيزة الرابعة لمفهوم الانتظار الإيجابي هي التقية ٢١٣
تعريف التقية ٢١٦
شرعية العمل بالتقية ٢١٧
الأدلة القرآنية والروائية : ٢١٧
ذكر بقية النصوص الداعية للتقية ٢٢٢
آراء علماء المسلمين وصحابة الرسول (ص) في التقية ٢٢٣
العقل يحكم بوجوب التقية في تفادي الضرر ٢٢٤
ذكر موارد ما يجوز فيها التقية ٢٢٥
موارد عدم جواز التقية فيها ٢٣١
كيفية ممارسة التقية من قبل الأئمة (ع) وأصحابهم ٢٣٤
وقفة تأمل ٢٤٠
نتيجة البحث وخلاصته ٢٤٢
الركيزة الخامسة لمفهوم الانتظار الإيجابي ٢٤٤
هي السعي لإيجاد الحكومة الإسلامية ٢٤٤
أدلة شرعية قيام الحكومة الإسلامية ٢٤٨
الدليل الأول: إن الغاية الأساسية من بعثة الأنبياء هداية الناس، وإنقاذهم ٢٤٨
الدليل الثاني: أن الله أمر عباده الصالحين بمكافحة الطاغوت والكفر به ٢٥٠
الدليل الثالث: هو رفع الحرمان، وحفظ المجتمع المسلم، وتحقيق العدل: ٢٥٤
الدليل الرابع: إجراء الأحكام، وإقامة الحدود، وحماية الإسلام: ٢٦١
ذكر الحاكم الإسلامي وبيان صفاته ٢٦٣
الفقهاء العدول هم قادة المسيرة في زمن الغيبة ٢٦٤
شرائط صلاحية الحاكم ومجمل وظائفه ٢٦٨
الخاتمة ٢٧٢